

مذكرة ماستر

كلية العلوم الإجتماعية و العلوم الإنسانية
قسم تاريخ
تاريخ الوطن العربي المعاصر
رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
رباب بن الصغير
يوم:.....

سياسة الإدماج وآثارها الثقافية على المجتمع الجزائري

لجنة المناقشة:

مقرر	أ. د.	جامعة بسكرة	شهرزاد شلبي
الصفة	الرتبة	الجامعة	العضو 2
الصفة	الرتبة	الجامعة	العضو 3

السنة الجامعية: 2024م/2025م

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى الذين زرعوا بذرة الحرية

وسقوها بدمائهم

شهداء الثورة الجزائرية.

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تكللت هذه المذكرة بالإنجاز.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى الشمعة التي احترقت لتضيء لي دروب الحياة.

إلى مصدر الحنان ومنبع الأمان

إلى التي تحت قدميها تنال الجنان

أمي الحبيبة.

وأقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذتي المشرفة

شلي شهرزاد.

المختصرات

ترجمة	تر
جزء	ج
صفحة	ص
طبعة	ط
محدد	م
دون سنة	ك س
دون بلد	ك ب
دون طبعة	ك ط
دون دار نشر	ك د ن
الميلاد	م

مقدمة

عرفت الجزائر منذ احتلالها من طرف فرنسا سنة 1830م تجربة استعمارية فريدة من نوعها، سواء من حيث المدة التي تجاوزت قرنا وثلاثين سنة، أو من حيث طبيعة الاستعمار نفسه، الذي لم يكتف بالسيطرة على الأرض والثروات، بل سعى إلى استئصال الهوية الوطنية وإعادة تشكيل الشخصية الجزائرية على النمط الفرنسي. لقد كانت الجزائر بالنسبة لفرنسا مقاطعة فرنسية لا مجرد مستعمرة، وهو ما جعل الاستعمار يسلك مسارا مختلفا، يتمثل في الإدماج الكامل، لا في التمييز أو الحكم غير المباشر كما هو حال مستعمرات الأخرى.

في هذا الإطار، ظهرت سياسة الإدماج كأحد أبرز أدوات فرنسا لفرض هيمنتها الثقافية والحضارية على المجتمع الجزائري، حيث روج لها كوسيلة لتحضير الجزائريين ودمجهم في الثقافة الفرنسية، مقابل طمس لغتهم العربية، وتهميش دينهم الإسلامي، وتجنيس تراثهم الثقافي. وقد تجسدت هذه السياسة عبر قوانين الجنسية، و البرامج التعليمية، والسيطرة على وسائل الإعلام، وتغيير البنية القانونية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، بما يخدم أهداف المشروع الكولونيالي.

غير أن سياسة لم تكن عملية سهلة أو تلقائية، بل اصطدمت برفض شعبي واسع، وواجهت مقاومة ثقافية وروحية قوية، قادتها النخب الوطنية والعلماء و المثقفون، الذين تنبهوا إلى أن المعركة الحقيقية تتجاوز البندقية إلى الفكر والوعي واللغة. وعلى الرغم من ذلك، فإن آثار هذه السياسة تركت بصمتها العميقة في المجتمع الجزائري، حيث نشأت ازدواجية لغوية وثقافية ما زالت مظاهرها حاضرة حتى اليوم، كما ساهمت في خلق فجوات اجتماعية، وصراعات حول الهوية والانتماء.

_ أسباب اختيار الموضوع:

يرتبط إختياري لهذا الموضوع بدوافع ذاتية عميقة، نابعة من اهتمامي الشخصي بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، خاصة ما يتعلق بالصراع الثقافي والهوياتي بين المستعمر والمستعمر. فقد شكلت مسألة الهوية بالنسبة لي محورا مهما في فهم التاريخ الوطني، ودفعني إلى التساؤل عن الكيفية التي حاول بها الاستعمار طمس ملامح الشخصية الجزائرية، وعن ردود فعل المجتمع تجاه هذه المحاولات.

كما أنني أنتمي إلى جيل ما بعد الإستقلال الذي ما زال يعيش بعض الآثار السياسية في واقعنا الثقافي والتربوي، وهو ما أثار في داخلي رغبة في التعمق أكثر في دراسة جذور هذه الظواهر، وتحليل خلفياتها التاريخية. إن التفاعل الذاتي مع هذا الموضوع ليس فقط بدافع المعرفة، بل كذلك انطلاقا من شعور بالمسؤولية

التاريخية تجاه تسليط الضوء على مرحلة حرجية من تاريخ الأمة، ما زالت آثارها ممتدة إلى اليوم. كما تمت هناك أيضا أسباب موضوعية لاختيار هذا الموضوع في الأهمية العلمية والتاريخية التي يكتسبها تحليل سياسة الإدماج الفرنسية في الجزائر، خاصة من زاويتها الثقافية. فقد شكلت هذه السياسة أحد الركائز الأساسية التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي لإعادة تشكيل البنية الثقافية للمجتمع الجزائري، في محاولة لفرض هيمنة حضارية شاملة تتجاوز الهيمنة العسكرية والسياسية. ومن جهة أخرى، فإن هذا الموضوع يندرج ضمن القضايا التي ما زالت تثير جدلا واسعا في الدراسات التاريخية، بالنظر إلى امتداد آثارها إلى مرحلة ما بعد الاستقلال.

_ الإشكالية:

ومن هنا تبرز الإشكالية العامة التالية:

إلى أي مدى أثرت سياسة الإدماج الفرنسية في تشويه الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري خلال الفترة الإستعمارية، وما هي أبرز مظاهر هذا التأثير ونتائجه على المدى البعيد؟ وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

_ ما هي الخلفيات و العوامل الفكرية والسياسية التي مهدت لبروز سياسة الإدماج في الجزائر؟

_ كيف تجسدت سياسة الإدماج في الواقع الإستعماري الجزائري، وما كانت ردود الفعل حول هذه السياسة؟

_ ما هي أبرز الآثار الثقافية التي خلفتها سياسة الإدماج على هوية المجتمع الجزائري خلال فترة الإستعمار وما بعدها؟

_ منهج البحث:

نظرا لطبيعة الموضوع فحاولت الإعتماد على المنهج التاريخي الوصفي خاصة في عرض الوقائع والأحداث التاريخية.

_ شرح خطة البحث:

كمحاولة لإجابة على هذه التساؤلات فقد انتهجت خطة تضمنت مقدمة ومدخل وثلاث فصول، وأنهيت المذكرة بخاتمة استنتاجية وملاحق ذات ارتباط وثيق بموضوع الدراسة.

فبالنسبة للمقدمة عرفت فيها بالدراسة التي أريد تناولها مبرزة أهميتها وأسباب إختيار الموضوع، موضحة فيها إشكالية البحث الرئيسية والتساؤلات الفرعية المرتبطة بها، كما قمت باستعراض خطة الموضوع بشكل عام، وحددت المناهج المعتمدة في الدراسة، ثم تعرضت إلى نقد أهم المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها في إنجاز هذه المذكرة، مشيرة في الأخير إلى بعض الصعوبات التي اعترضتني أثناء فترة البحث .

ففي **المدخل** تناولت السياسة الثقافية التي اتبعتها فرنسا في الجزائر، والتي سعت من خلالها إلى طمس الهوية الثقافية والدينية للشعب الجزائري. وأبرز أدوات الاستعمار في تحقيق هذا الهدف هي التعليم، حيث عملت السلطات الاستعمارية على فرض اللغة الفرنسية في المدارس العربية، واستهداف المؤسسات الدينية وتدميرها أو تحويلها إلى أغراض استعمارية.

وتعرضت في **الفصل الأول** والذي جاء تحت عنوان: "الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي"، الذي ظهر في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، باعتباره تعبيراً عن محاولة فئة من الجزائريين، وخاصة من النخبة المثقفة، المطالبة بالإدماج في المنظومة الفرنسية مع الحفاظ على خصوصيتهم. حيث تناول هذا الفصل ثلاث مباحث، **المبحث الأول** الذي خصص لدراسة جماعة النخبة، التي نشأت من وسط تعليمي وثقافي تأثر بالمدرسة الفرنسية، وسعت إلى تحقيق إصلاحات تدريجية داخل الإطار الاستعماري دون الخروج عنه، أما **المبحث الثاني** فتناول إصلاحات 1919م، التي كانت بمثابة استجابة شكلية من قبل فرنسا لمطالب هذه النخبة، إلا أنها لم ترق إلى طموحات الجزائريين، بل كشفت عن محدودية نوايا الإدماج الحقيقية. و يأتي **المبحث الثالث** ليلسط الضوء على حركة الأمير خالد، بوصفها تطوراً نوعياً داخل هذا الاتجاه، حيث حاول الأمير الجمع بين المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية، والتمسك بالهوية الوطنية والدينية، مما جعله شخصية بارزة في المرحلة التمهيديّة للنضال السياسي في الجزائر .

يركز **الفصل الثاني** على نشأة الإتجاه الإدماجي وتطور ملامحه في ظل السياسة الاستعمارية الفرنسية، حيث يخصص **المبحث الأول** لدراسة السياق التاريخي والسياسي الذي ساهم في هذا الإتجاه، والذي انبثق من فئة من الجزائريين المتأثرين بالثقافة الفرنسية، خاصة ممن تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية أو خدموا في الإدارة الإستعمارية، ويتناول **المبحث الثاني** أبرز قادة هذا الإتجاه الإدماجي، من شخصيات سياسية وفكرية لعبت دوراً بارزاً في صياغة خطاب الإدماج والمطالبة بحقوق متساوية مع المستوطنين الفرنسيين، مع الحفاظ على بعض مقومات الهوية الجزائرية. أما **المبحث الثالث**، فيستعرض مطالب هذا الإتجاه، والتي تمثلت أساساً في

المساواة القانونية والمدنية، توسيع الحريات، إلى جانب المطالبة بالتمثيل السياسي. كما تناول هذا المبحث أيضا ردود فعل الإدارة الإستعمارية والمجتمع الجزائري تجاه هذه المطالب.

و في الفصل الثالث الآثار الثقافية لسياسة الإدماج التي فرضتها فرنسا في الجزائر، حيث تركز على كيفية تأثير هذه السياسة في النسيج الثقافي والاجتماعي للشعب الجزائري. في المبحث الأول، يتم تناول استهداف الزوايا، وهي المؤسسات الدينية والتعليمية التي كانت تلعب دورا أساسيا في الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للجزائريين، حيث سعت السلطات الاستعمارية إلى تفكيكها وإضعاف دورها. أما المبحث الثاني، فيتم التركيز على تفكيك بنية المجتمع الجزائري، حيث عملت السياسة الاستعمارية على إحداث تغييرات عميقة في تركيبة المجتمع من خلال تقسيمه وإضعاف تماسكه الاجتماعي، مما أثر على الروابط التقليدية والعادات الثقافية. وفي المبحث الثالث، يتم تسليط الضوء على نشر الثقافة الفرنسية في الجزائر، حيث سعت الإدارة الاستعمارية إلى فرض الثقافة الفرنسية من خلال التعليم والإعلام، بهدف تقويض الثقافة العربية الإسلامية وجعلها في موقف تابع للثقافة الاستعمارية.

انهيت موضوع المذكرة بخاتمة ضمنيتها مجموعة من النتائج، التي توصلت إليها أثناء فترة البحث، محاولة الإجابة فيها عن التساؤلات المطروحة في المقدمة في شكل خلاصات واستنتاجات.

دراسة لأهم المصادر ومراجع البحث:

الكتب باللغة العربية:

ولتغطية فصول الدراسة الدراسة إطلعنا على مجموعة هامة ومتنوعة من المصادر والمراجع، لا يسع المجال لإحصائها في المقدمة، أهمها:

كانت درجة الاستفادة من الكتب المعتمدة كمصادر ومراجع للبحث متفاوتة من كتاب لآخر، ومن أهم الكتب التي استفدت منها بالدرجة الأولى نذكر:

_ عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط 1. م م ، دب ، دس.

_ عبدالرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الأولى (1920-1930)، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

_شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضات 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954، د ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013

_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.

_ أحمد توفيق مدني، هذه هيا الجزائر، المجلد الثامن، طبعة الخاصة لوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

_ بشير بلّاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة للطبع باب الوادي، الجزائر، 2006.

_ رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر (1930-1989)، ج2، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

المجلات والجرائد:

كما استعنت بعدد من الجرائد والمجلات ومثال ذلك:

_مجلة الفرطاس للدراسات الفكرية و الحضارية، العدد الثاني، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، جانفي 2015.

_ سامي صالح صياد، غيلان سمير طه، فرحات عباس و دوره في السياسية الجزائرية 1899-1985، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 19، ط1، 2012.

_جريدة الفاروق، ع14، 16 جانفي 1914.

_ محمد خير الدين، مات الحكيم سعدان، البصائر، ع22، 1948.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

واعتمدت في بحثي هذا على قائمة متنوعة من الرسائل والأطروحات منها:

- شهادة ميلاد فرحات عباس، مذكرة تخرج عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899-1985)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004.

_ عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة قسنطينة، 2007.

_عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009.

المؤلفات الأجنبية:

_Farhatabbas ,la nuit colonial gurre et revolution dalgerie ,edution ,ANEP.

_schnapper dominique .Qu 'est ce que l'integration ? editions gallimard .2007.240 pages.

_Mahsas Ahmed,le mouvment re'volutionnaire en alge'rie :de la 1ere guerre mondiale a' 1954 ,editions barakat,alger,1990.

_eriksone,adelsence et crise,la quete de ledentite,flmarien,paris,1972.

Vignon, louis (1859 – 1932), La France dans l'Afrique du Nord, Algérie et tunisie, Librairie

_Guillaumin (Paris),1887.

_ صعوبات البحث:

فيما يخص الصعوبات نعلم بأنه لكل بحث تاريخي صعوبات وعراقيل، وهي في الحقيقة صعوبات روتينية تواجه أي باحث أو مؤرخ مثل تشتت المادة العلمية في المكتبات والكتب والمجلات مع قلة المادة العلمية المراد الحصول عليها لتغطية جزء كبير من البحث وقلة مصادر والمراجع حتى وإن وجدت أجدها تتناول الموضوع بنوع من السطحية، كما واجهتني صعوبة في ترجمة بعض المصادر والمراجع الأجنبية التي تحصلت عليها.

مدخل

السياسة الثقافية الاستعمارية.

منذ أن وضعت فرنسا أقدامها على التراب الجزائري، حاولت تدمير وتخريب الجزائر¹، حيث كانت سياسة الاحتلال تعتمد إلى الحط من شأن تراث البلاد الحضاري، وإلى تشويه ثقافته ودينه على حد سواء². كما قامت بالإستلاء على الأوقاف باعتبارها الراعي والممول الرئيسي للنشاطات الدينية والتعليمية و في نفس الوقت تشكل عائقا كبيرا في وجه المخططات الاستعمارية.

ومنه فإدارة الاحتلال جعلت من التعليم هدفها الأول، فوجد أن فرنسا حاولت القضاء عليه وطمس الهوية العربية الإسلامية، وبدأوا في تنفيذ مخططاته اتجاه الجانب التعليمي بمحاربة اللغة العربية وإبعادها تماما من الإدارة ومن معاهد التعليم ونشر اللغة الفرنسية فقط وجعلها هي اللغة الأساسية³، كما عملت السياسة الاستعمارية على تجهيل الأهالي فهدمت معظم المدارس وأغلقت الكثير منها وراقبت الباقي وقاومت التحاق الأطفال الجزائريين بمؤسسات التعليم الفرنسية كما فرنست جميع مراحل التعليم وحاربت التعليم الحر⁴، وعملت على تعطيل مختلف النوادي العربية التي تقوم بنشر اللغة العربية بين الشباب وتعمل على تربيتهم تربية عربية إسلامية وعلى غرار ذلك قامت بإنشاء مدارس تحت تصرفها مسماة عربية فرنسية في مختلف التراب الوطني بغية نشر الثقافة الفرنسية .

وحسب الإحصائيات فان في عام 1870م كان هناك 36 ابتدائية عربية و فرنسية و1300 تلميذا ومعهدان عربيان فرنسيان وثلاث مدارس دينية إسلامية كما عملت الجمهورية الثالثة على تأسيس 15 مدرسة وزاوية التي تقوم بتمويل باريس ثلاث أرباعها وفي عام 188م حاولت الإدارة الفرنسية تعليق التشريع المدرسي الجديد في الجزائر، فإنشاء المستوطنون، وشيوخ البلديات من ذلك وأعلنوا رفضهم لبناء المدارس كما أطلقوا عليه جماهير الصعاليك من الأهالي، واجنحوا بارتقاع التكاليف، ويسعى المتعلمين بعد ذلك لتحقيق الجزائر العربية .

1- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة، الجزائر، 2002، ص 124.

2- أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، دط، دار القصة للنشر، الجزائر، ص40.

3- عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940، ط1، دار الشهب، لبنان، 1994، ص28.

4- التعليم الحر: كان التعليم العربي منتشرا في الجزائر وأريافها ومدنها ما يشكل خطر على وجود الفرنسي بالجزائر حيث أن الثقافة الجزائرية كانت عكس الثقافة الفرنسية ما دفعها إلى إزالة المعالم الثقافية الجزائرية تمهيدا لرفضها مخططاتها الإستعمارية وإدماج الشعب الجزائري في فرنسا للمزيد ينظر: عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، ليبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص113.

وفي عام 1890 لم يكن يرتاد المدارس الابتدائية من أبناء الجزائريين سوى 19 من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة وبما يعادل نسبة عشرة آلاف طفل فقط¹.

حيث سعت الإدارة الفرنسية لطمس مقومات الشعب الجزائري القومية والحضارية من خلال القضاء على العقيدة الإسلامية واللغة العربية ونشر اللغة الفرنسية واعتبارها اللغة الرسمية في كافة التراب الوطني. كما أن معظم المواد الأدبية والعلمية والتقنية حتى وإن كانت قليلة فإنها كانت تدرس باللغة الفرنسية، أما اللغة العربية كانت تدرس لساعات قليلة فقط².

كما سخرت فرنسا التعليم لخدمة أغراضها القمعية في الجزائر، فقد حاولت إيجاد نوع من التعليم الذي يهدم الشخصية الجزائرية ويقضي على روح المقاومة والعمل على طمس مقومات المجتمع الجزائري بتدمير الإسلام واللغة ونشر الجهل بين السكان وإفساد المجتمع وطباعة الأخلاقية ونشر الديانة المسيحية والثقافة الفرنسية³.

كما كان الاستعمار لا يريد من الشباب الجزائري التعلم والتثقف خوفا من وعيه، ثم المطالبة بحقوقه السياسية والمطالبة بالإدماج والمساواة مع الأوروبيين، وبالفعل نجحت الإدارة الاستعمارية في تكوين مدارس ومعاهد لأبنائهم وغلق أبواب الدراسة في وجوه أبناء الجزائر⁴. ولقد حاولت السلطات الاستعمارية محاربة اللغة العربية، وباعتبار أن اللغة هي مظهر كرامة، فقرروا القضاء عليها أول شيء، حيث أصدروا قانون يجعل اللغة الفرنسية في الجزائر هي اللغة الرسمية وحيدة⁵. كما أن هذا الأمر لم يكن كافيا بالنسبة لسلطات الاستعمارية في المحاربة والقضاء على اللغة بل اتبعت طرق وأساليب أخرى منها:

. إقصاء اللغة العربية من كل الدوائر الرسمية، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها كما أنه لا يتم الاعتراف بالوثائق والمستندات إلا باللغة الفرنسية.

. تسمية الشوارع والمحلات باللغة الفرنسية فقط .

1- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية [1830-1984]، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1985، ص43.

2- عبد القدر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص68.

3 - بشير بلال، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة للطبع باب الوادي، الجزائر، 2006، ص148.

4- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والنهاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دس، ص179.

5- فضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص98.

. الإستيلاء على موارد الأوقاف التي كانت تمثل مصدرا أساسيا للإنفاق على التعليم¹.

. الاعتماد على سياسة التجهيل وعدم إتاحة فرص التعليم لأبناء الجزائريين وعدم السماح للأهالي بتأسيس المدارس والمعاهد ولو بأموالهم الخاصة.

. إنشاء مدارس خاصة بالجزائريين دون الأوروبيين ووضعت لها برامج خاصة حسب أهدافها الاستعمارية والتأكيد على أن يكون التعليم كله بالفرنسية².

وهكذا استمر تهميش اللغة العربية ببطء وأصبحت اللغة الفرنسية تتصدر المرتبة الأولى بكل حرية عما سبق، وأصبحت السلطات الفرنسية تعمل بكل سرية من أجل القضاء على اللغة العربية وفرض الهيمنة الفرنسية المحددة باعتبارها اللغة الوحيدة لتهيئة المستقبل³.

كما حاول الاستعمار القضاء على الأصالة الذاتية لشعب الجزائري، وذلك بفصله عن جذوره التاريخية من جهة، وبالقضاء على قواعد صموده من جهة أخرى، وكانت الحرب الصليبية للقضاء على الإسلام ولما كانت هناك صعوبة كبرى في هدم بناء كامل عبر مئات السنين فقد كانت الوسيلة المرحلية هي الاكتفاء بصرف المسلمين عن دينهم وحرمانهم من الاتصال بعروبتهم مما يؤدي إلى إضعاف الإسلام والعروبة تدريجيا حتى تموت وحدها نتيجة حرمانها من موارد غذائها الأساسية المسجد والمدرسة⁴، فهي تصب في النهاية إلى نقطة واحدة وهي المحو الكامل للشخصية العربية المسلمة للمجتمع الجزائري⁵.

ولقد قام الاستعمار بتدمير وتخريب المساجد، حيث كان أول مسجد تم القضاء عليه هو جامع السيدة بالجزائر وكان ذلك سنة 1830م⁶، وفي 18 ديسمبر 1832م تم تحويل مسجد كتشاوة كاتدرائية⁷ التي أطلق عليها كاتدرائية سيدة الجزائر، كما أن هذا التخريب شمل كل أقطار التراب الجزائري وليس الجزائر العاصمة وحدها. حيث تعرضت مساجد وجوامع قسنطينة كذلك للخراب والتدمير، حيث تم تحويل مسجد صالح باي إلى

1- مساك أمينة، تابروكة فاطمة، خصوصية الهوية الثقافية للمجتمعات العربية في مواجهة التغير الحضاري، مجتمع الجزائر نموذجا، ملخص مداخل، جامعة سعد دحلب، البليلة، ص17.

2- مساك أمينة، تابروكة فاطمة، خصوصية الهوية الثقافية، المرجع السابق، ص17

3- كميل ريسليير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830-1962، تر: نذير طيار، ط1، دار الكتابات الجديدة للنشر الإلكتروني، أغسطس 2016، ص362.

4- بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، ط1، 1402-1406 / 1982-1986م، دار النفاس، د ب، د، ص18.

2- جمال فنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830-1916، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص37.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005، ص10.

7- أنظر الملحق رقم 01.

كنيسة وجامع الرحبة الصوف الى ملجأ¹، كما نجد كذلك مسجد خنق النطاح إلى مستشفى عسكري الذي كان مقره بوهران²، ففي الجزائر العاصمة اختفى العديد من المساجد والزوايا. وصدرت عائدات المساجد والزوايا لتأخذ اتجاهها آخر يعاكس مقاصد الواهبين لامتلاكاتهم. ولقد كان الأساتذة يتقاضون الأجر البسيط، ولم تبقى دروسهم منظمة كما كانت في سابق. ونفس الوضع كان في المدن الداخلية. أما بالنسبة للقرى فكانت شبه معدومة من الزوايا، وبالفعل استطاعت الحملات العسكرية تشتيت الطلبة المسلمين. وانتشار الأوروبيين داخل الجزائر³.

كما قام الاحتلال الفرنسي بتفويض دعائم نظام الوقف، الذي كان يعتبر بكثرة في المجتمع الجزائري، كما يقول الكتاب الفرنسيين أن الأوقاف تتعارض مع السياسة الاستعمارية التي يطمح الاستعمار إلى تحقيقها في الجزائر⁴، كما أن السلطة الفرنسية لم تجد صعوبات في حجز أوقاف العيون وتسليمها إلى مهندسين فرنسيين، كما سلمت أوقاف الطرق إلى مصلحة الجسور والطرق. كما إنها احتجزت أيضا أملاك الجيش باعتبارها تابعة للأملاك العثمانية⁵.

كما عملت الإدارة الفرنسية ربط الدين بالدولة "فرنسا" وذلك من أجل السيطرة على رجال الدين والمساجد والتعليم. ولقد قام رجال الدين المسيحيون بحرب على الإسلام، وقد ظهر التعاون الذي كان مع القادة العسكريين الذين اعتبروهم جواسيس وفي قول جان بوقولا: "صراحة أن إحتلال الجزائر هو استمرار الحروب الصليبية"⁶.

ولقد حرص رجال الدين المسيحيين على فتح مدارس للأطفال والملاحيين لليتامى من أجل نشر التعليم الإنجيلي بينهم وتهيئتهم على تقبل واستيعاب الحضارة المسيحية الأوروبية، ولقد اتبعت سياسة التظاهر بالرأفة والشفقة والإحسان وأسلوب التغلغل الاستعماري وهدم الحضارة الإسلامية⁷.

1- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية فيالجزائر 1830-1930 وإنعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص137 138.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص82.

3- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط1، م، د ب، د س ص215.

4- قبائلي هوارى، مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1968، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، ص420.

5 - خديجة بقطاش، الحركة البشرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، د ب، د س، ص25.

6 - مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية 2014، دب، دس ص112.

7-بشير بلال، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص153.

ومن أشد أنصار التبشير في الجزائر لويس فيلوت **Luis veulloT** الذي كتب رسائل بعد عودته من الجزائر التي كانت في سنة 1841م الذي دافع فيها بكل شجاعة عن آرائه التنصيرية¹.

لقد بنى الإحتلال سياسته في الجزائر على أبعاد شملت الأرض والإنسان معا، حيث شملت عناصر الهوية الوطنية التي هي عبارة عن الدين واللغة والتاريخ والحضارة، لهذا ركز الاحتلال الفرنسي على السلاح الثقافي في تدمير الجزائر وخرابها وفصلها عن أصالتها وتراثها الحضاري، أي عزلها عن محيطها الإسلامي العربي، ونشر الأدب الإستعماري بغية تمجيد فرنسا وتعظيمها².

1- خديجة بقطاس، الحركة التبشيرية الفرنسية، المرجع السابق، ص63.

2- بسام العسلي، الله أكبر وإنطلقت ثورة الجزائر، ط1، 1982-1986، دار النفاس د ب، 2010، ص40.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الادماجي.

المبحث الأول: جماعة النخبة.

المطلب الأول: تعريف النخبة.

المطلب الثاني: برنامجها.

المطلب الثالث: تصنيفاتها.

المبحث الثاني: إصلاحات 1919م.

المطلب الأول: تعريف الإصلاحات.

المطلب الثاني: بنودها.

المطلب الثالث: أهم المواقف منها.

المبحث الثالث: حركة الأمير خالد.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: نشاطه.

المطلب الثالث: مصيره.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

المبحث الأول: جماعة النخبة.

المطلب الأول: تعريف النخبة.

تردد مصطلح النخبة الجزائرية في فترة معينة من تاريخ الجزائر كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت المقام الأول في نشرات الصحف والاجتماعات والمناقشات اليومية مثل الإدماج وما شابه ذلك، ومن هنا فالمصطلح الجديد لكونه يختلف عن المصطلح القديم الذي يمثل النخبة التقليدية والمحافظة ذات التكوين العربي الإسلامي كان وليد المدرسة الفرنسية التي أرادها الاستعمار أن تكون دعامة الأساسية في فرض سيطرته على الجزائر¹.

ويقصد بجماعة النخبة « l'élite » والمتقنين « intellectuels » أو المتطورين « évolués » وهي أسماء رافقت كلمة النخبة ممن تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوروبية، وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها. واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر وهذا إخلافا للنخبة التقليدية التي حافظت على انتمائها الحضاري².

ويعرفها بشير بلاح على أنها: "جماعة من الناس تتميز بتفوقها العلمي والثقافي والإجتماعي وأحيانا بقوتها الاقتصادية والمالية، وسلطتها أو نفوذها السياسي. فهي الفئة المرشحة لريادة الأمة وقيادتها نحو الإصلاح والتنوير والحرية"³.

أما جورج مارسى⁴، الذي كان مدير للمدرسة الجزائرية الإسلامية، كان له رأي آخر حول تعريف النخبة الجزائرية. فهو لا يعتبر النخبة تلك الأقلية من الموظفين والصحفيين و المعلمين. ولكن أولئك الجزائريين الذين يعرفون بأنهم جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية، والذين يعرفون في نفس الوقت عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي وعن كتاب التراث الفرنسي⁵.

1- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 251.

2- عبد القادر، المرجع نفسه، ص 251.

3 - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 391.

4 - جورج مارسى : مشرف فرنسي ولد في مدينة رين 11 مارس 1876، وتوفي في باريس 20 ماي 1928، للمزيد ينظر: عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 205.

5 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، ط 4، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 195.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

كما يوجد من يعرفهم بأنهم أولئك الذين تعلموا في المدارس الفرنسية الذين كانوا يعرفون في مطلع ثلاثينات القرن الماضي بالشبان الجزائريين والذين كانوا في غالبيتهم من الطلبة الفرانكفونيين الإدماجين، حيث لا يعتبرون جزائريين هم ولا فرنسيين¹.

ويرى أبو قاسم سعد الله أن: "مفهوم النخبة لم يضبط بعد فيعتبرها البعض فئة الضائعة ما بين الحضارتين، و قد قال الكاتب الفرنسي جون جورسيس: "إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين سرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم و لكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة"².

كما شبه الكاتب و الصحفي الفرنسي سير فيه **servier** الذي عاش في الجزائر، جماعة النخبة الجزائرية بجماعة تركيا الفتاة³، وكذلك بجماعة مصر الفتاة في الطموح و الآمال و في تولي الزعامة فقد وصفهم بأنهم فخورين يحملون معهم أفكار سنية، أي معادية لفرنسا غير راضين بالحالة التي هم فيها قلقين، طموحين حالمين بتحقيق أهدافهم من خلال الدور الذي يقومون به في شؤون بلادهم الجزائر، و لكن سيرفيه وضع تكملة لذلك أن جماعة النخبة الجزائرية لم ترفع علم الجزائر للجزائريين خلافا لأعضاء تركيا الفتاة الذين كانوا يحاولون استعادة مجد إمبراطوريتهم ولأعضاء مصر الفتاة الذين كانوا يطالبون بمصر للمصريين.

تتكون هذه النخبة من المحامين والصحفيين و المعلمين وبصفة عامة هم أولئك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية و الثقافة الفرنسية، وأطلق عليهم كذلك اسم البرجوازية الجديدة، تبنا أفكار الإدماج والتجنيس والمساواة و التسامح و العدالة والمواطنة الفرنسية وهذا بسبب تكوينهم الفرنسي البحت و بالمقابل أنكرت وجودها وأصالتها العربية الإسلامية لأنها تربت تربية فرنسية خالصة في محيط و بيئة فرنسية بعيدة عن واقعها⁴.

1 - محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، دطدار ابن الكثير، بيروت، 2001، ص122.

2- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص161.

3- تركيا الفتاة :هي حركة سياسية تأسست سنة 1889 أثناء الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، ذلك لأن عددا من الطلاب المدارس التركية خاصة طلاب الطب العسكري في إسطنبول شكلوا جماعة سرية معارضة للسلطان عبد الحميد الثاني، و هذه الجمعية نظمت نفسها على النمط الأوروبي، و كانوا يطمحون إلى تطبيق الأفكار التي تعلموها على المقاعد الدراسية في مؤسسة الطب العسكري و كانوا يهدفون إلى إنقاذ الإمبراطورية العثمانية من الإنحطاط الذي وصلت إليه لأنهم كانت تحركهم نزعة وطنية متحمسة، كما أن عناصرها ينتمون إلى كل من العرب و المسيحيين والألبانيين والأكراد والآثارك. للمزيد ينظر : روبرت مانتزان، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السبيعي، ج 2، د ط، دار الفكر للدراسات و التوزيع، القاهرة، ص228.

4- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص106.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

وكانت تعتمد اعتمادا أعمى على أن الثقافة نفسها تنحصر في الثقافة الفرنسية أن تاريخ الجزائر يبدأ من سنة 1830م، وقدموا أعلام الفكر المغربي و اعترفوا بأن الاستعمار الفرنسي ترك بعض المحاسن و المزايا¹.

المطلب الثاني: برنامجها.

حيث أدركت النخبة الجزائرية استحالة مواجهة النظام الاستعماري باستخدام الوسائل القديمة، كما اقتنعت إن الاستمرار في رفض الاستعمار كواقع في البلاد سيؤدي إلى تكريس الامتيازات السياسية والاقتصادية للمستوطنين. و من ثم فإن أول عمل قام به الشبان الجزائريين هو الدخول في منافسة الكولون معتمدين على طريقة جديدة تختلف عن طريقة الأجداد و هي الحوار الهادئ بواسطة الصحافة و العرائض و المذكرات و الوفود².

و لم تبرز مواقفهم السياسية والاقتصادية ومعارضتهم العلنية للسياسة الفرنسية بوضوح إلا في سنة 1900م، حيث صدر مرسوم ينص على إحصاء الشبان الجزائريين بقصد تجنيدهم، ثم إصدار الحكومة قرار التجنيد في فيفري 1912م، حيث وجدوا فيه وسيلة هامة للضغط من أجل الحصول على بعض الحقوق تتلخص في مجملها حول المساواة و كانوا بعيدين عن المطالبة بالاستقلال الكامل عن الوطن الأم الجزائر، لذلك يمكننا القول أن النخبة كانت تثق في الحكومة الفرنسية في باريس ووعودها وترى أن العدو الأول الجزائريين هم الكولون و هم بذلك يميزون بين فرنسا الديمقراطية و فرنسا الاستعمارية³.

لذلك لم يكن برنامجهم لا متطرفا في النظرة ولا صعبا في الطبيعة كل ما فعلته النخبة هو أنهم طالبوا من فرنسا أن تضع موضع التنفيذ ما كانت قد كتبتة على الورق بخصوص الجزائر و قد تضمن برنامجهم ما يلي:

– المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين وإلغاء قانون أهالي وغيره من القوانين الاستثنائية.

1- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 106

2- عبد الحفيظ بو عبد الله، فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية [1919/1962]، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2005، ص ص 53 54.

3- عبد الحفيظ بو عبد الله، المرجع نفسه، ص 54.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

- التمثيل النيابي للجزائريين و المساواة في التعليم و الضرائب و فرص العمل، كما يعتبر التمثيل النيابي من أهم القضايا الأساسية التي دافع عنها الشبان الجزائريون، لأن إبعادهم عن المشاركة في الحكم يعني تمكين الكولون من إدارة شؤون الجزائر¹.

وتذكر بعض المصادر التاريخية انه خلال سنة 1891م توجه إلى باريس وفد برئاسة شخصيات بارزة، من بينهم الدكتور محمد العربي بن أبي شنب و الشيخ محمد بن الرحال واللدان كانا من الشخصيات المؤثرة في الحياة الجزائرية، وقد قدم الوفد عريضة إلى الإدارة الفرنسية تضمنت مجموعة من المطالب الأساسية التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- تعميم التعليم لكافة طبقات المجتمع، وفتح الأفاق أمام التعليم العالي مع ضرورة الاعتناء باللغة العربية و الفقه الإسلامي.

- التراجع عن تطبيق قرار سبتمبر 1886م الذي ينص بإلغاء المحاكم الإسلامية واستبدالها بالمحاكم الفرنسية.

- التخلي عن فكرة الملكية الجزائرية للأموال المشاعة بين العائلة الواحدة.

- إعانة الفقراء و المعوزين و توزيع مدا خيل الأوقاف لخدمة المشاريع الخيرية.

- إلغاء قانون الأهالي الجائر.

- تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي يكون اختياريًا مع إلزامية الترقية في الرتب.

- فتح أفاق الانتخابات لكل الجزائريين و الأحكام لعامل الكفاءة لا للمساومة.

- ضرورة إشراك الجزائريين في المجلس الجنائي للنظر والتداول في الخصومات و الإحكام.

- تأسيس بنك عقاري خاص لمساعدة الفلاحة.

- الحفاظ على الملكية لصالح العام.

- تحقيق الضرائب المفروضة على الأهالي².

1- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص ص 1962 1963.

1- عبد القادر حميدة ، مزايا النخبة الجزائرية و التاريخ المضيق، لخبر 8مارس 2012، تاريخ الزيارة: 15 فيفري 2025، ص 11 ' على الساعة: 15.04، متاح على الإنترنت على الرابط التالي:

http://www.elkhabar.com/ar/archives/archives_2012/mars_2012/285181.html

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

المطلب الثالث: تصنيفاتها.

اختلف الكثير من الكتاب حول تصنيف و تقسيم النخبة الجزائرية، فهناك من قسمها إلى قسمين وهناك من قسمها إلى ثلاث أقسام، ومن بين هذه التقسيمات نجد ما يلي:

1- هناك من قسمها إلى كتلة المحافظين و جماعة النخبة:

أ-كتلة المحافظين:

يقصد بكتلة المحافظين هي بقاء الحالة الراهنة، أي الوضع الحالي لمعارضة الأفكار الغربية و التجنس و التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي و كل الخطط التي قد تؤدي إلى تغيرات المجتمع الجزائري، أما على المستوى الثقافي فإن المحافظة الجزائرية كانت تعني إبقاء على النظم الإسلامية و التعليم العربي والقيم القديمة، وقد ظهرت هذه الكتلة سنة 1900م من كل الطبقات التي نادى و حافظت على المبادئ الإسلامية حيث كانت هذه الكتلة تتكون من المثقفين أو العلماء من المحاربين القدماء و من زعماء الدين¹، وبعض الإقطاعيين و المرابطين، كما نلاحظ وجود كثير من ملامح المشتركة بين جميع أعضاء هذه الكتلة، فقد كانوا جميعا مؤيدين للوطنية و الجامعة الإسلامية وكانوا أعداء لفكرة التجنس و الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي².

و لم يكن برنامج الكتلة المحافظة معقدا كثيرا فقد كان يتمثل في النقاط التالية:

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين و الكولون.

- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات الأخرى التعسفية .

- استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي .

- احترام العادات و التقاليد الجزائرية.

1- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص145.

2- سعد الله أبو قاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرير [1962/1830]، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص68.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

كما أطلق عليهم الفرنسيون كذلك باسم المحافظين لأنهم حاولوا الحفاظ على النظم الإسلامية و تصدي للأفكار الغربية التي حاول الاستعمار تطبيقها داخل الدول الإسلامية. وكان شعار كتلة المحافظين "تعملا إصلاح بشرط المحافظة على الهوية الإسلامية". ومن أشهر رجال فئة المحافظين ،عبد القادر المجاوي¹. وعبد الحليم بن سماية²، محمد بن رجال³.....و غيرهم .

ولكن ليس كل زعماء الكتلة كانوا أعداء الإصلاح، والذين عارضوا التغيير فعلوا ذلك خوفا من أنه قد يؤدي إلى دمج الجزائر بفرنسا، كما أن المنادين إلى الإصلاح كانوا منقسمين إلى جماعتين:

القسم الأول:

أراد التغيير ولكن داخل الإطار العربي الإسلامي، بينما رفض أصحاب هذا القسم التجنيس والتعليم الإجباري الفرنسي، وطلبوا من فرنسا تنظيم المدارس العربية وعدم التدخل في العادات والتقاليد⁴.

أما القسم الثاني :

فقد ذهب إلى حد تشجيع التعليم الفرنسية للجزائريين و حمل رسالة فرنسا الحضارية في الجزائر، ولكن من الغلط أن نسمي هذا الجناح من الكتلة متطرفا لأنهم عارضوا أيضا التجنيس و الإدماج عموما⁵، مثل مولود بن الموهوب⁶.

1- عبد القادر المجاوي: يعتبر أحد قادة الإصلاح، كان أستاذ في مادة اللغة العربية و القانون الإسلامي في المدرسة العربية الفرنسية في العاصمة، وقد ساهم في النهضة الجزائرية من خلال

كتبه و محاضراته و نشاطه الصحفي، للمزيد ينظر: محمد بلعباس، **الوجيز في تاريخ الجزائر**، د ط، دار المعاصرة للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، 2009، ص14.

2- عبد الحليم بن سماية: كان أستاذ في المدرسة العربية الفرنسية بالعاصمة، وأحد أبرز الشخصيات البارزة في القومية الإسلامية في الجزائر و لقد كانت آراء همسوعة من المجتمع الجزائري بسبب

المكانة التي كان يحتلها في المدرسة العربية الفرنسية، للمزيد ينظر: محمد عباس، المرجع نفسه، ص 15.

3- محمد بن رجال: ولد في 16 ماي 1857 بمدينة ندرومة ولقد كان أدبيا و من أتباع الطرق الصوفية ويعتبر من عناصر التي أرادت فرنسا أن تجعل منه وسيطا بينهم وبين الجزائريين و لقد كان

يجمع بين الثقافتين و توظف عندهم، ولكن هذا أمر لم ينسبه تراثه وأصله الجزائري، للمزيد ينظر: سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي [1954/1800]**، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، 1998، صص 223 224 .

4- سعد الله أبو قاسم، **تاريخ الحركة الوطنية**، ج 2، المرجع السابق، ص148.

5- أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الحركة الوطنية**، ج 2، المرجع السابق ص148.

6- مولود بن الموهوب: مفتي قسنطينة حيث كانت هذه مكانة لا يتقلدها إلا من كانت له منزلة عليا في شؤون الدين و القضايا الشرعية و الإجتماعية و لقد تقلد منصب أستاذ الفلسفة و العلوم الدينية

و الأدب العربي في المدرسة العربية الفرنسية بقسنطينة، للمزيد ينظر: محمد بلعباس، مرجع السابق، ص15.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

وكانت هذه النخبة أكثر تعلقا بتقاليد المجتمع الجزائري وقد عبرت من خلال مطالبها أنها خارج الأشكال العصرية، وتدعوا إلى الحفاظ على أصالة المجتمع الجزائري¹، حيث دعت هذه الكتلة إلى تعميم وتطوير اللغة العربية و اعتبروا اللغة العربية لغة القرآن و حاولوا فرض لغة واحدة على كامل البلاد.

كان العلماء يعتقدون أن الجزائر ستعود إلى الوجود لا عن طريق العمل السياسي و إنما بواسطة الأفكار الإصلاحية الدينية، هيا وحدها قادرة على منع احتواء الشعب الجزائري و اندماجه في المجتمع الفرنسي².

ب- جماعة النخبة:

تتكون هذه النخبة من المحامين و المعلمين و بصفة عامة هم أولئك جزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية و الثقافة الفرنسية، و أرادت هذه النخبة أن تحول المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوروبي، أو هي جماعة من الناس تتميز بتفوقها العلمي لأنها حضت بالدراسة في مقاعد الفرنسيين فهي الفئة المرشحة لزيادة الأمة و قيادتها نحو الإصلاح و التنوير و الحرية، أو تلك الجماعة التي كل من الحضارة العربية و الحضارة الفرنسية والذين ضاعوا بين المجتمعين³.

2- وهناك من قسمها إلى:

أ - النخبة التقليدية:

والتي تتكون من المثقفين أو العلماء ومن المحاربين القداماء ومن زعماء الدين ومن المرابطين، حيث تكونت جماعة النخبة التقليدية في المدارس القرآنية والمدارس العربية الفرنسية والمدارس الإسلامية الحكومية، وكذا في المساجد و الجامعات، حيث حاربت هذه النخبة الاستعمار عن طريق معارضتها الشديدة للجنس و الخدمة العسكرية تحت الإدارة الفرنسية وعارضت التجديد على الطريقة الأوروبية أي الفرنسية. كما كانوا كذلك ضد الثورة في اعتقادهم بأنه ليس من السهل هزيمة فرنسا.

ب- النخبة الجديدة:

1- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية المسلحة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، الجزائر، 2003.

2- محمد حربي، الثورة الجزائرية وسنوات المخاض، تر: نجيب عياد، دط، موقع للجزائر، 2012، ص122.

3- أبوقاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص158.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

ظهرت هذه النخبة في القرن العشرين و هم أولئك الذين تكلموا اللغة الفرنسية وهجروا لغتهم وعاشوا مع الوسط الأوروبي و احتكوا به احتكاكا واسعا، وأرسلوا أبناهم إلى المدارس الفرنسية، كما أنهم كانوا شغوفين بأن يؤدوا دورا وطنيا لتطوير المجتمع الجزائري التقليدي ذو الطابع الشرقي إلى مجتمع متقدم ذو طابع غربي، وللوصول إلى هذه الغاية لم يترددوا في التزوج في كثير من الأحيان من نساء فرنسيات و أوروبيات متحدين بذلك جماعة النخبة الذين اعتبروا أن عملهم كفرا و ارتدادا عن الدين الإسلامي ولقد لجئوا إلى نشاطات اجتماعية و ثقافية لنفس الغرض¹.

3- وهناك من قسمها إلى:

أ-كتلة المثقفين ثقافة عربية إسلامية محضة:

تتكون من جماعة محافظة و سلفية وتقليدية، ومن بين أهداف هذه النخبة هو الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر وشعبها و مقاومة الاستعمار بمختلف الوسائل.

ب- كتلة المثقفين ثقافة فرنسية محضة:

من سمات هذه النخبة التنكر الدائم للثقافة الوطنية العربية الإسلامية واتهامها بالركود و الخمول و تحميلها ظلما و عدوانا و أسباب تخلف المجتمع الجزائري و تدهور أوضاعه الاقتصادية و الاجتماعية.

ج-كتلة المثقفين ثقافة مزدوجة فرنسية وعربية:

من سماهم التمسك بالأصالة الوطنية الجزائرية من جهة و الاستفادة من الثقافة الغربية المتطورة من جهة أخرى، ومن ايجابيات هذه النخبة أنها كانت تحاول تقرب من الفئتين السابقتين².

1- عبد القادر حلووش، سياسة فرنسا، المرجع السابق، ص270.

2- يحي بوعزيز، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير(1969/1954)، ملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، م2، ج2، قصر الأمم من 8 إلى 10 ماي 1948، المنظمة الوطنية للمجاهدين، قطاع الإعلام و الثقافة والتكوين، ص348.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

المبحث الثاني: إصلاحات 1919.

المطلب الأول: تعريف الإصلاحات:

اهتمام الفرنسيين بالإصلاح في الجزائر قد ازداد سنة بعد سنة فكلما تضاعف ضغط الوطنيين الجزائريين تحركت فرنسا نحو الإصلاح حيث كان هناك بعض الليبراليين والإنسانيين والتمتعافيين من الفرنسيين على الجزائر الذين كانوا ينادوننا من أجل الإصلاح في الجزائر بداية من سنوات 1900-1914م. وقد أُنذر بعضهم بأنه إذا لم تقم فرنسا بالإصلاحات فإن العنصر المقهور قد ينشد الحكم الذاتي السياسي¹، وقد بدأت فرنسا إتباع سياسة تحمل بذور الإصلاح قبل الحرب العالمية الأولى و لذلك أعلنت إحدى الصحف الفرنسية شعار "لكي تحكم الوطنيين بعدالة يجب أن تتودد إليهم"².

وفي الفترة مابين 1914-1918م كان هناك اتجاه في فرنسا قاد إلى محاولات الإصلاح في الجزائر وإيماننا بعودهم التي لم يوفى بها قبل الحرب و تقطننا منهم لازدياد الحالة سواء في الجزائر وفي فترة الحرب كان البعض من القادة الفرنسيين يخشون خطر الانفجار في أي وقت لهذا قاموا بعدة أمور من أجل إيجاد حلول للمشكل الجزائري³، ولذلك سعت فرنسا للقيام بإجراء ما فأصدرت قانون 1914 الذي ينص بزيادة عدد أعضاء الجزائريين في مجالس البلديات التي قدر عدد زيادتها ثلث كامل الأعضاء وذلك على أن يحقق المصوت شروطا خاصة حددها القانون و في نفس السنة أيضا قامت فرنسا بإصدار قرار عدلت من خلاله بعض مظاهر قانون الأهالي. ومن هنا يتضح أن فرنسا بدأت تهتم بالإصلاح الحقيقي في هاته الفترة، وما يؤكد ذلك قول رئيس الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الفرنسي: "يجب القيام بسياسة أهلية حرة تعتمد على الثقة المتبادلة و تكون واضحة جلية تلك هي السياسة التي تطابقايات السياسية الفرنسية"⁴.

1- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية [1930/1900]، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط3، الجزائر، 2008، ص259.

2- ناهد دسوقي إبراهيم، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر الحركة الوطنية الجزائرية في فترة مابين الحربين 1918-1939، نشأة المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2001، ص24.

3- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص260.

4- ناهد دسوقي إبراهيم، دراسات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص25.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

وفي سنة م1916 بعد ثورة الأوراس¹ قامت السلطات الفرنسية بإرسال لجنة تحقيق إلى الجزائر، ولقد سعت هذه اللجنة التي كانت تضم عددا من النواب الفرنسيين أن تضع حدا للعمليات العسكرية، ولكن هذه اللجنة قد وضعت في تقريرها أنه يجب إدخال جملة من إصلاحات التي تشمل ما يلي:

- دمج الجزائر في فرنسا ماليا.

- إلغاء المحاكم الرادعة.

- إعادة العمل بنظام الجماعة في القرى .

- انتخاب بدل تعيين الممثلين الجزائريين و مشاركتهم في انتخاب المجالس البلدية.

وعندما أصبح الوضع أكبر خطورة اضطر رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو²، بالموافقة على أرائه السابقة وأدرك أنه حان موعد إفساح المجال للجزائريين³، كي يتمتعوا بالمزيد من الحقوق المدنية وهذا ما ولد أمل داخل الجزائريين وظنوا أن هذا أمر حقيقة، ما جعلهم يخوضون الحرب ببسالة إلى جانب الشعب الفرنسي حتى تحقيق الانتصار⁴.

وفي 30 ديسمبر 1918م عين شارل جوناك حاكما عاما على الجزائر من جديد وفي نفس توقيت بالذات أعلن جورج كليمنصو أن وزارته قد قررت أن تضع موضع التنفيذ وبدون تأجيل الوعد الذي قدم للجزائريين. وفي نفس سنة قدمت الحكومة الفرنسية إلى المجلس الوطني مشروعا بخصوص الإصلاحات في الجزائر في أول ماي، سمي النائب ماري سموني هذا المشروع في شكل قانون يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية للجزائريين، وقد كان مشروعه في الواقع مبنيا على اقتراحات التي قدمها كليمنصو ليغ وجوناك سنة 1915م.

1- ثورة الأوراس: أثناء الحرب العالمية الأولى، كان الأشياء و التذمر فيزداد من السياسةفرنسا الإستعمارية التي عمدت إلى تسليط نوع من الإضطهاد والبطش بحق سكان الأوراس، منها إجبارهم

على المشاركة في الحرب بالتجنيد الإجباري مما أدى بروزا لعنف الثوري وظهور العصيان وعدم طاعة الإدارة الفرنسية خاصة وأنه هنا ومن تمركز الجبال من الثائرين وأعلنوها الثورة على فرنسا وعملاتها، للمزيد ينظر: محمد العيد مصر، ثورة نوفمبر 54 في الجزائر (1954-1962) (الأوراس - النمامشة) أو فاتحة النار، دارالهدى، عين مليلة الجزائر، 2015، ص.54.

2- جورج كليمنصو: رجل سياسي فرنسي الملقب بالنمر مؤسس الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي تقلد عدة مناصب في الجزائر، فشل في إنتخابات الرئاسية لسنة 1920 للمزيد ينظر: عبد

الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية و الثورة التحريرية، دارهومة، 2012، ص.88.

3 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية، المرجع السابق، ص.78.

4- أبوقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.270.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

المطلب الثاني: بنود الإصلاحات.

قانون 4 فيفري هو عبارة عن الميثاق أو الدستور الذي حدد الوضع القانوني للمسلمين الجزائريين وقد نص ما يلي:

- إلغاء قانون الغاب الذي كان يمنع على الجزائريين حق الرعي في الغابات و يفرض عليهم حراستها مجانا كما يفرض عليهم أيضا غرامة جماعية إذا حدث حريق مهما كان السبب.

- وضع حد لنهب أراضي الجزائريين الشخصية وأراضي القبائل و الأعراس الجماعية.¹

- إعطاء الحقوق لبعض الطبقات للحصول على الجنسية الفرنسية بشرط طلبها والرضا بالتخلي عن القانون الإسلامي ويشترط معرفة اللغة الفرنسية.

- حق الانتخاب والترشح للمجالس البلدية و العمالية و المالية ولقد كانت نسبة المسجلين في القوائم الانتخابية قبل هذا القانون نحو 25000 فأصبحت 21000، كما كان في المجلس العمالي ستة نواب فأصبحوا عشرة وفي المجالس البلدية تضاعف العدد و أصبح نوابها المسلمون يشاركون في انتخابات رئيس البلدية ونوابه بعدما كانوا ممنوعين.²

- لها حق شراء و اكتساب سلاح الصيد و ذخيرته مثلهم مثل الفرنسيين و كذلك حق الحصول على بعض مقاعد في وظائف الدولة، كما لا يمكنهم الحصول على هذه الوظائف إلا بالتخلي عن أحوالهم الشخصية.

- وأن يطبق هذا القانون على الذين بلغ عددهم داخل التراب الوطن الجزائري نحو أربعمئة ألف نسمة يجب أن يحصلوا على المؤهلات التالية:

¹ أن يقدم شهادة حسن السلوك.

² أن يتقن القراءة و الكتابة باللغة الفرنسية .

³ أن يكون صاحب أرض أو عمارة مسجل بأنه يدفع الضرائب.

⁴ إذا كان الشخص يملك منحة التقاعد.

1- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دط، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص13.

2- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الأولى (1920-1930)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص73.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

⁵⁻ إذا كان الشخص وسام شرف فرنسي ¹.

بالإضافة إلى هذا يشترط:

¹⁻ أن لا يقل عمره عن 25 سنة.

²⁻ أن يكون أعزب أو يملك زوجة واحدة.

³⁻ أن لا يكون له مخالفة أو له سلوك سيئ في حق فرنسا.

⁴⁻ أن يبقى مقيما في مكان واحد لمدة عامين متتاليين.

⁵⁻ أن يكون قد خدم في الجيش الفرنسي ².

مع تطبيق الشروط المطلوبة فالمدعي العام و إدارة الاحتلال الفرنسي هما اللذان لهما حق في نهاية الأمر القبول أو رفض المترشح لنيل حقوق المواطنة الفرنسية ³.

المطلب الثالث: أهم المواقف منها.

أ- موقف الجزائريين:

لقد عارض الجزائريون هذه الإصلاحات، فقد كانوا يعتبرون هذه الإصلاحات هذه الإصلاحات هي حاجز قامت به فرنسا من أجل تعطيل ووقوف في طريق التحرر. حتى جماعة النخبة التي كانت معارضة للوطنية و الاستقلال و مطالبة التجنس والإدماج لم يقبلوا هذه الإصلاحات لأنها لم تكن في مستوى التضحيات التي بذلوها ولا في مستوى الأمل الذي وضعوه في فرنسا ⁴، حيث أن هذه الإصلاحات لم تغير شيء من وضعية وحالة الجزائريين الذين ضلوا مجرد رعايا، وضلت مشكلة الجنسية و المساواة كما كانت عليه سابقا ⁵.

1- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العفون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة، المرجع السابق، ص 85.

2- يحي بو عزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص 45 46.

3- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 181.

4- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 280.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

وقد إعتبر الأهالي هذه الإصلاحات لا قيمة لها، أمام المجهودات التي بذلوها في الحرب لذلك لم يقبلوا بها و عارضوها، وطلبوا بضرورة منهم إصلاحات أخرى تكون في المستوى ما قاموا به من التضحيات¹.

كما بين فرحات عباس موقفه من هذا القانون الذي اعتبره إصلاحا متواضعا ووجه إليه اللوم لإبقاء الأهالي الجزائريين رعايا فرنسيين كما أعاب عليه أيضا استمرار القوانين منفصلة بالنسبة للمجموعتين الفرنسية و الجزائرية².

ب- موقف المستوطنون الكولون:

لقد عارض المستوطنون هذه الإصلاحات قبل ميلادها، وسخروا لمهاجمتها صحافتهم و نوابهم، وغير ذلك من وسائل الضغط و التهديد، كما أنهم حذروا بأن القانون قد يؤدي إلى دخول في حرب أهلية بين الجزائريين و الفرنسيين حيث اعتبروا هذه الإصلاحات هيا انتصار الجزائريين و معنى هذا حرمانهم من جميع الامتيازات³. لذلك قاموا بحملات عنيفة ضد الإصلاحات التي خلفها هذا القانون، كما شنوا حملة واسعة ضد الأمير خالد⁴.

ولقد اعتمد المستوطنون في تعبير عن معارضة هذا القانون بعدة أشكال مختلفة، حيث قاموا بضجة كبيرة من أجل التعبير عن رفضهم لهذا قانون حيث اجتمعت اتحادية رؤساء البلديات و بعث احتجاج شديد اللهجة ذهبت إلى حد اتهام الحكومة الفرنسية بحكومتهم بأنها اغتتمت فرصة ذهاب الكثير من المستوطنين للتجنيد و الدفاع عن الوطن الأم، كما أصدرت قوانين لإثارة الفوضى في الجزائر و محاولة القضاء و هدم الانسجام الموجود بين الأهالي الفرنسيين والجزائريين⁵.

حيث اجتمع رؤساء البلديات الذين كانوا فرنسيين و قاموا بعقد مؤتمر سنة 1920م، وطلبوا فيه بالعودة إلى سياسة جزائرية أكثر عقلانية، و طالبوا أيضا بتدعيم السلطة الناجبة للمسؤولين الإداريين في البلديات المختلطة، وبوقف حق مشاركة الجزائريين في انتخابات رؤساء البلديات⁶.

1- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري، المرجع السابق، ص52.

2- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص473.

3- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص266.

4- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص474.

5- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة، المرجع السابق، ص81.

6- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص295.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

كما كان للكتاب الفرنسيين موقف خاص من هذا القانون فهناك من انتقده بشدة وهناك من افتقده باعتدال فمثلا أنري نوتشي بتعديل حيث قال "إن قانون 1919م قد منع الجزائريين من الاستفادة من الحقوق السياسية"¹.

المبحث الثالث: حركة الأمير خالد.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

هو خالد الهاشمي بن الحاج عبد القادر² الذي عرف بلقب "الأمير خالد" و كان حفيد الأمير عبد القادر محي الدين³، ولد الأمير خالد في دمشق بالمكان الذي نفي إليه عائلته في 20 فيفري 1875م ،حيث أمضى كل طفولته في مساجدها وعلى رحاب أراضيها، كما تلقى تعليمه الأول بدمشق و تعلم على يد شيوخها⁴.

وفي سنة 1892م كانت أول زيارة للأمير خالد للجزائر بعد أن قرر والده ذلك ،حيث تحصل على منحة دراسية من طرف الحكومة الفرنسية، كما التحق بثانوية لويس لوغران بباريس ثم إلتحق بكلية سان سير في عام 1895م⁵، وقبل أن يكمل الأمير خالد دراسته سمعت الإدارة الفرنسية بعض الأخبار السيئة عن نية الأمير خالد اتجاه فرنسا، وعليه قامت الإدارة الفرنسية بوضعه تحت الإقامة الجبرية ببسعادة ولكن سرعان ما تم تصليح الأمر و رجع إلى مدرسته مرة أخرى و أكمل دراسته⁶.

حيث تلقى الأمير الخالد تعليمه و تربي تربية سليمة و صحيحة داخل أسرته، وقد كونه والده دينيا بعد حفظه للقرآن الكريم، وامتيازه في العلوم العربية والدينية. كان الأمير يتميز بشخصيته الجذابة، حيث كان يتمتع بطول متوسط واحد متر و خمسة و سبعين سنتمترا، مع إنحاء بسيط في ظهره كان له كتفين عريضتين، ذو لحية

1- ، أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 227.

2- ملحق رقم 03.

3- بوشياخي شيخ، الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية (1962/1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ص 63.

4- عبد الرحمان بن إبراهيم بن عقون، الكفاح القومي من خلال مذكرات، المرجع السابق، ص 87.

5- بوشياخي الشيخ، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 63.

6- قداش محفوظ، الأمير خالد وثائق وشهادات دراسة الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2019، ص 27.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

و صدر واسع وأنف مستقيم، حيث كان يشبه جده الأمير عبد القادر كثيرا، كما أنه فضل لقب الأمير واشتهر به نسبة تمسكه بأصوله الجزائرية¹.

وهو لم يكن من الذين يرغبون في الحصول على الجنسية الفرنسية رغم ثقافته، إنما كان يعتقد أنه ضابط يحمل لقب وطني بعد خدمته في الجيش الفرنسي²، وتحصل على درجة ضابط³ من سانسير بفرنسا عام 1897م، ولأنه رفض التجنس بالجنسية وعدم التخلي عن موطنه اعتبر ضابطا أهليا **a titre indigene**⁴، وعندما علمت السلطات الفرنسية بأن الأمير خالد علاقته بالسلطان المغربي طلبت فرنسا من السلطان تسليم الأمير لكنه رفض، فاعتبرت فرنسا أن هذا الرد بمثابة إهانة لها⁵.

ولقد اختار أمير لنضاله أربعة وسائل:

¹- الصحافة: وأنشأ صحيفة "الإقدام" التي نالت شهرة و سمعة .

²- الخطب: وقد اعتمد أمير على إلقاء الخطب في اجتماعات وملتقيات من أجل نشر نضاله و كانت هذه الخطب تدعو إلى الإصلاح و التشهير بالخونة و المجنسين .

³- المجالس المنتخبة: حاول من خلالها طرح العرائض و المطالب و نادى فيها بالمساواة وإعادة الاعتبار لأهل الجزائر .

⁴- الاتصال بالشخصيات الفرنسية و بالنواب و الوزراء و رؤساء الجمهورية⁷.

المطلب الثاني: نشاطه.

1- محمد شبوب، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) سياسية اقتصادية وإجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2015، ص15.

2- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص87.

3- أنظر ملحق رقم 2.

4- بوعلام بوسايح، اعلام المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال بالسيف والعلم (1830-1954)، د ن، الجزائر، 2006، ص223.

5- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص87.

6- جريدة الإقدام: كانت جريدة الإقدام الوسيلة المفضلة و الأداة التي إستعملها الأمير خالد و التيار الإستقلالي ككل في فضح تجاوزات الإدارة الفرنسية و سياستها التعسفية ضد الجزائريين، فهي تمثل للأمير ثلاث سنوات من الكفاح من أجل القضية الجزائرية . للمزيد ينظر: أحمد توفيق منني، هذه هي الجزائر، المجلد الثامن، طبعة الخاصة لوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص130.

7- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، ط1، دار البحث، الجزائر، د س، ص85 .

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

وفي سنة 1913م سافر الأمير إلى باريس وبدأ بإلقاء الخطب مفسرا فيها الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع الجزائري من السلطات الاستعمارية، وقد تناول في محاضراته الحديث عن برنامج الجزائر الفتاة التي دافع عنها بكل ثقة وعزيمة حيث قال "نحن أبناء الجنس ذي ماض عظيم، ولسنا من جنس وضع وحقير إذ نحن أمتنا عن سلوك طريق المستقبل التي فتحت لنا وسوف لا نتردد في الإقدام على ذلك"¹.

وفي سنة 1913م، اعتذر الأمير خالد ورفض المشاركة في المؤتمر العربي²، وكانت حجتة للرفض أنه متجه إلى دمشق، ولكنه وجها رسالة إلى أعضائه بأنه سيثبت حضوره في الجلسة الختامية³.

كما تقاربت مطالب الأمير خالد مع مطالب حركة الشبان والتي تحالفت معه و يعود ذلك لثقافته الواسعة⁴، ولقد أحدث انضمامه ضجة كبيرة داخل الإدارة الفرنسية لأنه يعتبر العدو الأكبر لهم، لأن الشعار الذي كان ينادي به مع حركة الشبان كان بمثابة تحريض السكان ضد السلطات الفرنسية، ولهذا صرح رئيس بلدية الجزائر قائلاً: "بأن حركة الشبان الجزائريين وحركة الأمير خالد هي عبارة عن محاولة إعطاء فرصة برجوازية إسلامية لكي يكون عندهما الشهرة و السلطة".

وفي سنة 1914م قرر الأمير خالد تشكيل الإتحاد الفرنسي و كان الهدف الأول من تكوين هذا الإتحاد هو التعاون بين فرنسا و العرب، ولكن مطالب الإتحاد لم تكن مطالب جديدة بل كانت نفس المطالب حركة الشبان الجزائريين، التي تطالب بتمثيل الأهالي في المجالس المحلية، وفي البرلمان الفرنسي و.... وغيرها من المطالب، حيث يعتبر هذا الإتحاد هو البداية الأولى لتشكيل فيدرالية النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1927م⁵.

و لقد حاول الأوروبيين التصدي لمطالب الأمير خالد وحركة الشبان الجزائريين لأنها تهدف إلى طرد الفرنسيين من الجزائر، كما قال رئيس البلدية كذلك: "ينبغي منع الجزائريين من الحصول على أي تمثيل

1- بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي، ط2، دار النفائس، بيروت 1984، ص104.

2- المؤتمر العربي: تكون هذا المؤتمر من خمسة أشعاب عرب كانوا يدرسون في باريس إنعقد سنة 1913، في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع سان جيرمان برئاسة الشيخ عبد الله الزهراوي، بهدف مقاضاة الدولة العثمانية في حقوق العرب، في ظل الخلافة العثمانية، ينظر: مؤلف مجهول، المؤتمر العربي الأول، د ط، مطبعة اليوسفور، القاهرة، مصر، 1913، ص5.

3- حكم بن الشيخ، الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912-1936، د ط، دار العلم والفنون، الجزائر، 2013، ص60.

4- محفوظ قداش وجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص27.

5- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص207.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

سياسي، لأن قبولهم في أي هيئة اتحادية يعني خلق و تدعيم حركة وطنية من الشباب ضد الإحتلال الفرنسي¹.

وعند إعلان الحرب العالمية الأولى تطوع الأمير خالد فيها، بالرغم من أن فرنسا كانت تشك فيه وموجهة كل الأنظار عليه، إلا أنه جند ضمن القوات التي نقلت إلى فرنسا²، كما عاد إلى الجزائر بعد حصوله على الإعفاء من الخدمة العسكرية بعد تعرضه لوعكة صحية كان سببها مرض السل الرئوي في سنة 1915م³.

في عام 1917م، شارك الأمير خالد في مؤتمر رابطة الحقوق للإنسان التي كان مقرها في باريس، وحاول من خلالها عرض قانون التجنيد الإجباري الذي أصدرته السلطات الفرنسية، وقد شكل مع مجموعة من زعماء أمثال ابن التهامي عباس، مصطفى الحاج موسى.... وغيرهم هيئة تحت مسمى رابطة وحدة النواب المنتخبين المسلمين لكي تكون لسان الشعب الجزائري وإيصال صوتهم، أي دفاع عن حقوق الأهالي⁴، ولقد نادى هذه الرابطة بمجموعة من مطالب وهي كالتالي:

-وضع حد للهجرة الأوربية في الجزائر.

-تحقيق المساواة الكاملة بين الجزائريين و الفرنسيين .

-إلغاء المحاكم العرفية و المحاكم الزجرية وتطبيق القانون المدني العام بكامله.

-إعلان العفو على المسجونين و المنفيين في الجزائر⁵.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، تأسست مجموعة من جمعيات في شتى المجالات الثقافية والتعليمية.... وغيرها، حيث كان الهدف الأول لهذه الجمعيات هو العمل على تحقيق المساواة وهذا ما أدى إلى انضمام عدد كبير من المسلمين، كما كانت تخضع هذه الجمعيات أيضا إلى الرقابة من تحت السلطات الاستعمارية ومن ضمن هذه الجمعيات توجد جمعية الإخاء الجزائري، والتي كانت تعمل على تحقيق المساواة و

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص27.

2- محمد قناش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، د ط، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص121.

3- قداش محفوظ، الأمير خالد وثائق، المرجع السابق، ص27.

4- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ص13.

5- محمد بلعباس، الوجيز في التاريخ الجزائري، د ط، دار المعصرة، د ب، د س، ص18.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

الدفاع عن مصالح المسلمين و قضاء على السياسية الفرنسية التعسفية التي طبقت ضمن قانون الأهالي، كما عملت الجمعية كذلك على إيجاد تمثيل برلماني يمثل المسلمين¹.

وفي 1919م، قام الأمير بتشكيل وفد من أجل المشاركة في مؤتمر الصلح الذي نظم بباريس، وكان الغرض من المشاركة هو عرض مطالب التي نادى بها الشعب الجزائري، كما قام الأمير خالد بتسليم رسالة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون² woodrowwilson³، التي كان مصادق عليها من طرفه⁴

كما قام الأمير بتنظيم اجتماعا حضره مجموعة من الجزائريين المسلمين لتوقيع احتجاج موجه للرئيس ويلسون و إلى المؤتمر العام للسلم، موضحا فيه عن السياسة الفرنسية التعسفية المطبقة داخل الجزائر و مطالبة بالاستقلال و التخلص من الاستعمار⁵.

وفي 19ماي من نفس السنة شكل الأمير خالد وفدا من جماعته وتوجه مباشرة إلى ساحة فرساي من أجل لقاء الدول المنتصرة وتذكيرها بوعودها التي وعدت بها الجزائريين ولتطبيق مبادئ ولسن أربعة عشر، لأن من أهم أفكاره كانت تنادي حق الشعوب في تقرير مصيرها، وبعد فشل الوفد في تحقيق أهدافه علم الجزائريين أن هذا الشيء مجرد كذبة طرحها الاستعمار الفرنسي⁶.

لقد شارك الأمير الخالد في العديد من الانتخابات، أولها انتخابات البلدية سنة 1919م التي نادى فيها بضرورة توحيد الوطنيين الجزائريين، كما تكلم كذلك على تكوين حزب إسلامي، وقد سببت هذه التصريحات مخاوف لدى والي الجزائر لوفير **lofiour** وهذا ما جعله يعيد التفكير في المطالب الموجودة في قانون 4 فيفري 1919م المتعلقة بالجنسية الفرنسية والتخلي عن الأحوال الإسلامية، و هذا ما أدى إلى ظهور موقفين حول حركة الشباب الجزائريين، حيث كان أصحاب الموقف الأول الذي كان يضم الدكتور بن التهامي و المحامي بضربة مؤيدين لموقف الوالي. أما الأمير خالد و حاج موسى أصحاب الرأي الثاني عارضوا الوالي و طالبوا

1- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في التاريخ الجزائري، المرجع السابق، ص87.

2- أنظر الملحق رقم 04.

3- تعريف ولسن: (1856-1924) هوسياسي وأكاديمي شغل منصب 28 للولايات المتحدة الأمريكية في فترة [1913-1921]، شارك في مؤتمر الصلح سنة 1919م وكان خلال الرئاسة أحد أهم

رموز الحركة التقدمية في البلاد، للمزيد ينظر: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، ط3، دار العرار، الجزائر، 2013، ص168.

4- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص219.

5- محفوظ قداش، الأمير خالد وثائق وشهادات، المرجع السابق، ص35.

6- أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، د س، ص163.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

بالجنسية دون التخلي عن الأحوال الإسلامية، فبعد إجراء الانتخابات نجح الأمير خالد، لكن في نهاية الأمر ألغيت الانتخابات لأنه أتهم باستعمال نفوذه الديني و تأمر ضد السلطات الفرنسية¹.

وفي زيارة قام بها رئيس الجمهورية ألكسندر إلى الجزائر، التقى مع الأمير خالد بعد محاولات عديدة في طلب المقابلة في مسجد سيدي عبد الرحمان، حيث عرض عليه الأمير بحرية البلاد للشعب الجزائري و بتمثيل المسلمين في البرلمان الفرنسي حيث أكد له أن الجزائريين لن يصل صوتهم إلى فرنسا دون التمثيل النيابي في المجالس الفرنسية ولقد رد الرئيس ألكسندر على الأمير قائلا: "إنه ينبغي التآني و انتظار قطف ثمار إصلاحات 1919م"².

المطلب الثالث: مصيره.

وفي سبتمبر 1922م قرر الاستعمار الفرنسي القضاء على آمال الأمير خالد مستعملة ضده حجة التزوير في الانتخابات، كما قامت أيضا بتحريض الذين يملكون الجنسية الفرنسية ضد الأمير خالد وتشويه سمعته، كما عمل وسائل الإعلام الأوروبية بوصفه مهرج ومحرض على حرب أهلية وعميل للحزب الاشتراكي. حيث يعود سبب وراء عداوة فرنسا للأمير خالد هو تقاربه لأعضاء نجم شمال إفريقيا و اهتمامه كذلك بالأمور السياسية التي لها علاقة بالجزائر³.

ولهذه الأسباب قرر الحاكم ستيف **thèoooresteeg**⁴، الذي ينتمي إلى الحزب الراديكالي باتفاق مع والي الجزائر بنفي الأمير خالد، وإبعاده وبعد قرار خفف الأمير نشاطه داخل الجزائر بسبب المتضايقات التي كانت من طرف الإدارة الفرنسية. وفي يوم 11 أبريل 1923م أعلن الأمير خالد عن ذهابه إلى سوريا، حيث كان هذا قرار سبب في انتهاء المعركة الانتخابية⁵.

ولقد كان خبر نفي الأمير خالد صدمة كبيرة، حيث صرحت جريدة لوباريا **loporia** عن هذا الخبر مدافعة عن الأمير خالد، ولقد فسرت سبب هزيمة الأمير خالد هو خيانة أصحابه له بعد أن حصلوا على رشوة

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص221.

2- عمار بوحوش، المرجع نفسه، ص221.

3- عمار بوحوش، المرجع نفسه، ص224.

4- الحاكم ستيف: حكم الجزائر في فترة [1921-1925] عرف في الجزائر بوالى الماء لإمتناعه ببناء السدود كسد وادي الفضة بينما عرف في المغرب مقيم السلم لإبرامه السلم مع الأمير عبد الكريم

الخطابي للمزيد ينظر: عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة الجزائرية، ج1، دار الهومة، الجزائر، 2012، ص120.

5- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، المرجع السابق، ص226.

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للإتجاه الإدماجي.

من طرف السلطات الفرنسية، حيث قيل في حق الأمير خالد "أنه فضل المنفى على أن يبيع نفسه". كما صرحت كذلك جريدة التقدم عن رأيها قائلة: "إنه كان رمز التحرر الذي يحرك السكان الأهالي، في تونس و الجزائر كما أنه بالنسبة للرأي العام المسلم البطل".

كما أن أصدقائه فكان لهم رأي آخر بعد استغرابهم لرحيله، حيث فسروا رحيله بأنه تخلى عنه، أما السلطات الفرنسية فقد عبرت عن فرحتها بشأن هذا الأمر قائلة: "إنه كان رمز التحرر الذي يحرك السكان الأهالي، في تونس و الجزائر كما أنه بالنسبة للرأي العام المسلم البطل".

كما أثر نفي الأمير على عدة أعمال منها سير أعمال الشبان الجزائريين، كما أنهم تخلو عن مبادئهم و مثلمهم الأولى، حيث أصبحوا أكثر هدوء وعقلانية على عكس ما كان معهم الأمير خالد، حيث تم هزيمتهم في كثير من المواقف و مثال ذلك أنه لم تتمكن لجنة الدعاية الانتخابية تأدية مهمتها في جيجل، لأنها طالبت بعودة الأمير خالد، أما في قسنطينة نجح موسى بعد تخليه عن مبادئ الأمير خالد، كما أعلن في سنة 1925م انه يدعم السياسة الفرنسية و خروجه عن مبادئ الأمير خالد¹.

لكن الأمير خالد رغم نفيه و بعد كل الهزائم التي تعرض لها لم تتراجع عزيمته ويفقد الأمل، بل بدأ نشاطه في منفاه في الفترة التي كانت فرنسا تحت رئاسة رئيس مجلس الوزراء هيريبو **hiripou**، وخلال سنة 1924 م وجه الأمير خالد إلى سيد جملة من المطالب التي كان ينادى بها في كل مرة ولم يتخلى عنها وهي كالتالي:²

¹- التمثيل في البرلمان بالتساوي بين الأوروبيين و الجزائريين.

²- إلغاء الكامل و التام لقوانين و إجراءات الاستثنائية بالمحاكم القمعية .

³- التساوي في الحقوق والواجبات فيما يتعلق بالخدمة العسكرية.

⁴- التطبيق التام على الجزائريين بقانون التعليم الإجباري .

⁵- حرية الصحافة و الجمعيات.

⁶- أن يطبق على الدين الإسلامي عزل الكنائس عن الدولة.

1- محفوظ قداش وجيلاني صاري، الجزائر صمود ومقاومات، المرجع السابق، ص 144-149.

2- محفوظ قداش، المرجع نفسه، ص 148.

وفي 17 ديسمبر 1924 عقد أول اجتماع مغاربي من نوعه بعد أن سمح له الرئيس هيريو بالعودة إلى فرنسا، حيث كان هدف من هذا الاجتماع هو الإطلاع على الأوضاع الاقتصادية و الثقافية و السياسية للمغرب العربي، كما كان أول مؤتمر لعمال شمال إفريقيا بتحديد في 7 ديسمبر 1924 م الذي كان يهدف إلى تحقيق مطالب الأمير خالد، وفي سنة 1925م سافر الأمير خالد للجزائر في مؤتمر إسلامي وكرئيس للجنة الخاصة بالخلافة في الإسكندرية ².

1- محمد الصالح الصديق، الرافضون عبر التاريخ، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص188.

2- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص148.

الفصل الثاني:

نشأة الاتجاه الإدماجي وردود

الفعل.

الفصل الثاني: نشأة الاتجاه الإدماجي وردود الفعل.

المبحث الأول: نشأة الإتجاه الإدماجي وردود الفعل.

المطلب الأول: تعريف الإدماج "لغة-إصطلاحاً".

المطلب الثاني: الفرق بين الإدماج والإندماج.

المطلب الثالث: نشأة الإتجاه الإدماجي.

المبحث الثاني: أبرز قادة الإتجاه الإدماجي.

المطلب الأول: محمد صالح بن جلول.

المطلب الثاني: فرحات عباس.

المطلب الثالث: حكيم سعدان.

المبحث الثالث: مطالب الإتجاه الإدماجي وردود الفعل.

المطلب الأول: مطالب الإتجاه الإدماجي.

المطلب الثاني: موقف الطبقة السياسية من الإتجاه الإدماجي.

المطلب الثالث: موقف الكولون من الإتجاه الإدماجي

المبحث الأول: نشأة الاتجاه الإدماجي.

المطلب الأول: تعريف الإدماج [لغة - اصطلاحاً].

لغة:

أدمج يدمج، إدماجا، فهو مدمج، والمفعول مدمج، أدمج الشيء في الشيء دمج فيه، أحكم إدخالها أو خلطها أو ضمها معا، وحدها "أدمج فقرة في الفصل"، أدمج الحبل، أجاد فتلته، أدمج كلامه:

¹ أبهمه، لم يبينه "يتكلم فيدمج كلامه لشدة خجله".

² أحسن نظمته، أجاد سبكه وإحكامه.

اصطلاحاً:

¹ الإدماج هو موقف أو ميل أو سياسة دمج جميع الناس في المجتمع بهدف مشاركتهم و المساهمة فيه و الاستفادة من هذه العملية.

² من خلال ما تم التطرق له من طرف المؤرخين لتعريف الدمج حسب أبو قاسم سعد الله، أو مصطلح الإدماج حسب رأي مالكي و بوعزيز وغيرهم توصلت إلى أن الإدماج يشترك في البيئة اللغوية ويختلف في المعنى و المدلول الذي يقصده¹.

المطلب الثاني: الفرق بين الإدماج والاندماج.

كان مصطلح الإدماج في البداية يستخدم بشكل رئيسي في المصطلحات القانونية ليفهم على أنه عملية قانونية يرمي إلى دمج الأفراد أو الجماعات في إطار أكبر ومع مرور الوقت تطور هذا المفهوم ليصبح لديه أبعاد ثقافية، حيث أصبح يشير إلى العملية التي يتم من خلالها استيعاب الأشخاص أو الجماعات المدمجة داخل المجتمع الأوسع ولكن في كثير من الأحيان كانت عملية الدمج تجعل المدمج يفقد هويته الأصلية ويصبح جزءا من الكل، مما يعني أن خصائصه الثقافية التي يتميز بها قد تخفت و تزول في ثقافة الغير.

كما أن الإدماج في بعض الأحيان يرتبط بالمفاهيم القومية و العرقية، كما يمكن أن يصنف ضمن السياقات الإمبريالية¹، كما أنه ينظر إلى الفرق المدمجة على أنها الآخر الذي يعتقد أنه يحمل إرثا ثقافيا متخلفا وغير حضاري كما أن هذه النظرة تخلق نوعا من التفوق الثقافي على الآخر، كما أنها تحاول فرض ثقافة أو هوية معينة على الجماعات المدمجة مما يبعث تساؤلات حول التأثيرات الإدماج على الهوية الفردية و الجماعية².

كما أن مفهوم الإدماج هو مصطلح متعدد الأبعاد يتراوح بين البعد الاجتماعي و السياسي و الثقافي، حيث تطور مفهوم الإدماج بشكل متسلسل على مر السنين في العديد من الدول الأوروبية، وشهد تغيرات كبيرة خلال الفترة الممتدة من 1880م إلى 1950م.

في بداية الأمر كان الإدماج يشير إلى إدماج الأقليات أو المجموعات المهمشة في المجتمع في مجالات اجتماعية أي من خلال توفير الحقوق والفرص المتساوية وظهر هذا في فرنسا و الولايات المتحدة الأمريكية .

حيث أن التغيرات التي طرأت على مصطلح الإدماج عبر الزمن تبرز تطور السياسات الإدماجية التي تهدف على إدماج مختلف الهيئات السياسية و الاقتصادية وسط مجتمع واحد مع تحقيق المساواة والفرص المتكافئة³.

إلا أن الإدماج كانت فكرته الأولى هي فكرة دمج المستعمرات ومنها الجزائر في البلاد الأم، ويقصد من هذا القضاء على الخصائص الطبيعة للبلاد المستعمرة و استغلال مواردها البشرية والمادية لفائدة البلاد الأم⁴.

1-schnapperdominique .Qu 'est ce que l'integration ? editions gallimard .2007.240 pages.p13

2-مجلة الفطاس للدراسات الفكرية و الحضارية، العدد الثاني، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، جانفي 2015، ص ص 257 268.

3-schnapperdominique.Qu'est ce que l'integration ? Op, cit.p13

4- سعد الله أبو قاسم، أبحاث وإراء في تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1900، ص 97.

ولقد عرف أحمد محساس الإدماج قائلا: "أن الإدماج يعني أولا إدماج إقليم الجزائر بفرنسا ولا يطبق إلا على الفرنسيين والأوروبيين المجنسين و يعترف لهم بالحقوق وحريات المواطنين"¹.

أما أبو قاسم سعد الله يرى أن كلمة الاندماج - يعتقد أنه كان يريد أن يقول الإدماج- ترددت كثيرا خلال القرن التاسع عشر في الصحف و النشرات والخطب الفرنسية، وكان يقصد بها تطبيق النظم الفرنسية على الجزائر من إدارة وتعليم وقوانين و..... وغيرها من النظم.²

كما يعرف الاندماج بأنه العملية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يتأقلم مع بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها وذلك بالعمل على قواعدها ونظمها وهذا بتعلم و إدخال كل أشكال السلوك وطرق التفكير و استيعاب ثقافة المجتمع لتصبح جزءا من شخصيته³، فالاندماج الاجتماعي هو مظهر من مظاهر التنشئة الاجتماعية أين يتطبع الفرد بسمات ثقافة المجتمع ويتكيف معا ليتوافق مع أفرادها ويتفاعل معهم بانسجام ويشعر بالانتماء الحقيقي إليهم على أن يكون ذلك في إطار من الاعتراف الاجتماعي حيث تشهد الجماعة بفاعلية دور الفرد ضمنها⁴.

وهناك من يرى أن الاندماج يكون عندما يكون الشخص لا ينتمي إلى الثقافة المحلية كما هو الشأن بالنسبة للمهاجرين و هو ما يراه غاستون ميالاري، أين يعرف الاندماج بأنه السيرة التي تكمن في الرغبة في تزويد الشخص الغريب عن الثقافة التي هو مدعو إلى العيش في كنفها بالعناصر الأساسية "المعارف والمواقف وطرق التفكير..." التي من شأنها أن تجعله يبدو بمثابة شخص سوي من منطلق قواعد السلوك و العادات في المجتمع المضيف والمستقبل، أن يكون الشخص مطالب بالتخلي عن ثقافته الأصلية والذوبان في الثقافة الأصلية⁵.

ومن هنا يظهر الفرق بين الإدماج **Lassimilation**، والاندماج **Lintégratio**، أول فرق بين

المصطلحين هو أن الإدماج أمر غير ضروري ويكون جماعيا، ويطبق من قبل سلطة ذات سيادة، أما الاندماج فهو فعل إداري فالإدماج مفهوم واسع يشمل الإنسان ومجالات الحياة، كما أن الاندماج ماهو إلا جزء من

1-Mahsas Ahmed, le mouvement révolutionnaire en algérie : de la 1ere guerre mondiale a, 1954, editions barakat, alger, 1990, p33

2- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 6 دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 368 456.

3-eriksome, adelsence et crise, la quête de l'identité, filmarien, paris, 1972, p100.

4- جمال أبو شنب، بناء الشخصية والتفاعل في الجماعة التعليمية، د ط، دار المعرفة الجامعية، الأزرقية، 1996، ص 236.

5- غاستون ميالاري، التعددية الثقافية والتربية في القرن الحادي والعشرين، تر: محمد بن الشيخ نقلا عن :

Http : www. fikrawandaljabriabed.net /n 12 ben chekh.htm، يوم 21/02/2025 على ساعة 18:43.

الإدماج ويقول أحمد طالب الإبراهيم يفي هذا الصدد: ".....في الشرائع الاستعمارية الفرنسية بالجزائر مذهب كانوا يسمون جانبه التأثيري الإدماج وجانبه التأثيري الاندماج ومعناه القريب من معنى التركيب المزجي"¹.

المطلب الثالث: تعريف الاتجاه الإدماجي.

لقد ظهر التيار الإدماجي في 11 سبتمبر 1927م، ومن أنصار هذا الاتجاه بلقاسم بن التهامي والدكتور و ربيع الرناتي، أسس بن التهامي سنة 1927م هيئة تجمع أنصار هذا الاتجاه وهي [ف م م ج]، وخلال الثلاثينات برز من هذا التيار شخصيتان هما صالح بن جلول وفرحات عباس²، كما أن هذا الاتجاه لم يكن من أيادي جزائرية محلية في خلفياته الإيديولوجية و منطلقا ته الفكرية، بقدر ما كان نتيجة سياسية استعمارية انتهجتها فرنسا الاستعمارية³.

وفي 22 جويلية 1834م أصدرت الحكومة الفرنسية قرار ينص، على أن الجزائر أرض فرنسية مقسمة إلى ثلاث عمالات تخضع لسلطة الوالي العام في العاصمة، حيث تقسم كل عمالة إلى دوائر وبلديات على النمط الموجود في فرنسا وكل عمالة لديها نائب يمثلها في المجلس الفرنسي .

لم يكن الهدف الاستعمار أرض الجزائر بل كانت أطماعه أكثر من ذلك وصلت حتى الطمع في الإنسان الجزائري الموجود على أرض الجزائر، حيث اعتبر الأرض مجالا لتطبيق كل قيم ونظم الجديدة بعدما ما كان انتهى من تحطيم البنية الاقتصادية والاجتماعية وكل هذا من أجل استبدال القيم العربية الأصيلة السابقة بقيم جديدة أوروبية، وكذلك الانتقال السلوكيات الأوربية التي أصبحت واقعا مفروضا على الجزائريين حتى وإن كانوا ضدها ولا يريدونها، لكن مع مرور الوقت لن يتم هذا الرفض لدى الأجيال القادمة التي سوف تنمو في ظل هذه السياسة المختلطة الأوربي والعربي، وهذا ما راهنت عليه السياسة الاستعمارية حيث يعتبر هذا شرط من شروط الدول المحتلة من أجل فرض قوتها وتوسع على حساب الدول المحتلة لتكون مستعمرة فرنسية شكلا ومضمونا

1- الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص350.

2- سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830 - رواد الكفاح السياسي والإصلاحي [1900-1945]، ج 2، ط 2، دار الأمل، الجزائر، 2004، ص 32.

3- أحمد مالكي، الحركات الوطنية والإستعماري في المغرب العربي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 169.

وتلك هي سياسة الإدماج ولقد كانت الجزائر الضحية الأكبر لدى فرنسا من أجل تجريب هذه النظرة، حيث طبقت فرنسا على أرض الجزائر كل الأساليب لتعزيز حركتها الاستعمارية¹.

وفي سنة 1848م أصبحت الجزائر رسميا كواحدة من المقاطعات الفرنسية، كما يعتبر عام 1848م بداية عهد الجمهورية الثانية التي امتدت إلى غاية 1852م التي تعتبر أن الجزائر ثلاث مقاطعات فرنسية حيث لا يهدف هذا الدمج إلى الدمج القانوني فقط، بل يهدف أيضا إلى الدمج في شتى المجالات الأخرى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث قسمت الجزائر إلى ثلاث ولايات عسكرية بدل المجالات العسكرية القديمة، وعلى رأس كل ولاية والي مدني بالإضافة إلى قائد عسكري للولاية وبالرغم من الخلافات الكبيرة التي كانت بين السلطتين أي المدنية والعسكرية إلا أنها بقيت السلطة العليا بقيادة القائد العسكري².

ولقد ظلت السيطرة العسكرية هي البارزة، ودليل على ذلك أنه يسمح للحاكم العام أن يوقف عمل المجلس البلدي دون فتحه، ومن الواضح أن هذا التغيير لا يمس إلا الفرنسيين الذين يريدون الاندماج، أما الجزائريون فقد ظلوا يحكمون من قبل المكاتب العربية و كانت أمورهم تابعة لوزارة الحربية، كما شمل هذا الدمج عدة جوانب أخرى كالقضاء³.

ولقد كانت للثورة الفرنسية جملة من مخلفات ومن بينها أنها حكمت بإبعاد العناصر السياسية التي كانت توجد بالجزائر، كما كانت هذه العناصر السياسية ذو اتجاهات مختلفة ومعادية للنظام الجديد، ومثال ذلك الحدث الذي وقع سنة 1852م، حيث أتت سفن الفرنسية إلى الجزائر محملة بعدد من المعارضين للعائلة النابوليوية، إلا أن المهاجرين في هذه المرة لم يكونوا من أوغاد المدن، بل هم من الفئة المثقفة والمتعلمة...، وبذلك ساهموا في إثارة العداوة نحو الجزائريين وناصروا فكرة الإدماج، وهي الفكرة التي يقصد بها حكم الجزائر بالقوانين الفرنسية وتطبيق النظم والمبادئ المعمول بها في فرنسا على فرنسي الجزائر⁴.

ولقد كان هذا الاتجاه يضم الطبقة المثقفة والتي عرفت بالنخبة الجزائرية التي كانت ترمي للتجنس وإدماج الجزائريين مع الفرنسيين، حيث أنه أثناء الحرب العالمية الأولى التي كانت سنة 1914م إلتهى نجم النخبة في

1- الطاهر غول، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية (1919-1954)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم

الإجتماعية والإنسانية، جامعة حمة لخضر، الجزائر، 2013/2014، ص ص 77 78.

2- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص320.

3- أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص321.

4- المرجع نفسه، ص320.

الحرب و مجرياتها و نسي المطالب التي كان يسعى إليها، ولكن سرعان ما عادت النخبة على وجه الأرض من جديد، ولكنها ظهرت بحلة وصورة جديدة، كما أنها وافقت هذه النخبة التي كانت تمثل الاتحاد الليبرالي وتطالب بالتجنيس دون قيد أو شرط، وهذا الأمر جعل الجزائريون يفقدون ثقتهم فيها بعد أن اتخذت هذا القرار، وبقيت تعمل عن إيجاد مخرجاً لها من العزلة التي أقرتها على نفسها¹.

إن نهاية الحرب العالمية الأولى هي الفترة التي ظهرت فيها النخبة بوضوح، إذ يربط بعض من الباحثين النخبة سياسياً بالانتخابات التي أجريت في سبتمبر 1919م التي كانت بزعامة الأمير خالد²، ولقد كانت النقطة الرئيسية هي مشكلة الأحوال الشخصية، هي التي أدت إلى فكرة الإدماج والتجنيس الجماعي بغض النظر على قضية الدين وهو ما أدى بهذه الجماعة إلى فقدان موقعها وهيبته لدى الجزائريين. وهذا الموقف أدى بالجزائريين إلى فقدان ثقتهم بالنخبة، وفي سنة 1927م أسس الليبراليون الاندماجيون منظمة خاصة بهم تحت اسم "اتحاد النواب الجزائريين"³.

إن فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين هي عبارة عن جمعية سياسية تتشكل في الأساس من الشخصيات الفعالة المثقفة باللغة الفرنسية والتي كانت تتصف بالاعتدال وتتنبئ الوسائل السلمية و الدبلوماسية من أجل الحصول على حقوقها السياسية والمدنية، كما أنها رشحت نفسها على أنها ممثلة للمسلمين الجزائريين في المجالس المنتخبة⁴.

كما تعتبر اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين هي امتداد لحركة الشبان الجزائريين التي تأسست في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما أنها تمثل الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية⁵. والتي ظهرت كرد فعل على ذلك التنظيم القوي الذي شكله رؤساء البلديات بعد الحرب العالمية الأولى لمواجهة قانون 4 فيفري 1919م، ولقد وصفها أحد الكتاب قائلًا: "توحيد و تنسيق جهود الممثلين الجزائريين في مختلف المجلس النيابي للدفاع عن مندوبهم"⁶.

1- يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919-1939)، د طدار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 12.

2- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 12.

3- يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 13 14.

4- عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، ط 1، دار الطليعة، الجزائر، 2009، ص 139.

5- بشير بلح، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 235.

6- عبد الرحمان بن محمد الجبالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، دط، شركة دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 221.

ولقد كانت جمعية فيدرالية المسلمين الجزائريين تطالب بجملة من مطالب وهي: زيادة تمثيل المسلمين في المجالس الانتخابية، والمساواة التامة في الخدمة العسكرية وإنهاء المحاكم الخاصة بالمسلمين و اشتراك المسلمين في التشريع وإصلاح نظام الغابات والتوسع في التعليم، وتحسين الظروف الجزائرية في شتى المجالات، وتحسين أجور العمال¹.

وفي 11 سبتمبر 1927م اجتمع أعضاء الحزب الليبرالي في العاصمة الذين كانوا في حوالي عدد 150 شخصا الذي كانوا يرأسهم بومدين عضوا في بلدية الجزائر، والذين كانوا يؤمنون بالتعاون مع فرنسا و كانوا أيضا متوازنين في مطالبهم السياسية والاجتماعية وفي نفس الوقت كانوا مؤيدين ومتحمسين للاندماج والثقافة الفرنسية والعمل على النظم الفرنسية².

ولقد أعطت الرئاسة لابن التهامي النائب بالمجلس العمالي لعمالة الجزائر ومدير جريدة التقدم، حيث نشر في جريدة التقدم قائلا: "أن أهم مطلب للجزائريين هو تمثيلهم في البرلمان الفرنسي"، حيث صرح كذلك في الجرائد أخرى و أكد على ارتباط الأهالي الجزائريين بفرنسا سيكون قوي³.

وفي سنة 1926م عين مورييس فيوليت⁴ واليا عاما على الجزائر كما قام النواب الجزائريين بدعته خاصة عندما قام بتوجيه نداء للفرنسيين قائلا: "أن الاستعمار ليس من واجبه الحصول على المال والغنى فقط بل التقليل من تشدهم و أيضا حفظ ومساعدة و إنقاذ الشعوب المقهورة على الفقر والعناء"⁵.

1- عبد الرحمان بن محمد الجبالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه، ص 221.

2- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 352 356.

3- علي كافي، مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1953-1962)، دط، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص 45.

2- مورييس فيوليت: كان حاكما عاما على الجزائر في الفترة [1925-1927] وكانت سياسته مطابقة لسياسة المنتخبين، كما قام على العمل بتحسين ظروف المعيشة على الجزائريين تمديدا فيعمر

مستعمرة الجزائر الفرنسية، كما ينتمي كذلك للحزب الاشتراكي الفرنسي وعضو في مجلس الشيوخ الفرنسي و ساهم في الحياة السياسية الفرنسية، للمزيد ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 340.

5- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج 2، المصدر السابق، ص 165 166.

كما قامت هذه الجماعة سنة 1930م بإنشاء اتحادية المنتخبين الجزائريين بزعامة الدكتور ابن جلول والتي كان لها فروع في جميع أنحاء القطر الجزائري¹. كما أن هذه الاتحادية لم تطالب بمطالب جديدة على غير عادة بل كانت مطالبها استمرارية لجمعية النواب المسلمين الجزائريين².

ولقد شهدت اتحادية العاصمة انقسام في تلك الفترة إلى طرفين أحدهما كان بقيادة الدكتور ابن التهامي، في حين أن الآخر كان بقيادة المندوب المالي الدكتور سياح ويعود السبب في هذا الانقسام هو الخلافات التي حصلت بين العناصر النشيطة في كل من الطرفين، مما أثر على نشاطات الإتحاد و أدى إلى تعرض ابن التهامي رئيس الإتحاد إلى جملة من الانتقادات.

وفي نفس السنة شهدت الاتحادات في مختلف العملات الثلاث تغيرات واضحة، في وهران أصبحت الرئاسة بزعامة باش ترزيوفي الجزائر العاصمة برئاسة محي الدين بوضربة وشيكيكينا عمالة قسنطينة بقيت برئاسة سيسان، كما انضمت إليها فيما بعد مجموعة من عناصر الجديدة الفعالة أمثال ابن باديس و الأب يعقوب و ابن جلول، ولكن في شهر جوان من عام 1930م قررت اتحادية قسنطينة الانفصال عن اتحادية العاصمة، ورغم التغيرات التي طرأت في القيادة إلا أن مطالب السياسية و الاجتماعية لم تطرأ عليها أي تغيرات بل بقيت نفسها³.

كما بقيت الاتحادية تدعو إلى دمج الجزائريين في فرنسا مع الحفاظ على الهوية الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بنظم وقوانين الأحوال الشخصية للجزائر⁴. وفي عام 1930م تم انضمام الدكتور ابن جلول إلى اتحادية قسنطينة، مما أدى ذلك إلى حدوث صراعات شديدة بين عائلة ابن جلول وعائلة بن باديس في مجالس الانتخابات والمجالس العامة.

1- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر لحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 195.

2- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، المرجع نفسه، ص 418.

3- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص 341.

4- رايح تركي عامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956)، ط2، الشركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1981، ص 99.

ولقد كان ابن جلول و أصحابه يصفون سيسبان و محمد بن باديس بـ"جماعة بني نعم" كما عملوا جاهدين على فصل الشريف سيسبان¹ من رئاسة الاتحادية في عام 1931م².

ورغم أن الحركة الوطنية في شخصية الأمير لم تتمكن من تحقيق أهدافها على أكمل وجه فإنها كانت بمثابة نقطة انطلاق للحركة الوطنية في شخص الصالح ابن جلول الذي شهدت اتحادية قسنطينة في عهده عام 1931م تطورا واسعا خاصة بعد انضمامه لمجموعة من المثقفين والإطارات مثل الأطباء والمحامين والصحفيين و....و غيرهم، إضافة إلى ذلك مجموعة أعضاء من العائلات الكبيرة و التجار وبعض من قدامى المحاربين في الجيش الفرنسي، كما أنها ازدادت قوة بعد نجاح العديد من أنصارها في الانتخابات البلدية و العمالات وحصولها على عدد كبير من المقاعد، وذلك نتيجة الدور الفعال لرئيسها ابن جلول³.

ولقد كانت اتحادية قسنطينة أكبر توسعا من الاتحاديتين الأخريين (وهران - الجزائر العاصمة)، ولقد أصبحت هي القائدة للمنتخبين في العملات الثلاث، رغم كل المحاولات التي قدمتها الاتحاديات الثلاث لتوحيد الصفوف و تنسيق الجهود، إلا أنها فشلت ولم تتجح في ذلك، ولكن رغم فشلها إلا أن ثقة الشعب الجزائري لم تقل فيها فقد نالت تأييدا واسعا ويدل على ذلك هو انتشار فروعها في كل تراب الجزائري وما ساعد هذا التوسع هو المرونة السياسية التي يتمتع بها كل من ابن جلول وفرحات عباس اللذان كانا يجيدان اللغة العربية، حيث استخدم هذه المهارة لإقناع المواطنين بالانخراط في المناقشات المختلفة وبالتالي نقل مطالبهم⁴.

ورغم بعض المواقف المتباينة بينهم، فإن نشاطهم كان إيجابيا إذ ساهموا في زيادة الوعي لدى المواطن بالسياسية و شجعوا على مواجهة الاستعمار⁵.

1- محمد شريف سيسبان: أصله من قبائل شمال القسنطيني، درس في ثانوية قسنطينة، تخرج من جامعة آداب إشتغل كأستاذ للغات في ثانوية بسكيكدة في فترة (1920-1921)، إنتخب عضو في

اللجنة المالية القسنطينية من [1924-1945]، للمزيد ينظر: عبد الحميد، الفكر للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دط، دارالهومة، الجزائر، 2018، ص618.

2- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص342.

3- أحميدة عميراي، أوراق تاريخية، د ط، دارالهدى، الجزائر، 2006، ص250.

4- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص343.

5- أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر، المصدر السابق، ص61.

المبحث الثاني: أبرز قادة الاتجاه الإدماج.

المطلب الأول : محمد صالح بن جلول.

ولد محمد الصالح بن جلول¹ عام 1896م² بمدينة قسنطينة، وتعود جذوره إلى عائلة برجوازية معروفة بقسنطينة³، تلقى تعليمه الأول بمسقط⁴، وأتم تعليمه الثانوي بقسنطينة كما تحصل على كثير من المنح الدراسية، إلا أنه تلقى تعليمه الجامعي بالجزائر وتحصل هناك على شهادة الدكتوراه في الطب العام سنة 1924م⁵، وهناك من أنكر ذلك وأرجع أن حصوله على شهادة الطب كانت من جامعة باريس، ولقد مارس حياته العملية كطبيب بقرية الأوراس⁶، وفيما بعد انتقل إلى قرية شطايب التي كانت تعرف سابقا بإسم هيربون، ولقد كان ابن جلول محبا إلى العمل السياسي وهذا مع إلى التعاون مع صحيفة الإقدام و لقد انتخب بعد ذلك مستشارا بلديا في شطايب⁷، ولقد كان ابن جلول مهتما بالجانب السياسي وكان كل ميوله منصب حول أكثر من مهنة الطب التي درسها، حيث كان ماهرا وملما بجميع المحاورات السياسية و التفاصيل السياسية المحلية، كما أنه إشتغل بمستقبل الجزائر أكثر من مستقبله المهني وكل هذا لتأمله للوضع السائد⁸.

1- أنظر الملحق رقم 05.

2- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 340.

3- عبد قادر حميد، دروب التريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 198.

4- رايح لونيبي وآخرون، تاريخ الجزائر (1930-1989)، ج 2، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 108.

5- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 354.

6 - Achour cheurfi. 2001. la classe politique algerimmet de 1900 no jours dictinnairboigraphiealgercasbas ettition. p79

7- شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضات 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954، د ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص 509.

8- عطا الله فشار، النخبة الجزائرية جذورها -تطورها -إتجاهاتها (1914-1954)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الجزائر، 2009، ص 261.

لقد ظهر بن جلول من الأول يدافع عن النخبة المثقفة باعتباره من عائلة غنية، ولقد أبدى في بداية نشاطه عن ميوله و انجذابه نحو أفكار الأمير خالد الإصلاحية¹، كما كان معجبا إلى حد ما بالأمير خالد وأفكاره أكثر من ابن التهامي²، قبل أن يستكرها في الثلاثينات، ولقد كان بن جلول أشهر من بعض الشخصيات الفعالة في المجال السياسي أمثال ابن باديس ومصالي الحاج، وفرحات عباس لدى الرأي العام كما كانت له شعبية كبيرة وتأثير كبير على الشعب الجزائري³.

كما أن ابن جلول رغم ميولاته نحو الأفكار الإصلاحية التي كان ينادي بها الأمير خالد، إلى أنه تنازل عنها وتحول فيما بعد إلى المطالبة بالإدماج، وهذا لاعتباره عضو في فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي كانت بقيادة ابن التهامي و تضم أغلب النخب الجزائرية الممثلين في المجالس المنتخبة أمثال فرحات عباس و ابن جلول... وغيرهم⁴.

ولقد تقلد ابن جلول منصب مندوب بلدي عاما و لقد بدأ عمله السياسي يظهر مباشرة بعد الاحتفالات الفرنسية بالعيد المئوي للاحتلال فقد عملت هذه الاحتفالات على إيقاظ ذكرى المأساة الجزائرية لدى الوطنيين، كما تبين أن ابن جلول لا يميل للعنف أو الثورية وإنما يميل للتفاهم والسلمية حيث يعتبر نموذجا للسياسي المتحضر⁵.

ومع بداية الثلاثينات ظهر ابن جلول بترؤسه فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين ومطالبة بضرورة المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في شتى المجالات ومثال ذلك المساواة في الخدمة العسكرية⁶، حيث بدأ نشاطه السياسي يظهر من خلال تأسيسه لاتحادية النواب المنتخبين التي تتألف من النواب الذين فازوا في

1- رابح لونيسي و آخرون، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص108.

2- سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص354.

3- حميد عبد القادر، دروب التاريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، د ط، دار القصة، الجزائر، 2007، ص198.

4- بشير بلال، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص430.

5- عطا الله فشار، النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص262.

6- بشير بلال، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص431.

انتخابات الهيئات والمجالس المالية والذين يؤيدون الأفكار التي طرحها فرحات عباس، كما احتك ابن جلول كثيرا بفرحات عباس نظرا لميوله للعمل السياسي .

وفي عام 1931م قام بحملة ضد المرشحين الذين باعوا أنفسهم للإدارة الفرنسية وأنتخب في المجالس العامة بقسنطينة أمام منافسة المندوب المالي ابن باديس حيث اعتمد على جريدة صوت الأهالي في انخراطه كما تم قبوله في حركة الصليبان النارية **Les crois de feu**، إلا أن مهنته كطبيب لدى الاستعمار الفرنسي جعلته يكسب أصوات كبيرة في انتخابات¹.

وبعد أن برز ابن جلول على المسرح السياسي بكل نشاط و حيوية في الانتخابات المحلية و في الصحافة في عام 1933م، حتى أنه ظهر على رأس اتحادية النواب المسلمين لقسنطينة و بدأت تظهر عليه ملامح الزعامة بسبب ما حل به من صفات شجاعة في أعماله الانتخابية².

ومع بداية 1933م استطاع أن يدفع الأستاذ سيسبان إلى التراجع و الانسحاب وحل محله على رأس الاتحادية حيث كانت أفكار ابن جلول تتراوح بين فرنسا والإسلام، فهو فرنسي بحكم ثقافته الواسعة و ميوله لبلاد الغرب³، كما كان له دورا كبيرا في الأحداث التي جرت في قسنطينة عام 1934م، كما لعب دورا هاما في الدعوة و التحضير من أجل عقد المؤتمر الإسلامي 1936م، ولقد ترأس أيضا الوفد الذي سافر إلى باريس حيث ترشح أيضا كعضو من أجل حمل مطالب المنتخبين لباريس، كما استطاع من خلال مشروعه أن يجذب الاتحاديات الأخرى و الانضمام إليه، كما أنه أصبح رائد الحركة المطالبة عندما رفضت الحكومة استقبال الوفد وهذا ما تسبب في استقالة جماعة المنتخبين المسلمين⁴.

وأثناء تكوين المؤتمر الإسلامي من طرف ابن جلول تراجع مستواه وذلك بسبب تعرضه لهجمات من طرف مناضلي نجم شمال إفريقيا في 18 مارس 1936، إلا أنه فيما بعد أبعد نهائيا عن رئاسة المؤتمر⁵.

1- يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية و الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2003، صص 272 273.

2- شارل أجبرون، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 209.

3- عباس مجد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة قسنطينة، 2007، ص 95.

4- بشير بلان، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 45.

5- شارل أجبرون، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 150.

كما أنه ذكر بأن عبد الحميد ابن باديس كان إلى جانب ابن جلول كما كان ابن باديس بحاجة إلى ابن جلول كما كان هذا الأخير في حاجة إليه أيضا، وإذا سمي هاتان الشخصيتان بالعلماء فهم علماء بالحكمة والمبادئ و تكوينهم البعيد عن السياسية، فإن ابن جلول كان هوصوتهم الذي ينطقونه في المناسبات، لأن تكوينه و شخصيته الرسمية تؤهله لرئاسة المؤتمر حيث كان يحضر التجمعات الشعبية التي تجرى في قسنطينة وهذا ما أدى البعض باتهامه بأنه تأثر بالحركات الإصلاحية، إلا أن حادثة الاغتيال التي جرت ضد الشيخ كحول وفشل الذي ألحق بمشروع فيوليت أدى بابن جلول لتغيير مساره ويعيد التفكير و نظر في علاقته و إمكانيته¹، فقام ابن جلول بانقلاب ضد الجمعية، واعتبر أن موت شيخ كحول مبرر للجمعية بما تقوم به، وهذا ما أثار غضب ابن باديس عليه وكان رده عليه عنيفا و قاسيا حيث انتقده بمقال تحت عنوان: "ليست الزردة وحدها ولكن الأكمة و ما ورائها"².

إلا أن الدكتور البريمة كما كان يلقبونه خصومه، استطاع أن يخرج من هذا الأمر و يعرف كيف يقلب ظهر المحن حيث قام بالتواصل مع جماعة العلماء المسلمين من جديد واستقطابهم، ولقد أدخل مفاهيم سلمية تتماشى مع المجموعة البرلمانية الشيوعية وقد هدفت هذه السياسات إلى إغراء و إسكات الشعب الجزائري، وفي هذا السياق قام الأمير موريس توريز الذي كان يصنف من المواطنين محاولا إقناعهم بقبول العقيدة الشيوعية لأنها لا تخضع لأي حدود من أجل تحرير الشعوب المستعمرة و قبولهم للعقيدة الشيوعية والخضوع للاستعمار تحت غطاء جديد³.

وبعد أن اطمأن ابن جلول لذلك بدأ في قيام بحملة عنيفة كما طالب بحرية تسيير الدواوير على أيدي الجماعات فيها، كما عمل بخلاف مشاورة الشيوعيين ومخالفا حتى اتحادية وبدأ في حركة الإستقلالات الجماعية منذ 1937م، إلا أنه لم ينجح في الحصول على التصويت في مشروع بلوم فيوليت الذي صار من أجل نجاحه.

1- أبوقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 68 69.

2- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط1، دار البعث، الجزائر، د س، ص 168.

3- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 34.

وفي جويلية 1938م أسس ابن جلول التجمع الفرنسي الإسلامي، يضم كل المنتخبين بالقطر الجزائري حتى المنتخبين الأوروبيين ولكن سرعان ما فشل هذا التجمع وهنا اندثر نجمه الإسلامي كما بقي ابن جلول طيلة حياته السياسة يطالب و يناادي بالإدماج، كما استطاع الحفاظ على منصبه كنائب متميز بعد نهاية الحرب العالمية الثانية¹.

في انتخابات التي جرت في 1939م سعى ابن جلول المجاملة والتقرب من العلماء رغم كل الخلافات والصراعات التي حدثت بينهم سابقا، ولقد اعتمد على جريدته الوفاق كوسيلة للهجوم على الطريقتين الصوفيتين باعتبارهما خصوما لابن باديس، فردت عليه جريدة الرشاد الناطقة بلسان جامعة الزوايا و الطرق الصوفية بلهجة ساخرة بالقول التالي: "وهكذا شاءت ورقة الانتخابات المقدسة أن يعقد أبطال l'entente مع أبطال جمعية العلماء و أن يحل الوداد محل الجفاء الطويل ظاهرا وريثما تنتهي عملية الانتخاب"².

وبعد الاستقلال الجزائر مباشرة ابتعد ابن جلول عن الحياة السياسية تماما، وظل كذلك حتى انتهاء العملية الانتخابية³.

مطلب الثاني: فرحات عباس.

ولد فرحات المكي عباس⁴ يوم الخميس 24 أوت 1899م⁵، بدوار الشحنة الواقعة بمنطقة بني غافر الجبلية ببلدية الطاهر ولاية جيجل⁶، ابن السعيد بن عباس⁷، وينحدر الأصل الحقيقي لجده الأول للأسرة العباسية حيث أخذ والده اسم جده عباس لقبا للعائلة بدل اللقب الذي كانت تشتهر به، وهو "ابنضاوي" و أمه عاشورة معزة بنت علي من قبيلة عمران⁸.

1-Achour cheref.op,cit ,p65.

2-رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف 1920-1954، ط2، دار الكوكب للعلوم، د ب، 2012، ص53.

3- حميد عبد القادر، دروب التاريخ، المرجع السابق، ص199.

4-أنظر ملحق رقم06.

5- شهادة ميلاد فرحات عباس، مذكرة تخرج عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899- 1985)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004، ص285.(ينظر ملحق رقم 07).

6- علي تابليت، فرحات عباس رجل دولة، ط2، الجزائر، 2009، ص03.

7- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، المرجع السابق، ص148.

8- عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009، ص84.

كانت أسرة فرحات عباس أسرة وفيرة العدد تتكون من 12 فردا مقسمة من بنات وأولاد كان عدد بنات 7 بنات منهن: فاطمة وظريفة و بهجة ويمنية وعائشة وجويرية¹، وعدد الذكور 5 وهم: عمار الذي عقب والده في استلام منصب القايد أما أحمد فكان يشتغل كاتباً ببلدية الطاهير، وأخوه الآخر حميد فكان طالبا يدرس بجامعة باريس تخصص حقوق وأخوه محمد الصالح فتلقى تكويناً مهنيًا في الفلاحة و الولد الأخير للعائلة كان فرحات المكي².

حيث كانت طفولة فرحات عباس طفولة مريحة وهادئة تخلو من كل المعاناة التي كان يعني منها معظم أطفال الجزائر آنذاك³.

ولقد سجله والده بعد بلوغ من العمر ثمن سنوات في مدرسة قرآنية ليعلم القرآن الكريم، وبالفعل تعلم فرحات عباس كل المبادئ والقيم الإسلامية من شيخه الأول الذي علمه التواضع واحترام الناس والأخذ بيد الضعيف ومساعدته والصبر وتحمل كل مصاعب والتعب، كما كان فرحات عباس شخصا محبوبا ومميزا بين أصدقائه، وكان متواضعا في لباسه ولم يتميز عنهم في ذلك فلباسه كان عبارة عن قشابية و قميص و أرجل حافية⁴.

كان والد فرحات عباس متوسط الحال لكنه استطاع مع مرور الوقت أن يخرج من الوضع الاجتماعي الذي كان يعيش فيه حيث انتقل من فلاح معدوم الحال إلى أكبر التجار المحترفين⁵، إلا أنه فيما بعد تحصل على ترقية في السلم الاجتماعي ليصل إلى رتبة القايد في دوار بني غافر، وبعد ذلك شغل منصب الأغا لبلدية طاهير المختلطة⁶.

كان فرحات عباس على علاقة جيدة مع جدته التي كان قريبا منها والذي كان يقضي معها سهرات الليل وينصت إلى حكاياتها التي كان يستمتع بها كثيرا، وكانت حكايتها تدور حول سياسة فرنسا و كيفية دخول

1- عز الدين معزة، المرجع نفسه، ص 85.

2- عز الدين معزة، فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 31.

3-Ben jaminstorazakyadaoud ,farhatabbas une untrealgéria ,alcasbah,alger ,1995,p27.

4- رايح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 53.

5- وفاء بوصفصاف، التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية الجزائرية الشيخ عبد الحميد باديس. أحمد مصالي الحاج. فرحات عباس. عمار أوزقان نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي عبر العصور، جامعة أدار، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، قسم العلوم الانسانية' 2014، ص 276.

6- محمد العربي الزبيري، قراءة في كتاب عبد الناصر و الثورة الجزائرية، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2004، ص 209.

الاستعمار إلى الجزائر وكيف قاوم الشعب الجزائري هذا الاستعمار و خاصة قبيلة بن عمران التي كان ينتمي إليها، كما أنها ربطت أن الاستعمار الفرنسي ما هو إلا عقاب من الله للمسلمين لأنهم أهملوا دينهم الإسلامي ولم يطبقوه¹.

كما عملت عائلة فرحات عباس على أن تزرع فيه حب الدين الإسلامي والقيم الإسلامية وحب الأولياء الصالحين كما ثبتت في ذهنه أن إتباع الدين الإسلامي واجب وأن إهماله جريمة يعاقب عليها الفرد من الله، وهذا ما جعله يتماشى بالقيم و النظم الإسلامية ولا يتخلى عنها و يدافع على دينه الإسلامي، وبالفعل كان لجدته وعائلته أثرا كبيرا في نفسيته حيث ورث على جدته التواضع و حب الفقراء و أن كل الناس سواسية².

كان فرحات عباس في صغره يخالط الأطفال و يلعب معهم ويشعر بأنه جزء منهم، حيث ترعرع معهم في منطقة ريفية بعيدة كل البعد عن مرافق الحياة، وكان متواضعا مع أصدقائه ولم يعيش يوم حالة غرور لأن والده كان القايد مما أدى تواضع فرحات عباس إلى محبة الناس له كما كان هو أيضا يحب الخير للجميع ويكره الظلم والتكبر، كما تميز بالذكاء بين الآخرين كما ورث من عائلته الثقة في النفس و الصدق في الأقوال والأفعال³.

ولقد عارض فرحات عباس الأعمال التي يقوم بها والده خاصة بما يتعلق بمعاملته للفلاحين الذين لا يستطيعون دفع الضرائب، لأنه كان يشعر و يحس بالحرمان و الفقر الذي يعانون منه، و عاش و تربى في طفولته على الحرمان قبل أن تتحسن وضعيته عائلته الاجتماعية⁴.

1- عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، المرجع السابق، ص84.

2- عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، المرجع السابق، ص85.

3- عز الدين معزة، فرحات عباس و دوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص32.

4- لعباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927-1963)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة منتوري قسنطينة، كلية

العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الآثار، 2006، ص05.

تلقي فرحات عباس كباقي إخوته والأطفال منذ الصغر التعليم الأول على يدي مشايخ في المدارس القرآنية¹، التي كانت قريبة من منزله، على يد الشيخ الذي كان جاره في الحي الذي يسمى محمد بوكفوس الذي كان يلقب في أوسط قريته باسم سيدي محمد².

حيث كانت هذه المدرسة كغيرها من المدارس القرآنية الأخرى تتولى الأمور الدينية من خلال تعليم اللغة العربية وتحفيظ الأطفال للقرآن الكريم، وتربية الأطفال على مبادئ الإسلامية، كما كانت هذه المدارس منتشرة في كل القطر الجزائري³، وتميز فرحات عباس عن غيره في هذه المدارس بسرعة الحفظ والتفاني في تعلمه اللغة العربية، وهذا ما جعل عائلته فخورين بيه و فرحين بهذا الأمر، رغم أن والده كان أمي لا يعرف للقراءة و كتابة شيء، وهذا ما دفع بوالده أن يشجع أبنائه على التعليم و خاصة في المدارس الفرنسية⁴.

وفي عام 1909م التحق فرحات عباس بالمدرسة الفرنسية الأهلية بالطاهير⁵، وهي التي تعتبر المدرسة الأولية التحضيرية **préparation**، التي كانت مفتوحة فقط من أجل تعليم الفرنسيين والأهالي **franco-indigène**، والتي أنشأت عام 1890م⁶، حيث تلقى هناك عن تاريخ و الأحداث الفرنسية وكل ما له علاقة بفرنسا، كما أنه حاول في نفس الوقت الحفاظ على وظيفته كقائد على منطقة بني غافر⁷.

فقد كان يعتقد والد فرحات عباس أن المدرسة هي الوسيلة الوحيدة التي تحافظ على مكانة الاجتماعية للأسرة، لأنه في تلك الفترة كانت الدراسة والتعليم خاصة ضمن المدارس الفرنسية هي الشيء الرفيع الذي يعتز به الناس خاصة داخل القرى و الأرياف⁸.

كما كان فرحات عباس دائما يتحدث عن تفوقه الدراسي بكل فخر و إعجاب قائلاً: "في أكثر الأوقات كنت أتحصل على المرتبة الأولى في اختبار الفرنسية"⁹، ورغم هذا التفوق و الامتياز إلا أنه لم يمنع فرحات عباس

1- يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية، المرجع السابق، ص115.

2- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره، المرجع السابق، ص39.

3- يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية، المرجع السابق، ص116.

4- عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر، المرجع السابق، ص06.

5- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره، المرجع السابق، ص28.

6- يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية، المرجع السابق، ص117.

7- عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر، المرجع السابق، ص07.

8- يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية، المرجع السابق، ص121.

9- عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر، المرجع السابق، ص08.

من التمييز داخل المدارس الفرنسية و مقارنته مع التلاميذ الفرنسيين، ولقد كان لهذا التمييز تأثير سلبي على نفسه. كما كان للأستاذة الفرنسيين تأثير على فرحات عباس بما كان يقدمونه من أفكار فرنسا الحضارية والحرية والمساواة والعدالة التي تنادي بها¹.

وفي سنة 1921م تحصل فرحات عباس على شهادة البكالوريا، وفيما بعد التحق بالخدمة العسكرية ككاتب للتسيير في مستشفى قسنطينة، ثم بعد ذلك عمل كمساعد صيدلي في الفرقة رقم 21 للمرضى في جيجل وكان برتبة رقيب²، وذلك كان وفق قانون التجنيد الإجباري للأهالي في فيفري 1912م.

انتقل إلى الجزائر العاصمة ليلتحق بكلية الصيدلة و أثناء سنوات دراسته في الجامعة كان كل ميوله إلى العمل السياسي رغم تفوقه في دراسته، وفي نفس الفترة أسس صحيفة تحت اسم "تلميذ"³، حيث بدأ فرحات عباس يهتم بالجانب السياسي في فترة شبابه، حيث كان يهتم و يميل إلى المحاضرات التي يلقيها أساتذة التاريخ و الفلسفة و الأدب⁴، كما تم وصفه من طرف أحد أصدقائه الأوروبيين قائلا:

ولكنه شاب تركي فيأ عماقه

صيدلي في هيأته

مصمم أن يكون محرضا⁵

كقنبلة مملوءة يتصرف

فرحات عباس هو رجل سياسي، رفض النظام الكولونيالي الفرنسي و عارض الاستعمار الفرنسي الذي كان موجود في الجزائر و عمل على تحقيق الاستقلال للجزائر و طرد الاستعمار⁶. حيث يعتبر فرحات عباس من مؤسسي جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في الجزائر، كما كان تابعا لأنصار الأمير خالد، و تقلد

1- يوسف حميطوش، منابع الثقافية السياسية، المرجع السابق، ص124.

2- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره، المرجع السابق، ص282.

3- رايح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر، المرجع السابق، ص53.

4- سامي صالح صياد، غيلان سمير طه، فرحات عباس و دوره في السياسة الجزائرية 1899-1985، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 19، ط1، 2012، ص367.

5- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص49.

6- سامي صالح صياد، غيلان سمير طه، فرحات عباس ودوره، المرجع السابق، ص367.

فرحات عباس عدة مناصب منها منصب رئيس لإتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين لجامعة الجزائر ولقد كان لهذا المنصب دور في تعليم فرحات عباس للقواعد الأساسية لتنظيم السياسي¹.

كما تبنى فيما بعد ذلك أفكار الجمعية التي كانت تطالب بـ:

- ضرورة احترام الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية باعتبارها من تراث الجزائريين الأصيل و طابع قوميتهم وشخصيتهم.

-التخلص من التمييز العنصري بين الجزائريين والفرنسيين الذي يؤدي إلى حقارة الجزائريين .

- الاعتماد على فئة الشباب في تطوير المجتمع الجزائري و تحسين أحوالهم وذلك عن طريق التزويد بالثقافة العصرية التي تتيح لهم أن ينافسوا المجتمع الأوروبي².

وفي هاته الفترة بدأت أفكار فرحات عباس تتضح التي كانت تتمايل بين فكرة الإدماج والمطالبة بالمساواة بين الطرفين مع المحافظة على الهوية الإسلامية، ويدل على ذلك هو المقالات التي نشرها التي كان يطالب فيها فرنسا بالمساواة بين الجزائريين والأوروبيين³.

وفي 18 جوان 1927م، أصبح فرحات عباس يعد من النخبة المثقفة الفرنسية المدافعة عن سياسة الإدماج، كما اعتبر فرحات عباس لسان حزب فيدرالية المنتخبين الجزائريين، التي أسسها الدكتور ابن جلول التي تتادي وتطالب بالاعتدال والمساواة، حيث تبنى الوسائل السلمية من أجل الإصلاح دون اللجوء إلى العنف و السلاح، حيث كانت أهم مطالب فيدرالية المنتخبين الجزائريين هو المساواة بين الجزائريين و الأوروبيين في الخدمة العسكرية والمساواة في الأجور بين الجزائريين والأوروبيين⁴.

كما لعبت شخصية فرحات عباس دورا مهما في تطوير النخبة، ويرجع ذلك إلى لفصاحته الخطابية وقوة الإقناع التي يملكها، إما إلى أعماله ونشاطاته خصوصا بعد ما أصدر كتاب تحت عنوان "الشباب الجزائري" سنة

1-علي تابلت، فرحات عباس رجل دولة، المرجع السابق، ص23.

2- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري، المرجع السابق، ص24.

3- سامي صالح صياد، غيلان سمير طه، فرحات عباس ودوره، المرجع السابق، ص369.

4- محفوظ قداش، الجزائر للجزائريين تاريخ الجزائر (1830-1945)، الوكالة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر، 2008، ص277.

1931م الذي فصل و طرح فيها كل الآمال التي يرجوها، كما أعتبر فرحات عباس من الشخصيات التي تتصف بالاعتدال و عدم استعمال العنف واللجوء إلى سلمية في التخلص من القوانين الفرنسية.

قام فرحات عباس بإلقاء خطاب بلسان الإتحاد، أثناء الزيارة التي قام بها الوزير الداخلية الفرنسي للجزائر عام 1935م قائلا: "لم يبق هناك شيء في هذه البلاد إلا الاتفاق على سياسية الإدماج وذوبان العنصر المحلي في المجتمع الفرنسي"¹. وفي سنة التي يليها أنشأ جريدة تحت عنوان "فرنسا هي أنا" التي صرح فيها حول مبدئه الإدماجي، وفي مقال آخر صرح قائلا: "ليس هناك من يؤمن بصورة جدية بوطنيتنا ومايراد محاربته من وراء هذه الكلمة إنما هو تحررنا الاقتصادي فبدون تحرر الأهالي لا تكون هناك جزائر فرنسية دائمة".²

كان يعتقد الشعب الجزائري بأن سبب معاناة الشعب الجزائري هو التمييز العنصري الذي فرضته السياسة الاستعمارية، وأن الحل لهذا الأمر يكمن في محاربة التمييز وتطبيق مبدأ المساواة بين الجزائريين والأوروبيين في الحقوق والواجبات، ومن هنا كانت بداية فرحات عباس في تطبيق الإدماج كوسيلة لتخلص من الواقع السياسي و الاجتماعي الذي يعيشه المسلمين وإيجاد حل يليق بهم³. وفي قوله: "لم أنكش في زاوية الانتظار فالنشاط السياسي لا يرمي حتما إلى تقلد زمام الحكم إنه كفاح غايته تحسين العلاقات الإنسانية، وتربية الجماهير تربية وطنية ونشر عدالة الاجتماعية، وكنا نؤمن بأن استرجاع الأمة الجزائرية سيادتها ينجم عن تطبيق المساواة بين المستعمرين والمستعمرين"⁴.

عرفت النخبة الإدماجية تحمسا كبيرا لمشروع فيوليت الذي تعود أصوله لتصريحات فيوليت التي تزامنت مع الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر، ولقد كان هذا المشروع قائم على فكرة الإدماج من بينهم فرحات عباس وابن جلول، فقد أيدت النخبة والنواب المشروع لأنه يعتبر الحل الوحيد في تحقيق أمل المسلمين الفرنسيين، ولأنه يتماشى مع سياسة فرنسا مع الجزائر على فكرة الإدماج⁵.

1- فرحات عباس، ليل الإستعمار، تر: أبويكر رحال، المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر، 2010، ص 89-90.

2- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية، تر: منجي سليم و آخرون، مراجعة فريد السوداني، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1976، ص 133.

3- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص 230.

4- فرحات عباس، ليل الإستعمار، المرجع السابق، ص 27.

5- أبوقاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 121.

وفي عام 1938م ظهر مجموعة من الاختلافات بين القطبين الأساسيين في التيار الإدماجي، وهذا ما أدى إلى تأسيس حزبين متناقضين الحزب الأول هو الإتحاد الإسلامي الفرنسي بزعامة ابن جلول و الحزب الثاني هو الإتحاد الشعبي الجزائري بزعامة فرحات عباس الذي أظهر فيه نوعا من التراجع حول الفكرة الإدماج الذي كان يسعى إلى تحقيقه خاصة بعد فشل المؤتمر الإسلامي الذي أسس عام 1938¹، وعمل فرحات عباس دورا كبيرا من أجل إنجاحه، ولكن سرعان ما تم إلغائه في نهاية المطاف من طرف البرلمان الفرنسي، فقد كان لفشل مشروع بلوم فيوليت آثار سلبية في نفوس الجزائريين فبعدها كانوا يناشدون بالارتباط مع فرنسا و الإدماج أصبحوا يناشدون بالاستقلال التام عن فرنسا و ألهم فرحات عباس².

توفي فرحات عباس في 24 ديسمبر 1985م، عن عمر يناهز السادسة والثمانين بعد معاناة طويلة من المرض، ولقد كانت وفاته يوما تغيسا على ربوع الوطن حيث حضر جنازته جميع الشعب الجزائري و شخصيات الوطنية ووزير المجاهدين و نائب رئيس المجلس الوطني و الأمين عام لوزارة المجاهدين، كما قد قدمت فرقة من الجيش الوطني تحية شرفية لجثمانه³.

المطلب الثالث: حكيم سعدان.

اسمه الكامل أحمد شريف سعدان⁴، من مواليد 1895م⁵، ولقد تضاربت الآراء بين الكتاب حول مكان ميلاده، فهناك من يقول ولد بباتنة بحكم أن والده كان يعمل هناك مهنة التجارة بعد أن تم انتقاله من دائرة مسيلة، وهناك من يقول أنه ولد في جبل من جبال الأطلس التلي وهي جبال الميلية، حيث يسكن إحدى القبائل التي تسمى بأولاد بوفاهمة، وهذا أكده صديقه محمد خير الدين في مقال له بجريدة البصائر، ولكن بعد الإطلاع على شهادة ميلاده تم تأكد من أنه ولد بباتنة⁶.

ولقد وصف عبد الحميد زردوم الحكيم أحمد شريف سعدان قائلا: "كان متوسط القامة وطوله لم يتجاوز المتر و67 سم، ذو وجه بيضاوي الشكل وعينان واسعتان بنيان و شعر بني اللون وكانت بشرته لا هي

1- عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي، المرجع السابق، ص338.

2- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري، المرجع السابق، ص101.

3- رايح لونيسي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص73.

4- ينظر ملحق رقم08.

5- محمد صالح صديق، كيف ننسى هذه الجرائم، د ط، دار الهومة، الجزائر، 2009، ص16.

6- محمد خير الدين، مات الحكيم سعدان، البصائر، ع22، 1948، ص77.

بيضاء ولا سمراء بل كانت حنطية، وكان يحلق لحيته وشاربيه دائما....."، أما بخصوص صفاته الخلقية فقد كان رحيم القلب طيبا وكان طبيب للأرواح قبل أن يكون للأجسام، كما كان يحث الناس على التعاون والتضامن¹.

كما قد تحدث مالك بن نبي في كتابه مذكرات شاهد للقرن عن عفة و أمانة سعدان قائلا: "مهما يكن فقد بدأت في الجزائر نفسها تنشأ صورة أخرى للوطنية تلك الصورة التي تجسدت في مؤسس وحدة المرشحين بقسنطينة مع فرحات عباس والدكتور بومالي ومن لف لفهم، وتورط فيها حتى الرجل التربة الدكتور سعدان رحمه الله الذي ساقته الخطوط السيئة ذات اليوم....."²

درس الحكيم سعدان تعليمه الأول بباتنة، ثم بعدها بسنوات انتقل إلى مدينة قسنطينة حيث تعلم ودرس على يدي أساتذة الذين يدعمون الإصلاح من أمثال الشيخ مهنة والشيخ عبد القادر المجاوي و الشيخ عبد الحميد بن باديس في المدارس العربية الحكومية التي تعتبر من إحدى المدارس الثلاث التي أنشأتها فرنسا³. ولقد كان الحكيم سعدان متفوقا في دراسته، حيث تحصل على شهادة بكالوريا في ثانوية دوما Daumal، التي كانت مخصصة فقط لإبناء كبار الاستعماريين و من الموظفين من العناصر الفرنسية و الأهلية، و بالتأكيد فإن حكيم سعدان لم يكن من هذين العنصرين بل ما جعله يلتحق بهذه المدرسة فهو تفوقه ومؤهلاته العلمية في الدراسة⁴.

وبعد فترة انتقل إلى الجزائر من أجل إكمال دراسته والتحاق بكلية الطب والتي كان يطمح إليها، حيث تعتبر هذه الفترة هي المرحلة المهمة بحياة حكيم سعدان حيث كان هدفه الأول من هذا هو الحصول على الدكتوراه، حيث كان مثله الأعلى هو الدكتور ابن العربي بسبب الصفات التي كان يمتاز بها و مواقفه ضد الاستعمار الفرنسي⁵.

1- محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، ج 1، موقع للنشر، الجزائر، 2008، ص205.

2- ملك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2013، ص276.

3- محمد الهادي الحسيني، أشعة الشروق، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص327.

4- محمد خير الدين، مات الحكيم سعدان، المرجع السابق، ص77.

5- محمد خير الدين، نفسه، ص77.

لكن حكيم سعدان لم يكتف بالدروس طبية التي قدمت له داخل الجزائر، لذلك قرر أن يسافر إلى فرنسا وأكمل دراسته و تحصل على شهادة خاصة في طب التشريح¹، وأثناء تعايشه مع المجتمع الفرنسي لاحظ الحكيم سعدان التصرفات الحقيرة التي يعامل بها شعبه²، وهذا ما دفعه إلى رفض التجنس بالجنسية الفرنسية³. حيث إلتقى فيما بعد بالأمير خالد الذي كان يميل و يتأثر بأفكاره وأخذ منه أساسيات الكفاح السياسي ضد الاستعمار⁴، وفي فترة إقامته قامت أسرة فرنسية بمساعدته و اتخذ من هذه الأسرة فتاة لتكون شريكة حياته⁵.

وفي عام 1920م بعد أن لاحظ أن الجزائر بحاجة عاد إليها مباشرة، حيث مكث في قرية صغيرة بضواحي عنابة⁶ تدعى الذرعان التي هي تابعة حاليا إلى ولاية الطارف⁷، وعمل فيها كطبيب لمدة 6 سنوات، ولأن سعدان رفض التجنس بالجنسية الفرنسية ضيق عليه الاستعمار الفرنسي .

وفي سنة 1927م اتخذ الحكيم سعدان من ولاية بسكرة مقره الأخير، حيث تفاهم و اندمج مع سكانها وكانت له علاقات طيبة مع شخصيات لها مكانة مرموقة في الأدب والثقافة أمثال الطبيب العقبي السعيد الزاهري، ولهادي سنوسي وغيرهم من شخصيات، وهذا ما جعل فرنسا تتقطن له و خاصة بعد أن دافع عن جمعية العلماء المسلمين⁸.

ولقد تقلد حكيم سعدان جملة من الوظائف وفي هذا صدد قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "أن سعدان رجل عظيم حقا و لكننا عرفنا عظمتة إلا بعد أن أصبح قريبا من الموت"⁹، كما قام الدكتور سعدان بإنشاء نادي الهلال البسكري الذي كان في 02 أوت 1936م¹⁰، كما عمل الحكيم سعدان كأول طبيب في منطقة الزيبان عام 1927م¹¹، وفي سنة 1934م انتخب نائبا لعمالة، بعد تنظيم انتخابات المجالس العمالية بدائرة باتنة ثم بسكرة

1- عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، دار الهدى ، الجزائر ، 2008، ص130.

2- محمد الهادي الحسيني، أشعة الشروق، المرجع السابق، ص326.

3- فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة، الجمعية الخلدونية للأبحاث، بسكرة، ج1، الجزائر، 2001، ص84.

4- محمد الصالح الصديق، شخصيات، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2004، ص14.

5- عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، مرجع السابق، ص130.

6- فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة، المرجع السابق، ص84.

7- عبد الحميد الزكري، الدكتور أحمد الشريف سعدان ومضات من حياته ونضاله، المجلة الخلدونية، عدد5، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص93.

8- عبد الحميد الزكري، المرجع نفسه، ص48.

9- عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، المرجع السابق، ص85.

10- عبد الحميد الزكري، الدكتور أحمد الشريف سعدان، المرجع السابق، ص48.

11- المدني بجوي، مذكرات مداني بجوي مجاهد وشاهد ومسار، دار الهومة، الجزائر، 2012، ص96.

التي بقي فيها إلى غاية 1945م¹، كما شارك في المؤتمر الإسلامي بصفته ممثلا الجنوب الجزائري في الوفد الذي سافر إلى باريس سنة 1936م حيث طرح هناك لأول مرة قضية الحكم العسكري في الجنوب².

وبعد مجازر 8ماي 1945م تم إلقاء القبض عليه مع كل من فرحات عباس والبشير الإبراهيمي، حيث قضى عدة شهور في سجن قسنطينة ثم نقل إلى سوق هراس، وفيما بعد تم إطلاق سراحه بعد كل التعذيب الذي تلقاه من السلطات الاستعمارية³، حيث واصل أعماله ووظائفه ولم يتوقف عنها رغم ذلك، كما تم تعيينه سنة 1946م كنائب في المجلس التأسيسي الفرنسي و رئيسا للمجموعة البرلمانية للاتحاد الديمقراطي⁴.

وفي إحدى مقالات الشهاب، كتب محمد العيد آل خليفة تحت عنوان "إحساس أهالي بسكرة نحو الحكيم سعدان" أن الجزائر أنجبت رجالا مخلصين و أساتذة بارعين، نذروا أنفسهم لنشر الفكر والوعي، وسعوا جاهدين لنهضة الأمة ومن الأمور التي تبعث التفاؤل والإعجاب والإقبال المتزايد على مهنة الطب التي تعد من أنبل المهن وأكثرها نفعا للإنسانية.

كما أشار الكاتب إلى تأثير شخصية الحكيم سعدان الذي كان له أثر عميق في ترسيخ حب هذه مهنة لدى الكثيرين، وخاصة أنه تخرج من كبرى كليات الطب التي أعدت أمهر الأطباء، ممن يحملون روح الوطنية الصادقة ويشعرون بمعاناة أبناء وطنهم ويفهمون لغتهم .

وتابع محمد العيد آل خليفة الحديث عن معاناة الحكيم سعدان في الغربة حيث تحمل المشاق و التحديات في سبيل تحقيق هدفه النبيل، وهو إنقاذ أبناء شعبه من براثن المرض، وقد كان لأهالي بسكرة نصيب وحظ كبير من هذا العطاء إذ اعتبروه نعمة كبرى و رأوه كالغيث النافع الذي يحيي الأرض الجافة بمطره، لما لمسوه من علمه وحكمته و صدق أخلاقه وعندما اجتمع به الكاتب وجده طيبا ماهرا ورجلا حكيما صادقا، جمع بين المهارة الطبية والعمق الفكري ونبيل الخلق، كما أن هذا الكلام الذي قيل في حق سعدان ليس بمجاملة إنما هو بما رآه

1- عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، د ط، الجزائر، 2012، ص71.

2- عبد الحميد زوزو، المرجع نفسه، ص71.

3- عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، المرجع السابق، ص93 94.

4- عبد الحميد الزكري، الدكتور أحمد شريف سعدان، المرجع السابق، ص93.

الناس من أخلاقه وأعماله، وفي نهاية المقال ختم آل خليفة مقالته بترحيب لحكيم سعدان قائلا: "مرحبا بك أيها الطبيب الكبير، مرحبا بك أيها الحكيم الشهير"¹.

بعد الاحتجاج الذي كان في 25 فيفري 1945م الذي جاء كردة فعل ضد المرسوم الفرنسي الصادر في 7 مارس 1944م²، تم سجن الحكيم سعدان بالجزائر العاصمة³، وبسبب الحالة المزرية التي كانت داخل السجن أصيب بمرض شديد، كما أن الحكيم سعدان تم ترحيله إلى عدة سجون وهي: الجزائر وقسنطينة وسوق أهراس ورغم المرض الذي عان منه داخل السجن إلا أنه لم يتم توقيف عذابه، حيث قضى حكيم سعدان 5 سنوات من السجن و في الأخير تم إطلاق سراحه وهو على حافة الموت، إلا أن حالته الصحية لم تكن له حاجز في مواصلة نشاطاته⁴.

وفي 6 نوفمبر من عام 1948م توفي الحكيم سعدان بإحدى المصحات الطبية بفرنسا⁵، وتم تشييع جثمانه في موكب جنازي مهيب، شارك فيه العلماء والنواب و الأطباء و أعضاء حزب انتصار الحريات الديمقراطية إلى جانب ممثلي الحزب الشيوعي والاشتراكي والعائلة الإسرائيلية والمسيحية إضافة إلى الكشافة الإسلامية ونادي الرياضة وحزب البيان، انطلق الموكب من منزل الحكيم سعدان، حيث حمل نعشه على أكتاف شخصيات من حزب البيان والكشافة الإسلامية الجزائرية.

وفقا لما ذكره محمد خير الدين فقد بلغ عدد المتشييعين ما بين 20 إلى 25 ألف وعند وصول الجثمان إلى المصلى أقيمت الصلاة عليه بإمامة الشيخ عبد الرحمان، الذي كان صديقه ورفيق دربه من جمعية العلماء، كما ألقى كلمات تأبينية كل من عبد الكريم صفاقسي ممثلا لبلدية بسكرة، والدكتور بن الفقون عن هيئة الأطباء وفرحات عباس ممثلا لحزب الاتحاد الديمقراطي و البشير الإبراهيمي باسم جمعية العلماء ومحمد بن قانة ممثلا للنواب⁶.

1- محمد العيد آل خليفة، "إحساس أهالي بسكرة نحو الحكيم سعدان"، الشهاب، ع2، 78، رجب 1345، ص15.

2- مرسوم 7 مارس 1944: ينص هذا القرار على إدماج بعض المسلمين في مكاتب الإقتراع المخصصة لليهود والمسيحيين، وقد رفض المعمرون هذا المرسوم وقابلوه بالسخط والعداء، للمزيد

ينظر: فرحات عباس، ليل إستعمار، المرجع السابق، ص113.

3- عبد الحميد الزكري، الدكتور أحمد شريف سعدان، المرجع السابق، ص93.

4- محمد خير الدين، مات الحكيم سعدان، المرجع السابق، ص79.

5- محمد الصالح صديق، شخصيات، المرجع السابق، ص207.

6- محمد خير الدين، مات الحكيم سعدان، المرجع السابق، ص91.

دفن سعدان في مقبرة العزيلات، حيث نقشت على قبره أبيات شعرية محمولة المصدر يرجح أنها تكون من تأليف الشيخ البشير الإبراهيمي أو الشاعر محمد العيد ومنها :

هنا صارم أعمدته المنون	وما كان يألف عمد الجفون
هنا جسد أنهكته السقام	وقلب ألحت عليه الشجون
هنا نام طرق التحدي الكرى	ولم يلفت لحياة الفتون
هنا قبر سعدان رمز الفدى	سقاه الغمام بغيث هتون ¹

ورغم مكانته و تأثيره لم يترك الحكيم سعدان من الآثار المكتوبة باستثناء بعض المقالات والتقارير المنشورة في الصحف والمجالات ومنها مقالة بعنوان "نداء إلى قسم باتنة" التي نشرت في جريدة ضربة خيزران والتي وجه فيها رسالة إلى المسلمين قائلا : "إخواني المسلمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد ألزمني إخواني إعطاء الوفد الأحرار المخلصين من قسم باتنة و بسكرة بأن أشرح نفسي للنيابة العمالية في الانتخابات القادمة، فقبلت هذا التكليف ورشحت نفسي سعيا لمحاربة الفقر ومواجهة الجهل لعل الله يجعل الخير على يدي لهم وأني أعاهد الله ثم نعاهدكم على خدمة الأمة و نجتهد في الأمور الآتية :

- تأييد وفد الحكيم بن جلول و مطالبه .
- المدافعة عن حرية الدين .
- التعليم العربي والفرنسي.
- مسألة المياه والسدود خصوصا في بسكرة التي أشرفت على الهلاك.
- المدافعة عن المظلومين في أمور الغابة والفلاحين.

1- محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، المرجع السابق، ص21.

- كل طلب يقدم إلى قسم باتنة إلى قسم باتنة وبسكرة من أي مواطن ينظر إليه ونسعى إلى تحقيقه بكل قوتي وقلمي¹.

المبحث الثالث: مطالب الاتجاه الإدماجي وردود الفعل.

المطلب الأول: مطالب الاتجاه الإدماجي.

الفيدرالية عبارة عن نادي مغلق أو جمعية تضم المنتخبين فقط، الذين درسوا و تخرجوا من التعليم الفرنسي حاملين معهم الأفكار ويناشدون بها، حيث كانوا جميعهم يحتلون مناصب مرموقة مثل المعلم، صيدلي ومحامي وغيرهم كما كانوا يطلقون عليهم "حملة الشهادات"².

إن فدرالية النواب المنتخبين كانت تعمل على زيادة تمثيل الأهالي الجزائريين في المجالس، والمساواة مع فرنسا في المعاملة و الخدمات العسكرية وإنهاء المحاكم الخاصة بالمسلمين واشتراك أكبر المسلمين في التشريع و إصلاح نظام الغابات و التوسيع في التعليم و تحسين الظروف الزراعية و الحرية والدين وتحسن أجواء العمال.³

تأسست هذه المنظمة غداة الحرب العالمية الأولى عندما شعر المنتخبون المسلمون بضرورة توحيدهم وتنسيق عملهم من أجل مواجهة الجمعيات الأوربية، وخاصة الجمعية التي ضمت رؤساء البلديات لمواجهة قانون 4فيفري 1914م⁴، حيث أقدم على تأسيسها القاسم بن التهامي بعد تصريحه إلى دار الولاية بالجزائر، والتي يكون مركزها بشارع عنابة 22مدينة الجزائر⁵.

1- Le coup Bombour.N 50 ، 27septembre1934.p4.

2- الأمين بوشريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية [1919-1963]، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص19.

3- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، دار الأمة، الجزائر، ص235.

4- العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني(1926-1945)، دار الطليعة، الجزائر، 2003، ص22.

5- إبراهيم عبد الرحمان العقون، الكفاح القومي وسياسي، المرجع السابق، ص164.

وفي سنة 1927 تم الاجتماع بالنادي الإسلامي بالجزائر بحضور مجموعة من الإدماجين والمؤمنين بفكر التجنيس والمطالبين بالتطور داخل إطار السياسة الفرنسية¹، كما عبروا جماعة فيدرالية عن مدى احترامهم لفرنسا، حيث كان الوجود الفرنسي داخل الجزائر بالنسبة لهم وطن الحرية والتقدم².

كما عملت الاتحاديات الثلاث على توحيد الصفوف وتنسيق العمل لكنها فشلت، لكن رغم فشلهم لم يتوقف الشعب الجزائري بدعمهم وإعطاءهم الثقة، وهذا ما زادهم حماس من أجل فتح فروع عبر جميع أنحاء الوطن، ويعود الفضل الأكبر لابن جلول وفرحات عباس الذي استطاع بمعرفتهم للغة وإيجادهم الحجج لإقناع الأهالي بالإدماج مما يسهل عليهم توصيل مطالبهم³.

وفي سنة 1930م رأى النواب أنه هذا الوقت المناسب للإعادة بتذكير فرنسا بوفاء بوعودها وطالبوا بالإدماج والمساواة وأكثروا من رفع الملتسمات وإرسال الوفد إلى باريس وفي عام الذي يليه في سنة 1931م، أظهروا مدى تمسكهم في مطالبهم التي هي كالتالي:

- تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي وزيادة تمثيل الأهالي في المجالس المنتخبة⁴.

- المساواة في الأجور ومنح الوظائف الإدارية بين الجزائريين والأوربيين .

- المساواة في الخدمة العسكرية.

- إلغاء الإجراءات المفروضة على العمال المسلمين الجزائريين.

- إلغاء القانون الخاص بالجزائريين⁵.

كما أن المطالب التي نادى بها أعضاء الاتحادية المنتخبين لم تكن مطالب جديدة أضافوها، فهي نفس المطالب التي نادوا بها منذ دخول استعمار الفرنسي، والتي أعادها الأمير خالد، كما أن الليبراليون ما يزالون

1- يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الجزائرية، المرجع السابق، ص14.

2- فرحات عباس، ليل إستعمار، المرجع السابق، ص12.

3- ناهد إبراهيم الدسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص147.

4- عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، د طه ديوان المطبوعات الجامعية، د ب، 2001، ص141.

5- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص243.

محافظين على مطالبهم مع أن الوقت قد كان متأخرا، الا أنه لا يمكن نكران الموقف الجماعي الذي كان سنة 1927م من طرف الليبراليين كان نقطة انطلاق هامة¹.

إن المطالب التي نادى بها النواب مثل احترام الدين الإسلامي واللغة العربية لم تكن تعبر عن جميع أعضائها، وهنا وصفهم جوليان بقوله: "فمنهم من كانوا من أتباع الإيجابية مثل زرقين في قسنطينة ومنهم من كانت تحذوهم لروحانية غامضة وحماس حائر مثل فرحات عباس من سطيف، ومنهم من كانوا ملحدين ماسونيين مثل الدكتور الأخضرى من قالمة، ومنهم من لا يكثرثون بالعقيدة الإسلامية، بل كانت عقيدتهم اشتراكية مثل المعلمين ليشاني وطاهرات".

ومن هنا نستنتج أن هذه الجماعة لم يكونوا منسجمين لا في الإيديولوجية السياسية ولا في المبادئ الإسلامية، ولا حتى في نظرتهم المستقبلية إلى الجزائر، وإنما الأمر الذي يجمعهم هو الثقافة الفرنسية ورفيها وحفاظهم على العادات والتقاليد التي تساعدهم وتؤثر على سلوكياتهم الاجتماعية بما أن ضمن بينتهم الأصلية²، ولهذا نادى الليبراليون بوضع حد لهذا التناقض بمنح الجزائريين كل الحقوق السياسية والمدنية مثل المواطنين الفرنسيين³.

- تحسين الحالة الثقافية والتعليم المهني .

- تطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية في الجزائر .

- إعادة النظر في قانون الانتخابات الصادر في 1919م⁴.

- إعلان عفو العام عن الجزائريين المسجونين والمنفيين.

- إطلاق حرية الصحافة وإنشاء الجمعيات.

- وضع حد لهجرة الأوربيين إلى الجزائر⁵.

1- أبوقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 357.

2- عبدالكريم بوصفصاف، جمعية علماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 243.

3- فرحات عباس، نيل الإستعمار، المرجع السابق، ص 144.

4- الجمعي الخمري، حركة الشباب الجزائريين 1900/1930، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة 1994، ص 218.

5- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 80.

لقد طالب المنتخبون بالمساواة والإصلاح، كما اتسمت هذه المطالب بالسلمية دون العنف، كما تمثل الإدماج الذي نادى به النواب بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية، أي أنهم أرادوا أن يكونوا فرنسيين مسلمين، كما أن مطالب المنتخبين كانت معتدلة و تلح على المساواة في الخدمة العسكرية وفتح المدارس وحرية السفر و عدد أكبر من المنتخبين المسلمين في المجالس المحلية، والمطالب الأكثر أهمية الذي عملوا كل جهدهم من أجل تحقيقه هو تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي¹، كما سعت هذه الاتحادية من خلال مطالبها إلى تحقيق الإدماج حيث كانت ترى أن استقلال الجزائر يكون بواسطة تحقيق المساواة بين الفرنسيين والجزائريين².

المطلب الثاني: موقف الطبقة السياسية من الاتجاه الإدماجي.

تخضع سياسة أي دولة دائما لتأثيرات داخلية وخارجية وتتحدد بناء على الظروف الحالية والبعيدة المدى للأفراد والجماعات والتيارات وفي حال كانت القوى السياسية نشيطة فإن حضورها في الجمعية الوطنية بعد عام 1870م أعاد إثارة الخلافات بين المؤيدين والمعارضين للإدماج وكل طرف يستند إلى مبادئ أو نظريات تدعم موقفه، مما يؤدي إلى تباين الآراء خصوصا في القضايا الحساسة التي يصعب تحقيق إجماع حولها من هذا المنطلق يمكن تصنيف مواقف السياسيين إلى اتجاهين رئيسيين:

¹الاتجاه المؤيد لسياسة الإدماج في جوهره، كان يرى أن من الضروري توسيع نطاق السيطرة الفرنسية بشكل يشمل السكان المحليين حيث يتم إدماجهم ضمن المجموعة الوطنية الفرنسية، هذا التوجه كان يهدف إلى تجاوز الحدود التي تفصل بين الفرنسي والمجتمع الجزائري، عبر إزالة الحواجز الإدارية التي كانت تمنع هذا الإدماج وكان من أبرز هذه الحواجز القضاء الإسلامي، الذي اعتبره الكثير عقبة رئيسية تعترض أي محاولة جديدة للإدماج ففي نظرهم كان القضاء الإسلامي يمثل نظاما مستقلا يتناقض مع المنظومة القانونية الفرنسية وبالتالي كان يشكل عائقا أمام توحيد النظام الإداري للبلاد .

1- نفيسة دويدي، تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس من 1927م إلى 1955م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم

الإنسانية، بوزريعة، 2005، ص28.

2- العمري مؤمن، الحركة الثورية في الجزائر، المرجع السابق، ص24.

ومن بين الشخصيات السياسية البارزة في هذه المرحلة برز المارشال بيجو¹، الذي كان من أبرز المدافعين عن سياسة الإدماج ففي عام 1847م دعا بيجو إلى ضرورة إدماج العرب ضمن المجتمع الفرنسي، مؤكداً أن ذلك سيكون خطوة هامة نحو تحقيق الاستقرار والإدماج الكامل للمنطقة تحت السيطرة الفرنسية حيث كتب "علينا إدماج العرب بكل الوسائل الممكنة وتغيير أخلاقهم بالتدرج ويبدو لنا من الحكمة إشراك الإنديجان في مجتمعنا و جعلهم يتمتعون بكل الامتيازات التي يحتوي عليها الإشراك"²، كما أن المقصود من هذا الكلام ليس دمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي مع الحفاظ على أحوالهم الشخصية ولكن أعتقد هو إدماج كلي يقوم على القضاء النهائي لكل مقومات الشعب الجزائري.

وفي بداية الجمهورية الثالثة استمر العديد من المفكرين والقادة في إتباع نفس الطرح الذي كان قائماً في سابق، وكان على رأسهم جول فيري ومع استقرار الوضع السياسي في فرنسا، وبدء التحولات التي أدت إلى تحول الجمهورية إلى إمبراطورية وتوسع النفوذ الفرنسي إلى أطراف جديدة بالإضافة إلى تزايد الوعي بين الشعوب المستعمرات، وكان ذلك تأثير مباشر على تشكيل المواقف السياسية للنخب والسياسيين في فرنسا وفي مستعمراتها، ومع مرور الوقت بدأت مواقف دعاة الإدماج تتراجع وتثير تساؤلات كثيرة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها :

- أصبح الحزب الجمهوري يمثل قوة ضاغطة في البرلمان الفرنسي، حيث كان له دور مؤثر في تشكيل السياسة الجمهورية.

- أدركت السلطات الفرنسية و الجمهور العام أن المستوطنون في الجزائر الذين تم إدماجهم لم تتغير سلوكهم ولا عقيدتهم، وكان من الواضح أنهم لم يذوبوا في المجتمع الفرنسي بل ظلوا محافظين على أحوالهم الثقافية والاجتماعية.

1- بيجو De la pincommeireBugeaud(1784-1849) هو فرنسي عين حاكماً على الجزائر للمزيد ينظر: lrousseuniverssel en2 volumes

'nouveau dictionnaire encyclopedique' p314.. (1276) Tom1 1922, lrousse (paris) Augé, claudedirectionde souslapublies

2-Vignon, louis (1859 – 1932), La France dans l'Afrique du Nord, Algérie et tunisie, Librairie Guillaumin (Paris), 1887, (308p), p232 .

أما الجمهوريون فقد اعتبروا الإدماج إنه يتعارض مع الحفاظ على الهيمنة الفرنسية¹، وفي هذا الصدد كتب رئيس محكمة الجزائر دي منارفيل **De menerville** قائلاً: "مجتمعان متناقضان في الأخلاق والأفكار والديانة لا يمكن أن يندمجا إلا باحتواء أحدهما الآخر".²

في تلك الفترة ظهرت جمعيات تسمى في تلك الفترة "محبو الجزائريين" التي طالبت بإصلاحات سياسية لصالح الجزائريين، كما أن هذه الجمعيات ترى أن حل مشكلة المسلمين الجزائريين لا يمكن أن يتحقق إلا بمنحهم حقوق المواطنين كما أن هناك من يفضلون الإدماج الثقافي والأخلاقي والسياسي، وأكدوا أن الإدماج قد يستغرق وقتاً طويلاً³، لكنهم كانوا يؤمنون بأهمية العامل الزمني في تقوية الروابط بين المجتمعين ورغم ذلك كان هؤلاء يرفضون تماماً فكرة المساواة الكاملة للجزائريين في الحقوق.

وفي المقابل كان التيار الاشتراكي يعتقد في ضرورة منح الجزائريين حقوقهم وكان زعيم هذا التيار جوريس قد صرح في عام 1913 م قائلاً: "أن الحزب الاشتراكي ليس منصبا على الشرع في المطالبة بإخلاء المستعمرات بين عشية وضحاها، ففرنسا لها واجبات محددة وعميقة"⁴، من خلال هذا التصريح يتضح أن جوريس و أتباعه من الاشتراكيين كانوا يطالبون بإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية للجزائريين لكنهم لم يكونوا مستعدين لتحقيق ذلك على حساب مصالح فرنسا الاستعمارية .

وفي عام 1914م كانت الأوساط الاشتراكية تشهد خلافات حادة حول قضايا استعمارية معقدة، فقد كان الاشتراكيون منقسمين بشكل كبير حول مسألة الاستعمار، حيث كان البعض يرى أن الاستعمار يشكل قوة ضرورية من أجل تحقيق الاستقرار والنمو في بعض المناطق، في حين كان آخرون يعتبرون الاستعمار بمثابة ظلم تاريخي يهدد حقوق الشعوب المستعمرة ومن بين الذين دافعوا عن الاستعمار كان يول لويس الذي كان يرى أن الاستعمار يمكن أن يكون أداة لتحقيق التقدم الحضاري وفي مقابل كان هناك من الاشتراكيين المعارضين

1-Couderc-Morandeaustéphanie, Philosophie Républicaine et Colonialisme : origines, contradictions, échecs, thèse de doctorat pour obtenir le grade de docteur de l'université Paris X Nanterre des sciences humaines, Année 2007, N° PA10-60, p 241.

2- سباعي سيدي عبد القادر، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية الفرنسية 1870-1940م "الجزائر نموذجاً"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2015/2016، ص75.

3- Couderc-Morandeaustéphanie, Philosophie Républicaine et colonialisme : op. Cit, p87.

4- Marssilejacques, Lagauche, la droit et fait colonail en France . Des années 1880 aux années 1960, In :vingtième siècle. Reuve d'histoir.

N°24, octobre- décembre 1989. (pp 17-28), p19.

للاستعمار مثل ديسلينبر¹، الذين اعتبروا أن الاستعمار هو شكل من أشكال الاستغلال والاضطهاد الذي يجب محاربته .

أما الحزب الشيوعي، فقد بدأ دفاعه عن قضايا الشعوب المستعمرة في فترة بين عامين 1924م 1928م حيث كانت هذه الفترة بمثابة مرحلة مفصلية في مواقفه اتجاه المسألة الاستعمارية، حيث كانت مواقف الحزب الشيوعي التي تركزت حول ضرورة دعم حق الشعوب في تقرير مصيرها والتحرر من الاستعمار، قد أثرت بشكل واضح في توجهات العديد من الاشتراكيين، ومع مرور الوقت ساهمت هذه المواقف في دفع بعض الاشتراكيين نحو بني مواقف أكثر محافظة خاصة في إطار علاقتهم مع الدول الاستعمارية، وفي هذا السياق كانت هناك محاولة لتقليد السياسات الاستعمارية الحديثة وهو ما أدى إلى تصعيد الدعوات المطالبة بنهاية الاستعمار، بحيث أصبحت السياسة الاستعمارية الجديدة تثير الغلق بين مختلف الحركات السياسية، بما في ذلك الأحزاب الاشتراكية من جهة أخرى وكانت دعوات تقليدية تشير إلى ضرورة احترام حق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها².

أما بالنسبة للفرع الفرنسي للحزب الاشتراكي الفرنسي "SFIO" فقد شهدت الفترة التي تلت عودته إلى السياسة العامة تراجعاً في مواقف الحزب، حيث انحرف عن سياسة الإدماج التي كان يدافع عنها في السابق، وفي المقابل بدأ الحزب يتبنى سياسة وهي سياسة داعمة للاستقلال الذاتي و هو ما يتعارض مع المواقف السابقة التي كانت تؤيد الاستعمار والتوسع الإمبريالي³.

فقد ظل الحزب الاشتراكي الفرنسي في موقف دفاعي اتجاه الاستعمار، حيث كان يرفض بشكل قاطع التبرير لفعل الاستعمار والترويج له من جهة أخرى وظل قادة الحزب الاشتراكي مقتنعين بأن مساهمة الحضارة الأوروبية هي العامل الإيجابي في تحرير الشعوب المستعمرة وتنميته.

وفي سابق أوسع حتى الشيوعيون الذين كانوا يشاركون في أطر منظمات دولية مثل الحركة الأممية الثالثة فرضت عليهم إيديولوجيات تدعم حركات التحرر الوطني إلا أن مواقفهم اتجاه المسألة الاستعمارية كانت متباينة، حيث انقسموا بين مؤيدين لموقف داعم للاستقلال وبين آخرين كانوا يرون في الاستعمار جزءاً من

1 - semidie Madame Manuele, semidiemanuela, Les socialistes française et le problème colonial entra les duex guerre (1919-1939), In : revue française de science politique, 18e année, n° 6, 1968. (pp.1115-1154), p1118

2 - Ibid, p1117.

3- سباعي عبد القادر، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص76.

مهامه حضارية هو تقديم الدعم للشعوب، وبالتالي كانت مواقفهم اتجاه القضايا الاستعمارية غير متجانسة مما عكس التباين الواضح داخل الحركات الاشتراكية والشيوعية نفسها.¹

ومن بين الاشتراكيين الذين دافعوا عن سياسة الإدماج كان موريس فيوليت من أبرز الشخصيات التي عبرت عن مواقفها الصريحة في هذا السياق في عام 1931م صرح قائلا: "لا أعرف سياسة استعمارية ممثلة في إدماج"²، وبعد فشل مشروع بلوم فيوليت في عام 1936م الذي كان يهدف إلى منح مزيد من الحقوق للمواطنين الج الفرنسي لحزب العمال الاشتراكي الفرنسي "SFIO" في باريس في 2 أوت 1936م وفي هذا المؤتمر صوت الحزب على برنامج دعا إلى تقسيم الجزائر إلى قسم واحد collège unique في الانتخابات، وأيد إلغاء الحكومة العامة ومع ذلك فقد كانت هناك تناقضات في مواقف الحزب حيث استمر في تبني سياسة قمع الحركات الوطنية الجزائرية³، وحظر حزب الشعب الجزائري "PPA"، مما ساهم في تعزيز مظاهر الاستعمار والقمع ضد الشعب الجزائري في تلك الفترة.

من الجدير بالذكر إنه في العشرينات من القرن الماضي وتحديدا في عام 1920م بدأت الحركات الدعائية ضد السياسات الاستعمارية الفرنسية تنتشر في فرنسا وكان هذا التحول جزءا من توجه أوسع ضد الاستعمار والإمبريالية، حيث ظهرت العديد من الحركات التي ناهضت قمع الشعوب المستعمرة، وفي عام 1927م تم تأسيس منظمات مناهضة للاستعمار تهدف إلى دعم الشعوب المستعمرة في نضالها من أجل الحصول على استقلالها السياسي والاقتصادي، كانت هذه الحركات تركز على تأييد حق الشعوب في تقرير مصيرها وفتح الطريق أمامهم للحصول على استقلالهم الكامل عن القوى الاستعمارية.⁴

وفي عام 1931م تحت تأثير بعض أعضائها الاشتراكيين مثل ماريوس مونييه **Marius Mouteh** و سالوماغريماخ **salomonGrimbach**، تبنت رابطة حقوق الإنسان "LHD" مؤيدين الاستعمار، معتبرة أنه يشكل انتهاكا لحقوق الإنسان وفي هذا السياق دعت الرابطة إلى استخدام وسائل عنيفة للحد من تأثيرات

1-Valérie esclangon-Morin, Les française d'Algérie ou la constituion d'une communauté française à partir d'une double migration,colloque Pour une histoire critique et citoyenne.le cas de l'histoire franco-algérienne, 20-22 juin 2006, lyon,ENS LSH, 2007.

2- عبد القادر السباعي، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص 77.

3-Storabenjamin, Le nationalisme algérien avant 1954, CNRS E'ditions, Paris,2010, p 35 .

4-Semidei Madame Manuela, les socialistes française et le problème coloniale les deux guerres (1919 -1939), In :Revue française de science politique, 18e année,n°6, 1968. pp. 1115 -1154, p 241.

الاستعمار ومع مرور الوقت بدأت الرابطة تركز وبشكل أكبر على قضايا سياسية واجتماعية تتعلق بالاستقلال الاجتماعي، حيث كانت ترفض التصريحات الاستعمارية الصريحة ولكنها لم تكن تقدم حولا مباشرة لمقاومة الاستعمار.¹

ب-وفيما يتعلق بالاتجاه المعارض لسياسية الإدماج، يظهر أن هذا الخيار قد بدأ منذ مرحلة بداية الاحتلال، رغم أنه كان مبدئيا غير واضح وكان يشوبه التردد والغموض، وفي تلك المرحلة كانت مواقفه غير حاسمة، وظل الموقف السياسي في طور التبلور، حيث كان يرفض فكرة الإدماج و مع مرور الوقت بدأت ملامح هذا الاتجاه تتضح بشكل أكبر و ظهر تيار سياسي معارض للإصلاحات التي كانت تهدف إلى تغيير الوضع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وخاصة بعد صدور مرسوم التجنيس عام 1865م ومرسوم تجنيس اليهود في 1870م وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأ يظهر ما يعرف بالأحزاب السياسية التي انتقدت هذه السياسات، ويتضح ذلك من خلال الموقف الذي عبر عنه دي غيدون Degueydon، حيث رد على إقتراح التجنيس الجماعي للمسلمين بنفس الطريقة التي تم بها تجنيس اليهود قائلا: "إن فتح أبواب المواطنة للجماهير المسلمة هو أمر مرفوض، لأنه سيؤدي إلى إنشاء ملايين من المواطنين الجدد منهم أقلية فرنسية ستعاني من التهميش، ماذا سيحدث بعد ذلك؟".²

كان هناك تأييد قوي على ضرورة إبقاء المسلمين الجزائريين في وضعية رعايا تحت سياسة الإدماج، وهو موقف تم تبنيه من قبل شخصيات بارزة في سلطة خلال تلك فترة، وهذه الشخصيات أكدت على حرية الإدماج التي جاءت بموجب مرسوم التجنيس 1865م كانت تواجه عوائق إدارية على مختلف المستويات وأن نتائجها كانت فاشلة، ورغم ذلك بدأ يعلو صوت معارض لهذه الفكرة حيث حذرت صحيفة لالبيرتي في مقال نشرته يوم 16 و 17 أوت 1871م من خطر إدماج الشعوب المستعمرة حذرة من تبعات ذلك على المجتمع الفرنسي.³

كان المعارضون لسياسة إدماج المسلمين الجزائريين في المجتمع الفرنسي يشكلون قوة ضاغطة على السياسة الفرنسية بشكل عام وكانوا في معظمهم يمثلون غالبية القوى السياسية السائدة في تلك الفترة، ومن أبرز

1-Ibid , p138 .

2-Hervé Andres, « Droit de vote : de l'exclusion des indigènes colonisés à celle des immigrés », Revue Asylon(s), N°4, mai 2008,

Institutionnalisation de la xénophobie en France, url de référence : <http://www.reseau-terra.eu/article733.html>.

3-Nyambarza.D, La formation de la Doctrine coloniale de la France sous la troisième République 1870-1881, Thèse d'histoire 3ème

cycle ,université de paris , facult des lettres et sciences humaines sorbonne, p 78 .

هؤلاء المعارضين كان جيل كميون Jules Cambon الذي شغل منصب المندوب العام للجزائر بين عامي 1891م إلى غاية 1897م، حيث رفض كميون بشدة فكرة الإدماج الإداري للجزائر حيث عبر عن موقفه هذا أمام اللجنة البرلمانية المكلفة بدراسة المسألة الجزائرية قائلا: "لا يمكن تصور إدارة الجزائر كمجتمع يشمل شعوبا تختلف تماما عن المجتمع الفرنسي إن فكرة إدماج نفسها هي مجرد وهم".¹

كان هذا التصريح يعكس بوضوح رفض كميون لسياسة الإدماج الإداري التي كانت تتمناها الحكومة الفرنسية في الجزائر، كما دعت مطالب أولئك الذين كانوا يطالبون بإعادة السلطات المحلية إلى الجزائر وهو ما تم تقليصه بشكل كبير منذ عام 1871م، وكانت سياسة الإدماج التي سعت إلى دمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي من خلال منحهم الجنسية الفرنسية قد لاقى رفضا شديدا من شخصيات بارزة مثل كميون الذين رأوا أن هذه الفكرة لا تتناسب مع الواقع الاجتماعي والسياسي في الجزائر.

موقف كميون لم يكن مجرد اعتراض على سياسة الإدماج بل كان أيضا دعما للمطالب المتزايدة بالاستقلال الإداري عن السلطة المركزية في باريس، وهذا الموقف كان له تأثير واضح في صياغة السياسات الفرنسية اتجاه الجزائر، حيث من المحتمل أن يكون قد أثر في تقرير اللجنة البرلمانية التي كانت برئاسة جول فيري، والتي كانت تدرس كيفية التعامل مع الوضع في الجزائر.

بدأت مواقف العديد من دعاة ومؤيدي سياسة الإدماج تتراجع مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك بسبب عدة أسباب ففي عام 1892م اعتبر جول فيري عضو مجلس الشيوخ الفرنسي أن الاستعمار كان حقا وواجبا يتمثل في استغلال الشعوب الأخرى وتمديد النفوذ، ومع ظهور سياسة الإدماج ازدادت هذه المواقف قوة حيث أصبح فيري يدعم فكرة تفضيل الأوروبيين على حساب السكان الأصليين مما جعل المعارضة لهذه السياسة تتزايد بشكل ملحوظ.²

وجاء في تقرير جول فيري الذي قدمته اللجنة البرلمانية التي زارت الجزائر في عام 1891م "من الصعب على الأوروبيين أن يقتنعوا بوجود حقوق أخرى غير تلك التي يتمتعون بها فهذه الحقوق خاصة بالعرب وأن

1-LecourGrandmaison olivier, La République impériale-Politique et racisme d'Etat, Paris,Fayard, 2009,401pages p129.

2- Dimier Véronique, « Politiques indigènes en France et en grande-Bretagne dans les années 1930 :aux origines coloniales des politiques de développement »,Politique et sociétés, vol. 24, n° 1,2005, (pp. 73-99) p79.http//id. erudit.org/ iderudit/ 011496ar.

الإدماج ليس إلا عرقا لا يمكن التعامل معه كما يشاء¹، بهذا التصريح يعبر فيري عن موقف جديد يعارض الفكرة الإدماجية التي كان يروج لها في السابق في خطابه أمام البرلمان عام 1885م، وفي هذا السياق يعترف فيري بوجود حقوق خاصة للمسلمين لا يمكن تجاهلها و يطالب سياسة مغايرة للإدماج تحت مسمى "الإدماج" وذلك في إطار احترام الفصل الخامس من معاهدة السلام 5جويلية 1830م.

تعتقد الباحثة ف لورسري **Francoiselorcerie**، أن الأوروبيين كانوا دائما ينظرون إلى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر باعتبارهم ممثلين لحضارتهم العليا واعتقدوا أن تحقيق هذه الحضارة بين الجزائريين كان مستحيلا بسبب الإسلام، كما أشارت على أن فكرة اعتبار الإدماج حقا كانت فكرة خطيرة جدا إذ كانت تعتبر أن الأوروبيين هم من يمتلكون الحق في فرض حضارتهم على الآخرين وفي هذا السياق ترى فورسري أن السياسة التي كان يدافع عنها فيري كانت تعتبر أن الإدماج شيئا يخص الأوروبيين وحدهم بينما كانت تتجاهل الحقائق الثقافية والدينية للشعوب المستعمرة².

وفي المجال السياسي كان هناك مفكرون مثل غوستاف لويون الذين نشروا أفكار عنصرية في أوساط النخب الجمهورية الفرنسية³، هذا الفكر كان يروج لفكرة تفاوت الأوروبيين على الشعوب المستعمرة وفي مؤتمر مرسيليا الذي عقد في عام 1906م، قدم وزير المستعمرات الفرنسي جورج ليغ عرضا رسميا أكد فيه أن سياسة الإدماج كانت خطأ ويجب التخلص منه⁴، كما صرح الرئيس الفرنسي إميل لوبيه أثناء زيارته للجزائر عام 1903م قائلا: "على هذه الأرض أصبحت ساحة المعركة مكانا لفرس عرق الجديد" في إشارة إلى محاولات الفرنسيين لتغيير هوية الجزائريين الثقافية والعرقية⁵.

يعبر هذا الطرح عن رفض محاولات التقارب مع الآخر وهو الموقف الذي كان سائدا في نهاية القرن

19 وبداية القرن 20 فقد سعى كل من سارو **sarraut**، و دولا فينييت **Robert Delavignette**، و لابيوري

henrilabouaret صاحب كتاب " **Question de potitique indigéné africane protectorate** " **au administrati on directe**

، إلى توضيح أن سياسة الإدماج كانت مجرد محاولة طويلة الأمد من قبل

1- عبد القادر سباعي، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص79.

2- عبد القادر السباعي، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص79.

3- عبد القادر السباعي، المرجع نفسه، ص79.

4- Lorcerie française, « L'islam comme contre-identification française : trois moment », L'Année du Maghreb, II 2005-2006, (pp. 509-536), p521.

5- Hess jean (1862 - 1926), La vérité sur l'Algérie, librairie universelle (Paris), 1905, 435p, (p4).

فرنسا ولكنها كانت في النهاية تجربة فاشلة ، ويرى هؤلاء المفكرون أن سياسة الإدماج كانت بمثابة خطأ للشباب الفرنسي الصاعد مما يعني أن هذه السياسية التي حاولت فرنسا تطبيقها في الجزائر كانت في نهاية المطاف غير ناجحة¹.

المطلب الثالث: موقف المثقف الفرنسي من الإدماج.

كانت العلاقة بين المستعمرين والمثقفين الأوروبيين، حتى أولئك الذين يعتبرون معارضين للإستعمار، تتسم بالتردد وعدم المواجهة الصريحة²، خاصة قبل عام 1919م. فهؤلاء المثقفين غالبا ما إكتفوا بإنتقاد بعض التجاوزات دون الطعن الجريء في الأسس الإيديولوجية للإستعمار³، لكن في الفترة ما بين الحربين العالميتين، بدأت تتعالى أصوات المثقفين الشيوعيين، مدفوعة بإئتمائهم إلى الحركات الأممية المناهضة للإستعمار وفي نفس الوقت إتضحت مواقف مثقفين آخرين من التيارات الليبرالية والإشتراكية، حيث بدأوا يعبرون وبشكل واضح عن رفضهم للإستعمار خصوصا بعد تصاعد حركات التحرر الوطني في المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد إنقسم هؤلاء المثقفون بين المؤيدين والمعارضين للسياسات الإستعمارية المفروضة على الشعوب الخاضعة للإستعمار مثل سياسة "إدماج الأهالي" حيث تعددت مواقفهم و إختلفت إلى درجة يصعب حصرها بالكامل، لكن يمكن تصنيفها ضمن توجهات عامة وفق السياق السياسي والثقافي آنذاك وهي كالتالي :

لقد تعددت خلفيات و مواقف المؤيدين لفكرة إدماج الجزائريين، إذ لم يكونوا يشكلون تيارا موحدا بل إنطلقت مواقفهم من دوافع مختلفة، فبعضهم بنى قناعته على الإحتكاك المباشر بالواقع الإجتماعي والثقافي للجزائريين، في حين إستند البعض إلى تحليلات عقلانية وقراءات معمقة للواقع الإستعماري القائم، ومن بين هؤلاء يبرز بول بورد **Paul Bourde**، النائب البرلماني الذي توصل خلال زيارته للجزائر إلى إستنتاجات تتعارض مع الرؤية الإيديولوجية الإستعمارية السائدة آنذاك. وقد عبر عن موقفه بوضوح قائلا: "إذا قرنا أن نحاول بجدية وبقوة الإدماج هذا هو الأمل الذي نرى منه الإختفاء كراهية الأعراقوالجزائر لديها

1-Véronique Dimer, « Politiques indigènes en France et enGrande-Bretagne dans les années 1930 :aux origines coloniales des politiques de développement »,Politique et sociétés,vol.24, n° 1, 2005, (pp.73-99), p 99. <http://id.erudit.org/iderudit/011496ar>.

2-Hervé Andrés, le droit de votes des étrangers, état des lieux et fondoments théoriques, Doctorat de science juridiques et politiques, sous la direction de Mme chemillier- gendreau,Université Paris711 Denis Diderot,2007, 462 pages , p178.

3- عبد القادر السباعي، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص81.

مشكلتين مترابطتين، ولا يمكن حل واحدة إلا بحل الأخرى، فالكولونيالية الأوربية تبقى دائما مهددة و محفوظة بالمخاطر، مالم يتم إدماج الإنديجان¹.

نشرت مجلة **La Revue indigène** آراء لعدد من أساتذة القانون الذين دعوا إلى إعتماد نظام تجنيس خاص، يتميز عن القانون العام، معتبرين أن هذا التوجه أصبح ضرورة ملحة، وفقا لما أكده مدير المجلة بول بورد²، وقد شدد على أهمية تسهيل إجراءات التجنيس بالنسبة لـ"الأنديجان" الذين أدوا خدمتهم العسكرية، والذين أثبتوا إقتانهم الكافي للغة الفرنسية، ويقترح أن يقتصر الأمر على تقديم طلب بسيط للحصول على الجنسية الفرنسية، مع إمكانية التحفظ في حال وجود سوابق أو عقوبات قانونية³.

وقد أشار بورد إلى التناقض القائم في السياسات الفرنسية حيث منح التجنيس لعدد من الأوربيين بدرجات دنيا من الإستيعاب الثقافي واللغوي، رغم أنهم لا يتقنون الفرنسية ولا تجمعهم علاقة فعلية بفرنسا في الوقت الذي يحرم فيه الجزائريين الذين تربوا وتعلموا في المنظومة الفرنسية من هذا الحق وفي هذا السياق، صرح أولد فميسيمي **Messimy Adolphe**⁴، قائلا: "بدلا من عرقلة التجنيس ينبغي علينا بذل الجهود بكل الوسائل الممكنة لتشجيعه، إن تردد فرنسا في منح الجنسية بشكل جماعي لليهود الإنديجان كان خطأ فادحا، فقد جعلنا منهم فرنسيين بصورة غير مباشرة وبموجب قانون 1889م منح الشباب الإسبان الجنسية الفرنسية تلقائيا، رغم أنهم لم ينسوا أصولهم وهويتهم السابقة بسهولة ومن غير المنصف اليوم أن نرى شابا جزائريا تعلم ونشأ في فرنسا لا يزال يعامل بصفته أهليا دون أية مكانة تذكر في حين يمنح الإسبان رغم التعلم الرسمي في بعض الحالات الجنسية الفرنسية دون شروط تذكر"⁵.

يكشف هذا الموقف بوضوح وموضوعية عن طبيعة السياسة الإدماجية التي تبنتها السلطات الإدماجية التي تبنتها السلطات الفرنسية والتي قام ميسيمي بتسليط الضوء على تناقضاتها، مبررا الأبعاد العنصرية المستترة في هذه السياسة.

1-Bourde paul, A travers l'agerié : souvenir de l'excursion palementaire (september-octobre 1879 G .charpentier paris, 1880,389pages, p232

2-Patrick weil, Qu'est-ce qu'un français ? Histoire de la nationalité française depuis la révolution,éditions Galliard, 2004,651 pages , , p360.

3-Messimy Adolphe, statut d'indigènes algériens, paris, H, charles-lavauzelle, 1913,75p, p49

4- ميسيمي **Messimy Adolphe**، رجل سياسي وجزال فرنسي، وعين وزير للحرب في 1914، ينظر إلى: Larousse universel en 2 volumes : Nouveau Dictionnaire

encyclopédique . publié sous la direction de Claude Augé, Larousse (Paris),1922)Tom2(1292p) p229.

5-Messimy Adolphe, statut des indigènes algériens,op,cit,p48.

أما رجل القانون ف.كاسمير CasmirFrégier يرى: "الإدماج المحدود أولاً ثم التوحيد بلا حدود التشريع الفرنسي، ولكن الإدماج والتوحيد التدريجي والمرحلي هو الكلمة الأولى والأخيرة للغزو المعنوي للجزائر"¹.

ومما جاء في جريدة صوت الضعفاء² Lavoix des humbles: "إذا فشلت سياسة الإدماج التي تطالب بها الطبقة الوسطى الصاعدة فهو مفهوم لأنها تتعارض مع جميع المصالح الإستعمارية"، حيث يكشف هذا الموقف بوضوح وموضوعية عن طبيعة السياسة الإدماجية التي تبنتها السلطات الفرنسية والتي قام ميسيمي بتسليط الضوء على على تناقضاتها، مبررا الأبعاد العنصرية المستترة في هذه السياسة³.

من المتوقع أن تواجه سياسية الإدماج الجزائريين المسلمين معارضة قوية من قبل فئة نخبوية أخرى لأسباب تاريخية و عقدية، تسعى هذه السياسة إلى الجمع بين تناقضات مثل الكراهية والإحتقار الفرنسيين إتجاه الجزائريين والحدق الجزائري المسلم على المستعمر الفرنسي. كما أشارت ف.لورسري François Lorcerie إلى وجود كراهية إستعمارية إتجاه الإسلام، متأثرة بالسجل العنصري، مترافقة مع كراهية للعرب مشابهة لتلك التي عبر عنها إرنست رينان، والتي ترتبط بتيارات فكرية في فرنسا، لكنها تتميز بخصوصية جزائرية⁴.

وفي عام 1869م كتب لونيل أوجان Lunel Eugén: "يجب مهاجمة القرآن الكريم ولا يمكن تصور إلغاء هذا الدين"⁵. وإستمر في تحليله لمسألة الدين في الجزائر معتبرا أن إلغاء الديانة الإسلامية خطأ كبيرا،

1-Frégiercasmir : Etudes législatives et judiciaire sur l'algérie XV .op.cit, p6.

2- colonna Fanny. Verdict scolaire et position de classe dans l'algériecoloniale.In : Revue française de sociologie.1973, 14-2. pp.180-201.(p190).

3-جريدة صوت الضعفاء La voix des Humbles وهي مجلة شهرية تربوية وإجتماعية أنشأت عام 1922م في الجزائر وكانت تعنى بقضايا التعليم والإجتماع، مثلت هذه المجلة لسان حال جمعية المعلمين من أصول جزائرية، حيث عبرت بدقة عن تطلعاتهم والمشروع الإجتماعي للنخبة المتوسطة المتخرجة من المدارس الفرنسية⁴ والذين كانوا يعرفون في تلك الفترة بـ"المتطورين"ولقدإستمرت هذه المجلة في الصدور حتى عام 1939م ينظر إلى: Revue : Colonna Fanny. Verdict scolaire et position de classe dans l'Algérie coloniale.In : française de sociologie,1973,14-2.pp. 180-201, p190.

4-lorcerie francoise ,L'islam comme contre -identification française :op .Cit, p515.

5-Lunel,eugène,laouestion algérien .Les arabes, l, armée, les colons. E 'ditionlachaud paris 1869 (137) p66.

وأنه يجب نزع الطابع المدني والسياسي عن القرآن، مع الإبقاء على جانبه الديني الأساسي¹، كما برر ج. ليسيان **Gallois Lucien** إستحالة إدماج المسلمين بقوله: "هؤلاء الناس لا يكفرون مثلنا ، والعائق بيننا وبين الجزائريين هو الجزائريين ليس الإستعمار بل الإسلام"².

ولقد تبنى عدد كبير ممن يعتبرون أنفسهم من النخبة المثقفة آنذاك مواقف تشبه إلى حد بعيد تلك التي كانت سائدة لدى المستعمرين فيما يخص وضعية الجزائريين المسلمين وما يدل على ذلك ما كتبه الكولونيل أزان إذ قال: "إن العربي غير قادر على فهم الأفكار أو إستيعاب المعارف"³، وقد رأى الضابط الفرنسي أرينان أن الذين ينحدرون من الشرق أو إفريقيا يمتلكون عقولا ضيقة و أذهانا مغلقة تماما عن العلم، ولا قدرة لهم على التعلم أو تقبل الأفكار الجديدة، ورغم أن هذا التصريح قد يبدو للوهلة الأولى و كأنه يحمل شيئا من الحقيقة إلا أن مضمونه عار عن الصحة⁴، فخلف هذا الخطاب تمكن نظرة إستعمارية عنصرية تعتبر الجزائريين مجرد "أهالي متخلفين" غير قابلين للتمدن أو الإدماج. والحقيقة أن المسألة أعمق بكثير فالفارق بين الفرنسي والجزائري ليس فطريا ولا قديريا بل هو ناتج عن ظروف تاريخية وسياسات ممنهجة، مما يجعل من هذا القول معارضة صريحة لسياسة الإدماج التي كانت تعلنها الإدارة الإستعمارية آنذاك.

شارك غوستاف.ل. **Gustave** في المؤتمر الأنثروبولوجي العام الذي عقد في باريس سنة 1889م حيث قدم تقريرا تناول فيه تأثير التعليم والمؤسسات الأوربية على الشعوب ما يعرف بالأهالي في المستعمرات بشكل عام، كما قد أشار إلى فشل سياسة الإدماج التي وجهت لهؤلاء السكان، مؤكدا أن العقبة الأساسية تكمن في إصطدامهم بمؤسسات إجتماعية⁵، وسياسية وثقافية متجذرة في منظومة حضارية وتاريخية معقدة يصعب عليهم الإنخراط فيه أو إستيعابه ومسايرته حيث أن هذا الرأي ينسجم مع ما عبر عنه ماحي فرانسوا في قوله : "الإدماج أمر ينطوي على خطر، وهو مخالف لطبيعة مستعمراتنا، فهؤلاء لا يتمتعون بقدر كاف من التحضر ولا هم ناضجون بما يؤهلهم لتحمل نظام الحرية"⁶.

1-Ibid p67

2-Gallois lucien, les indigén es.in : Annales de géographie .1921, t. 30, n165. (Pp .236-249(, p237.)

3-Lecour Grandmaisonolivier,la République impériale- Politique et racisme D'état, Paris, Fayard, 2009,401pages, p144.

4-Gallois Lucien .Les indigènes .op .cit, p 237.

5-Saada Emmanulle, « Entre " assimilation " et " décivilisation" .L'imitation et le projet colonail républicain », terraiian ,n° 44, (pp .19-38), p26.

6-Mahy francois de, Le régime politique aux colonies : réponse aux adversaires des institutions libérales aux coionies, Paris, Armand le chevalier, édeteir ,1872 ,47p .p12.

بحسب النقيب أنطوان فنسنت باسول **Passols Antoine-vicent** فقد خلص إلى أن الأهالي لا يرغبون في التجنيس، كما أنه من الخطأ منحهم مثل هذه الحقوق¹، إذا لا جدوى منها ولا أمل في إصلاحها، ويتقاطع هذا الرأي مع ما عبر عنه فرانسوا ماحي الذي قال: "إنهم ليسوا متحضرين بما فيه الكفاية ولا ناضجين لتحمل نظام ديموقراطي فهذه البلدان غير العادية تتطلب قوانين إستثنائية، ويجب رفض أي فكرة عن الإدماج. اما القاعدة الأساسية لنظام إستعماري ناجح فهي الحكم الذاتي للمستعمر"².

يرى جول هارماند **jules harmand** في كتابه **domination et colonisation** الذي نشر عام 1910، أن فكرة الإدماج تتعارض مع روح الإستعمار الحقيقي. فهو يعتبر أن التناقض الجوهرى لفكرة الإدماج يكمن في صلب الوضع الإستعماري ذاته، إذ يؤدي إلى إلغاء المسافة الفاصلة بين المستعمر والمستعمر³، وهي مسافة ضرورية لضمان إستمرار السيطرة أما إميل لارشر **émile larcher** فيذهب إلى أن الإدماج لا يمكن إعتباره مبدأ عاما أو قاعدة مطلقة، بل مجرد تيار من بين تيارات أخرى مشددا على ضرورة وجود تشريع خاص بالمستعمرات. ويحذر من أن تطبيق الإدماج بشكل مفرط قد يؤدي إلى زوال الخصوصيات التشريعية والإستعمارية التي تقوم عليها هذه الأنظمة وهو بذلك يعبر بصراحة عن رفضه لفكرة إدماج الجزائريين⁴.

ويؤكد هارماند في موضع آخر أن فشل الإدماج لا يعود لروحه بل لأن تطبيقه نابع من فهم خاطئ لطبيعة المستعمرات و تنظيم إدارتها، إذ فرض الإدماج في بيئات لا تتناسب معه، خصصت أساسا لتوسع نفوذ الدولة خارج القارة وفي هذا السياق يفرق بين الأوروبي.

يرى ج. هارمون **Harmand**: " أن فشل فكرة الإدماج لا يعود إلى روحها بحد ذاتها، بل لأنها نابعة من فهم خاطئ لطبيعة المستعمرات وتنظيم إدارتها، إذ فرضت في سياق غير مناسب، داخل أنظمة حكم تم إنشاؤها

1-Passols Antoine-vicent « capition » :L'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans: Étude sur l'utilisation des ressources militaires des re

l'Algérie. paris henricharles-lavauzelle éditeur militaire, 1903 ,119 pages .p 21.

2-Mahy françoise, le régime politique aux colonies, op. Cit, p12.

3- عبد القادر السباعي، مسألة الإدماج في السياسة الكولونيالية، المرجع السابق، ص87.

4-Lorcerie françoise, l'islam comme contre-identification française, op : cit, p522.

خصيصا لتوسيع النفوذ خارج القارة الأوروبية¹، ويؤكد أن الأوروبيين يعتبرون بطبيعتهم قابلين للإدماج، أما غير الأوروبيين فهم في نظره غير مؤهلين لذلك بطبيعتهم².

ومنذ عام 1903م، عبر الضابط الفرنسي آزونعن إعتقاده بأن سياسة الإدماج تلحق الضرر بالمصالح الفرنسية حيث صرح بأن منح الجزائريين مساواة كاملة سيؤدي إلى خضوع الفرنسيين لحكم العرب وفي نهاية المطاف حسب رأيه سيغمر الفرنسيون ويطردون وتدمر سلطتهم وهذه ليست نظرة تشاؤمية فحسب بل هو نداء صريح لتنمية الروح التعصبية والعنصرية لدى الفرنسيين بشكل عام³.

1-Harmandjulues « 1845-1921 », domination, paris, ernestflammarion, E diteur, 1910, 370p, p14

2-hervé Andrés, le droit de vote des étrangers, op, cit, p194.

3-Ibid, p 114.

الفصل الثالث:

الآثار الثقافية لسياسة الإدماج

الفصل الثالث: الآثار الثقافية لسياسة الإدماج.

المبحث الأول: إستهداف الزوايا.

المطلب الأول: موقف فرنسا من الزوايا.

المطلب الثاني: تدمير الزوايا.

المطلب الثالث: تدجين الزوايا.

المبحث الثاني: تفكيك بنية المجتمع.

المطلب الأول: أساليب تفكيك الأسرة الجزائرية.

المطلب الثاني: إستهداف المرأة الجزائرية والزواج المختلط.

المطلب الثالث: الهجرة.

المبحث الثالث: نشر الثقافة الفرنسية.

المطلب الأول: الإدماج في الثقافة الفرنسية.

المطلب الثاني: التجنيس بالجنسية الفرنسية.

المطلب الثالث: الفكر الفرانكفوني.

المبحث الأول: استهداف دور الزوايا.

حرص الاحتلال الفرنسي على مراقبة كافة المؤسسات الثقافية والدينية في الجزائر، خاصة تلك التي كان لها دورا فعال في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية منذ بداية الاستعمار ولم تسلم الزوايا من هذا الاستهداف، كونها كانت تمثل حصونا للثقافة الإسلامية و التعليم الديني، كما عملت سلطات الاحتلال على تعطيل الأنشطة التعليمية في العديد من الزوايا، وسعت إلى تشجيع المظاهر السطحية من الدروشة و الخرافات و البدع والسحر، كما حدث مع بعض الطرق الصوفية مثل الطريقة العامرية والعيساوية، واستغل بعض القائمين على الزوايا هذه الأوضاع، وحولوا الطلبة إلى خدم يعملون لمصالحهم الشخصية.

ومن الشهادات الحية على هذا الواقع ما رواه الشيخ محمد الصالح بن عتيق¹ عن تجربته في بعض الزوايا التي تعلم بها في صغره، مثل زاوية الشيخ بورصاص حيث أقام هناك لمدة شهرين، حيث قال: "أصبحنا نعمل في دار الشيخ دون أجر، حيث كان طلبة ينهضون باكرا للذهاب إلى الحقول لتنقية الزرع من الأعشاب و قطع الحشائش و جمع اليابس منهاأما القراءة، فكانت في أوقات الفراغ من العمل، وما أقلها"، أما الطلبة الذين تمكنوا من حفظ القرآن في بعض الزوايا التي بقيت محافظة على دورها التربوي، مثل زاوية الشيخ الزواوي، فقد اقتصر دورهم بعد التخرج على تعليم أبناء قراهم، مقابل أجور زهيدة لا تسد حاجاتهم الأساسية².

1- محمد الصالح بن عتيق: ولد عام 1903 وهو أحد رجال الإصلاح في المنطقة المليية، ناضل من أجل اللغة العربية والإسلام، سجن عدة مرات من طرف الاحتلال الفرنسي وواصل

نشاطه الإصلاحي بعد الاستقلال، للمزيد ينظر: محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، ج2، دار هومة، الجزائر، 2000، ص42.

2- مخلوفي جمال، السياسة الاستعمارية الثقافية (1900-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بله 1، وهران، 2018-2019، ص166.

كانت الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر تمثل مركز إشعاع ديني وثقافي، و أدت دورا محوريا في مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى طمس الهوية الوطنية من خلال استهداف اللغة العربية والدين الإسلامي، والعادات والتقاليد الأصلية للمجتمع الجزائري. وقد تميزت هذه الزوايا بكونها مؤسسات تعليمية و تربوية، حيث تولت تعليم القرآن الكريم و العلوم الدينية و اللغة العربية، وساهمت في بناء وعي ديني و ثقافي قوي في أوساط المجتمع، خاصة في المناطق الريفية و النائية التي لم تصلها المدارس الرسمية¹.

و خلال فترة الاحتلال الفرنسي كانت الزوايا تشكل ركيزة من ركائز الصمود الثقافي و الديني، فحافظت على الإرث الحضاري الإسلامي، وساهمت في تربية أجيال متمسكة بدينها و هويتها، وهو ما جعلها هدفا مباشرا للسلطات الاستعمارية التي حاولت القضاء عليها أو تحجيم دورها وتشويه رسالتها، كما أنه لم يكن دور الزوايا مقتصرًا على التعليم فقط، بل كانت أيضا تقدم خدمات اجتماعية وخيرية، كإيواء الغرباء و المحتاجين، وإطعام الفقراء، وإصلاح ذات البين، مامنحها مكانة مرموقة واحتراما واسعا داخل المجتمع، ولقد تأسست هذه الزوايا في الأساس من أجل نشر العلم و المعرفة و تكوين نخبة من الأئمة و العلماء تكون قادرة على حمل لواء الدعوة الإسلامية والحفاظ على المرجعية الدينية للشعب الجزائري².

كما عملت الزوايا على ترسيخ مبادئ الإسلام ومحاربة التفرقة و الطبقية، ونشر روح التسامح والتعاون بين الناس، إضافة إلى دورها في حل الخلافات المجتمعية بطرق سلمية و حكيمة. ونتيجة لهذا الدور الهام، اعتبرت السلطات الاستعمارية خطرا على مشروعها الاستعماري، فعمدت إلى محاربتها بوسائل متعددة، من بينها تشويه سمعتها و نشر الخرافات و الدجل باسمها، بل ومحاولة تحويلها من مراكز للعلم والدين إلى أماكن للطقوس السطحية والفولكلور، بهدف تمييع رسالتها و إفراغها من محتواها التربوي و الديني الحقيقي، ورغم هذه المحاولات ظلت الزوايا حصنا منيعا للهوية الجزائرية و لعبت دورا فعالا على روح المقاومة الثقافية التي مهدت فيما بعد لنضال شعبي واسع ضد الاستعمار الفرنسي³.

1- إدريس حصير، البحث في التاريخ الحديث (1830-1962)، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص22.

2- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار الوراق، بيروت، 2002، ص31.

3- يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من التاريخ الجزائري، المرجع السابق، ص359.

إلى جانب الانتشار الواسع لأعمال السحر والشعوذة، شهدت العديد من الزوايا تراجعاً كبيراً عن دورها العلمي و الديني، فتحوّلت من مراكز للعلم والمعرفة إلى بؤر للجهل و الانحراف عن تعاليم الدين، وبحلول مطلع القرن العشرين، أصبحت الكثير من هذه الزوايا مجرد قباب بيضاء تنسب للأولياء، منتشرة في مختلف الدواوير و المدن الجزائرية. ومن اللافت أن عدداً كبيراً من هذه القباب، خاصة في شرق البلاد خالية من الأضرحة، إذ تنسب رمزيّاً للشيخ عبد القادر الجيلاني، رغم أنه لم يسبق له أن زار الجزائر أو وطئت قدماه أرضها¹.

المطلب الأول: موقف فرنسا من الزوايا.

فرضت سلطات الاحتلال الفرنسي قانون بتاريخ 18 أكتوبر 1892م، ينص على دمج التعليم الذي تقدمه الزوايا ضمن النظام المدرسي الفرنسي، وهو ما جعلها خاضعة للرقابة و الإشراف المستمر من قبل السلطات المدنية والعسكرية تماماً كما حدث مع المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر العاصمة وتلمسان و قسنطينة .

نص هذا القانون على ضرورة أن تمتلك كل زاوية سجلاً خاصاً تدون فيه معلومات دقيقة عن الطلبة، مثل أسمائهم و أسماء عائلاتهم و مكان إقامتهم و تواريخ ميلادهم. كما قيد القانون عملية التعليم داخل الزوايا حيث منع المعلمون من تحفيظ القرآن الكريم دون تفسير، وعلى رأسها باب "الجهاد"، بل وصل الأمر أحياناً إلى منع تدريس التوحيد، كما سعت سلطات الاستعمار إلى ضرب اللغة العربية، فشجعت استخدام اللهجات المحلية على حساب الفصحى، مما أدى إلى تدهور كبير في مستوى التعليم داخل الزوايا².

وقد جاء هذا التضييق نتيجة للدور الفعال الذي لعبته الزوايا في نشر التعليم والحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري، وهو ما دفع الفرنسيين إلى استهدافها بشكل مباشر. ومن بين أبرز أساليبهم لذلك مصادرة الأوقاف التي كانت تمول الزوايا، وإنشاء مدارس فرنسية بمناهج مغايرة تماماً،

1- مخلوفي جمال، السياسة الاستعمارية الثقافية، المرجع السابق، ص167.

2- مخلوفي جمال، المرجع نفسه، ص170.

تدرس فيها اللغة الفرنسية بهدف استقطاب التلاميذ و سحبهم من الزوايا، مما أدى إلى تقليص تأثير هذه الأخيرة على السكان المحليين¹.

لم تكتف سلطات الاحتلال الفرنسي بفرض الرقابة القانونية على الزوايا، بل تجاوزت ذلك إلى أساليب أكثر إحكاما تمثلت في التجسس على نشاطاتها ومراقبتها عن كثب. ولقد كانت الزوايا بما تمثله من رمزية دينية و تأثير اجتماعي، محل يقظة مستمرة من طرف أجهزة الإدارة الاستعمارية حيث كانت تعدت تقارير مفصلة حول نشاطاتها و مضامين دروسها خاصة تلك التي تعزز الروح الجهادية و تدعو إلى المقاومة، ويعد التقرير الصادر عن مكتب قسنطينة في يوليو 1852م مثالا واضحا عن هذا التوجه، حيث جاء فيه: "إن الزوايا و المساجد تشكل موضوع مراقبة و يقظة شديدة خاصة تلك التي ترتل الآيات القرآنية الداعية للجهاد"².

وفي سياق جهودها للسيطرة على هذه المؤسسات الدينية، لجأت الإدارة الاستعمارية إلى سياسة الإغراء و شراء الولاء و عملت على استقطاب بعض مشايخ الزوايا و الطرق الصوفية، مستغلة أوضاعهم الاجتماعية أو طموحاتهم، وعرضت عليهم مناصب عليا و امتيازات مقابل الولاء والطاعة. وقد أثمرت هذه السياسة عن استمالة عدد من المشايخ، من بينهم شيخ زاوية أقبو و شيخ زاوية علي بن عمر طولقة، اللذان أصبحا ضمن دائرة النفوذ الاستعماري³.

في المقابل تعرض الشيوخ الرافضون للسلطة الاستعمارية، والذين تمسكوا برسالة الزوايا التعليمية والدينية إلى مضايقات شديدة وصلت إلى حد السجن والنفي. فتم نفي الشيخ الصادق بالحاج و أبنائه من منطقة الأوراس، وتم إبعاد الشيخ الهاشمي دردور إلى جزيرة كورسيكا كما تعرضت الجمعيات الدينية الناشطة في منطقة الأوراس إلى تضيق كبير مثل جمعية الشيخ المكي بن تازوارلت، وتم اعتقال عدد من رموزها من بينهم دردور الذي سجن في أكتوبر 1937م⁴.

1- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص174.

2- صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814ق م-1962)، ج1، إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص137.

3- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، 1996، ص242.

4- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص71.

ولم تقتصر الحرب الاستعمارية في الزوايا على التضييق الأمني والإداري فقط، بل تعدت إلى تشويه الصورة الحقيقية لهذه المؤسسات. فقد شجعت السلطات الفرنسية بعض المشايخ المتعاونين على نشر الخرافات والشعوذة داخل الزوايا، وسعت إلى تحويلها من مراكز للتعليم و التربية إلى أماكن تنشر فيها الجهل وتفرغ الدين من مضمونه الحقيقي. و كان الهدف من ذلك تشويه الإسلام في نظر الشعب الجزائري وربط الزوايا بالتخلف والدجل مما ساهم في الحد من تأثيرها الروحي والاجتماعي.¹

كما سعت فرنسا من خلال هذه السياسة إلى خلق فجوة بين الزوايا و التيارات الإصلاحية التي ظهرت لاحقا، وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تتادي بإحياء الفكر الإسلامي الأصل و محاربة البدع والانحرافات، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير في إضعاف دور الزوايا، حيث تراجع تأثيرها وانكمش حضورها في الحياة العامة إلى أن فقدت تدريجيا دورها التقليدي في نشر العلم والدين والدفاع عن الهوية الوطنية.²

المطلب الثاني: تدمير الزوايا.

إن الزوايا في الجزائر لم تكن مجرد مؤسسات دينية تعنى بتحفيظ القرآن الكريم أو تلقين بعض العلوم الشرعية فقط، بل كانت من أبرز المعالم الإسلامية والاجتماعية التي لعبت أدوارا متعددة في حياة المجتمع الجزائري خاصة في ظل الاحتلال الفرنسي. ولقد شكلت الزوايا مراكز متكاملة تشمل الإيواء والإطعام و التعليم والتوجيه الروحي، كما ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية و الدينية في وقت حاول فيه الاستعمار الفرنسي طمسها بكافة الوسائل الممكنة.

منذ بداية الاحتلال أدركت السلطات الاستعمارية مدى تأثير الزوايا في حياة الجزائريين، حيث كانت تعد مرجعية دينية و اجتماعية، وكان شيوخها يحظون باحترام واسع من قبل السكان الذين كانوا يمتثلون لتوجيهاتهم ويستلهمون منهم الصبر و المقاومة. وبما أن الاستعمار كان يهدف إلى السيطرة الكاملة على الجزائر، فقد رأى في هذه الزوايا عائقا حقيقيا أمام مشروع الإدماج الثقافي و السياسي ومن هنا بدأت الحرب المباشرة عليها.³

1-عبد العزيز الشهي، الزوايا والصوفية والعراية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، بيروت، ص164.

2-عبد العزيز الشهي، المرجع نفسه، ص164.

3-عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، المرجع السابق، ص135.

كما اعتمدت الإدارة الاستعمارية الفرنسية عدة أساليب ممنهجة لاستهداف الزوايا، نذكر منها:

-**الهدم والمصادرة:** قامت فرنسا بهدم العديد من الزوايا خاصة تلك التي كانت نشطة في التعليم أو التحريض على مقاومة الاحتلال، لم تكتف بذلك بل عمدت إلى مصادرة أملاكها و أوقافها التي كانت مصدرا لتمويل أنشطتها، ثم ضمت هذه الأملاك إلى الدولة الفرنسية بهدف تجفيف منابع قوتها وشل قدرتها على الاستمرار.

-**التضييق على الشيوخ والمريدين:** شيوخ الزوايا كانوا مستهدفين بشكل مباشر، فتمت ملاحقتهم والتضييق عليهم في ممارسة نشاطاتهم، بل تم عرض البعض منهم على وظائف إدارية أو مناصب شكلية لإغرائهم و إحتوائهم بينما ووجه آخرون بالتهميش أو النفي. وكان الهدف من هذه السياسة هو تفكيك القيادة الدينية التقليدية للمجتمع الجزائري وسلبها تأثيرها.

-**تحريف وظيفة الزوايا وتشويه صورتها:** واحدة من أخطر السياسات التي اعتمدها الاستعمار هي تحويل بعض الزوايا إلى أماكن يشجع فيها على الخرافة والبدع و الشعوذة، وبذلك أن تبقى منابر للعلم والدين، شجع الاستعمار بعض المنتسبين إلى الطرق الصوفية على نشر الدجل والترويج للتوكل والجهل، وذلك لتقويض مصداقيتها لدى الناس و إفراغها من محتواها الإصلاحية الحقيقي¹.

-**إضعاف التعليم الإسلامي:** من خلال قوانين مثل قانون 18 أكتوبر 1892م تم دمج تعليم الزوايا ضمن النظام الاستعماري و أجبرت الزوايا على الالتزام بمناهج معينة تخضعها لرقابة السلطات الفرنسية، ما أفقدها استقلالها التربوي، كما تم منع تدريس بعض أبواب الفقه، خاصة تلك المتعلقة بالجهاد، بل وفي بعض الأحيان منع تدريس العقيدة الإسلامية علم التوحيد².

-**الترويج للفرانكفونية:** ضمن سياسة الإدماج، حرصت السلطات الفرنسية على نشر اللغة الفرنسية وتشجيع اللهجات المحلية، في مقابل إضعاف اللغة العربية التي كانت الوعاء الأساسي للدين و الثقافة في الجزائر، ولأن الزوايا كانت من أبرز المؤسسات التي حافظت على العربية، فقد تم استهدافها ثقافيا ولغويا أيضا.

1- بوعزة بوضرمانية، سياسة فرنسا في الجزائر، المرجع السابق، ص138.

2- عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر (1830-1919)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية، تخصص تاريخ، جامعة جلاي ليايس سيدي

بلعباس، الجزائر، 2017، ص38.

-الاستيلاء على الأموال الأوقاف والأحباس: السلطة أو الجهة الحاكمة قامت بالاستيلاء على ممتلكات الأوقاف والأحباس وهي أملاك مخصصة للأعمال الخيرية أو الدينية، كما قامت بقطع كل موارد الرزق والمساعدات عنها لكي تضعفها اقتصاديا، معتقدة أن تجويعها أو إفلاسها سيؤدي إلى القضاء عليها.

-وضع الزوايا تحت الرقابة المشددة: كل الزوايا والمساجد أصبحت مراقبة من طرف السلطات مراقبة صارمة، خاصة خطب الجمعة والدروس الدينية، ما عاد الإمام أو الواعظ حر في اختيار الموضوع، بل الجهة الحاكمة هي التي تحدد له موضوع الخطبة مسبقا خوفا من يستعمل المنبر للحديث ضدها.

-التوظيف والجوسسة: لم تعد السلطات توظف أي شخص (مثلا إمام، معلم،.....) إلا بعد أن تقوم بتدريبه على أعمال التجسس، وأصبح شرط التوظيف أن يلتزم الشخص بالعمل لصالح السلطة، أي يتجسس ويبلغ عن الناس.

ومن نماذج الزوايا التي هدمت بالجزائر نجد:

أ-زاوية القشاش 1659م: التي كانت تابعة لمسجد القشاش وتحمل اسمه نظرا لقربها منه، ولقد لاقت نفس مصير المسجد والمدرسة العليا الملحقة به، حيث تعرضت جميعها للهدم، بالرغم من المكانة العلمية والدينية المرموقة التي كانت تتمتع بها كل من الزاوية والمدرسة¹.

ب-زاوية سيدي الجودي: تعد زاوية سيدي الجودي من الزوايا التي لم تسلم هي الأخرى من بطش المستعمر الغاشم، حيث تعرضت للهدم كسائر الزوايا، وذلك سنة 1838م، كما تعرضت المقبرة التابعة لها للإغلاق سنة 1840م، منذ بداية الاحتلال.

ج-زاوية سيدي عمار التنسي: فقد خضعت زاوية سيدي عمار التنسي لسيطرة الاحتلال الفرنسي سنة 1831م، حيث قام بتحويلها إلى ثكنة عسكرية تابعة لقواته، قبل أن يقدم لاحقا على تدميرها بالكامل².

د-زاوية سيدي بومعزة: تعد هذه المؤسسة التعليمية من بين الأماكن التي تلقى فيها العلامة عبد الحميد بن باديس دراسته قبل أن يؤسس جمعية التربية والتعليم، وقد تلقى فيما بعد تحويلها إلى مدرسة أساسية³.

1-عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، المرجع السابق، ص38.

2- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص113.

3- أحمد عميراي وآخرون، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص135.

بالإضافة إلى ذلك، طالت الاعتداءات الاستعمارية عدة زوايا منها زاوية الشبارلية التي تم تسليمها إلى جهاز الدرك سنة 1830م، وزاوية شختون التي حولت إلى ثكنة عسكرية، ثم إلى مستشفى عسكري. ولم يقتصر الأمر على الهدم فقط، بل انتهجت السلطات الاستعمارية سياسة منهجية للتضييق على الزوايا، تمثلت أساسا في مصادرة أوقافها والاستيلاء عليها. ويعد مصير زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي مثالا بارزا على هذه السياسة. كما عمدت فرنسا إلى تفكيك النسيج الداخلي للزوايا والطرق الصوفية عبر زرع الخلافات و الانقسامات بين رؤسائها، في إطار مخططاتها لضرب البنية الدينية والاجتماعية للبلاد¹.

مطلب الثالث: تدجين الزوايا.

بعد أن أحكمت السلطات الاحتلال قبضتها على الزوايا والطرق الصوفية، سارعت إلى استثمار الأمر وشنّت حملة مكثفة من التحقيقات، حيث ركزت الملاحظة والمتابعة على الزوايا والطرق. وقد تضاعفت عدد الضباط المكلفين بالمراقبة والتجسس، مستعينين بالتقارير والاستخبارات، التي كانت تجمع مختلف المعلومات من أماكن تواجد الزوايا. و خاصة عن المشرفين عليها وأعضائها وطلبتها. وقد تم تسجيل بعض الملاحظات من خلال التقارير التالية:

التقرير الأول: (.....) لقد كان بفرع المدينة مذهبان. الدراوة الذين كانوا معادين لنا كل العداء لأن غايتهم كانت سياسية بوجه خاص، أرادوا أن يشيدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردنا. إن هذا المذهب منتشر جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سرية وكانت رغم ذلك أغلبية رؤسائهم مع ذلك معروفة.....)².

التقرير الثاني: (.....) تسعى الزوايا التي يدير معظمها مقدمون من مختلف المذاهب إلى إفساد عقول الأجيال المقبلة، ببث عدم التسامح الديني في قلوب الشباب وحملهم على كراهية الكافر، إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا

1- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص114.

2- إيفون تورين: أشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع (شهادة الوثائق الفرنسية ومظاهر ضعفها)، منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، المجلد الأول،

لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا، وتعبير التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها سياساتنا¹.

لاحقا، تطورت هذه التقارير إلى تحقيقات ودراسات متخصصة شملت تحليلات إحصائية وتاريخية و سوسيولوجية للمنطقة. ومن أهمها دراسات تناولت الزوايا ورموزها، من أبرزها كتاب لويس رين الصادر عام 1884م بعنوان "مرابطون وإخوان"، حيث تطرق فيه إلى دور الزوايا في نشر الإسلام في الجزائر (ولقد أعد هذا الكتاب ضمن أهداف الاستعمار لاحتواء الزوايا وإخضاعها)².

كشفت التحقيقات والدراسات عن العديد من المعطيات التي مكنت السياسة الاستعمارية من توجيه ضربات قاضية للزوايا، سواء من خارجها أو من داخلها:

أ- **الاستهداف الخارجي:** ويقصد به مختلف الأساليب التي اتبعتها السلطة الاستعمارية لضرب الزوايا من خارجها، ومن أبرزها:

- **تشديد الرقابة:** حيث فرضت مراقبة صارمة على المشبوهين من رجال الزوايا، مع محاصرتهم ومنعهم من ممارسة أي نشاط سياسي.

- **منع التنقل دون الرخص:** أشارت التقارير إلى وجود شبكة اتصالات بين الزوايا داخل الجزائر وخارجها، مما دفع السلطات إلى فرض نظام مراقبة صارم على التنقلات وإلزام الحصول على رخص المرور. وقد أدى ذلك إلى ضبط العديد من الأشخاص غير الحاملين للرخص، مما عرضهم لمختلف أشكال الاضطهاد كالتحقيق، والضرب، والتغريم³.

- **النفي والسجن والتشريد⁴:** تعرضت بعض الزوايا والطرق الصوفية، مثلالرحمانية و السنوسية لسياسات قمعية تمثلت في النفي والسجن والترويع.

1- محمد الملي، الشيخ مبارك الملي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001، ص53 54.

2- ايفون تورين، الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر، المرجع السابق، ص258.

3- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص190194.

4- أبوقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص176.

-سياسة فرق تسد: سعى الاحتلال الفرنسي إلى زرع الخلافات بين الطرق والزوايا حول القضايا الدينية فرعية مثل طريقة القبض في الصلاة أو الجهر بالبسملة¹، مما أدى أحيانا إلى وقوع صدامات دموية وخيانات لصالح العدو.

-اختلاق القضية البربرية والأمازيغية: كثفت السلطات حملاتها التنصيرية، خصوصا في منطقة زواوة ، بمحاولة إحلال الأديرة والكنائس مكان الزوايا.

-إنشاء مدارس فرنسية قرب الزوايا: لم يكن ذلك بدافع الاهتمام بالتعليم، بل كان وسيلة لضرب التعليم التقليدي في الزوايا عبر سحب التلاميذ تدريجيا منها، وإقصاء خريجها من فرص التوظيف².

ب-اختراق الداخلي: تم اختراق الزوايا من الداخل باستخدام عدة أساليب منها:

- تجنيد الجواسيس: اعتمدت السلطات الاستعمارية على شبكة من الجواسيس، بعضهم من أبناء الزوايا أنفسهم أو من عمالة الأهالي، بهدف جمع المعلومات وزرع الفتنة داخل الزوايا.

- توقيف النشاطات التعليمية وتحويل وجهة الزوايا: عملت السلطات الاستعمارية على تعطيل الدور التعليمي للعديد من الزوايا، ودفعت بها نحو الانشغال بالدروشة، ونشر الخلافات والدجل، بل حتى الترويج للسحر وبعض الطقوس مثل "العمارية" و"العيساوية". وقد ساهم هذا التوجه في تمييع وظيفة الزاوية وتحويلها من مركز علمي وروحي إلى فضاء للعروض والاستعراضات الشعبية .

واستغل بعض المشايخ الزوايا الظروف الاستعمارية لصالحهم، حيث حولوا طلاب الزوايا إلى خدم يعملون لصالحهم، بدلا من أن يتفرغوا لتحصيل العلم، يروي الصالح بن عتيق في هذا السياق تجربته الشخصية مع زاوية الشيخ بورصاص بمنطقة "خنق" شمال قسنطينة، والتي تنتمي إلى طريقة الطيبة. فقد رحل إليها مع ابن عمه ومكثا بها نحو شهرين، ويقول³: "أصبحنا مثل الخدم في دار الشيخ دون أجره. كان الطلبة يجبرون على النهوض باكرا للعمل في الحقول، وإزالة الأعشاب الضارة، وقطع الحشائش، وتجميع العلف لدواب الشيخ، أما القراءة فكانت في أوقات الفراغ، وهي قليلة"

1- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، المرجع السابق، ص349.

2- توفيق مدني، كتاب الجزائر، دار الكتائب، ط2، البلدة، 1963، ص351.

3- محمد صالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلح، الجزائر، د سن، ص37.

ويضيف بن العتيق متهمًا على معتقدات بعض أهل الزوايا: "اللوح المعلقة خير من المستعملة"، أي أن اللوح الذي يقرأ فيه لأن صاحبه مشغول بخدمة الشيخ، أفضل عندهم من الذي يقرأ فيه " .

أما الطلبة الذين استطاعوا حفظ القرآن في بعض الزوايا التي مازالت حريصة على التعليم، مثل زاوية الشيخ الزواوي التابعة للطريقة الحنصالية التي تقع غرب قسنطينة بنحو 30 كم، فكان مصيرهم بعد العودة إلى قراهم متواضعا، حيث يقتصر دورهم على تعليم الأطفال مقابل أجر زهيدة لا تسد حاجتهم. ولتأمين معيشتهم، لجؤوا إلى أعمال هاشمية مثل كتابة "اليقشة" (الحروز)، والقراءة على الأموات، وانتظار الصدقات، حتى أن بعضهم أتقن فنون التحايل والدجل لاستدراار المال بأساليب مأكرة .

و يتابع الشيخ روايته قائلا إنه خلال تواجده في الزاوية، لاحظ نقشي ممارسات لا علاقة لها بالتعليم الديني، الأمر الذي جعله ينفر من نظامها ووظيفتها التي كانت تعرف باسم "السفارة " بترقيق الرءاء، وهذه لسفارة لم تكن سوى شكل دائم من أشكال السخرة، حيث يجبر الطلبة على تلبية حاجيات دار الشيخ دون انقطاع.

كان من بين مهامهم اليومية حمل البريد من مسافة خمسة كيلومترات، وعند عودتهم غالبا ما يحملون معهم زجاجات خمر كهدية تقدم لدار الشيخ. كما كانوا يكلفون بأخذ كلاب الصيد إلى أماكن بعيدة، حيث يشرف على هذه الرحلات أحد أبناء الزاوية .

تحت وطأة هذه الانحرافات وغيرها، طغى الفكر الخرافي، وتفشيت البدع، حتى أصبحت مظاهر التدين عند فئة واسعة من الجزائريين تقتصر على طقوس شكلية وغريبة مثل: ضرب الدف، والرقص، واختلاط الرجال بالنساء، وأكل الحشرات السامة، والتمرغ، في الأشواك¹، والتسمج وتبرك بالأشجار والأحجار بل وحتى الكلاب طلبا للبركة².

1- محمد الصالح بن العتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، المرجع السابق، ص4041.

2- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص76.

كما شاع التدوي بطرق غريبة باستخدام السلاحف، والثيران، والنتيوس¹، إلى جانب انتشار أعمال الدجل والشعوذة، والسحر. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل لدى البعض إلى تعاطي المخدرات والكيف، مما يعكس الانحراف الذي أصاب هذه الزوايا عن رسالتها الأصلية².

-الإغراء بالمناصب والتوظيف السياسي للزوايا:

لجأت الإدارة الاستعمارية إلى سياسة الإغراء بالمناصب والألقاب، مستهدفة شيوخ الزوايا بهدف كسب ولائهم وتوظيفهم في خدمة الاحتلال. من أبرز الأمثلة على ذلك شيخ زاوية "شلاطة" معروفة أيضا بزاوية "أقبو"، محمد السعيد بن علي الشريف، الذي تعاون مع الجنرال الفرنسي "بيجرو"، وساعد الجيش الفرنسي في عبور منطقة وادي الساحل، فمنح لقب "باشاغا".

وكذلك شيخ زاوية "طولقة" سي علي بن عمر، الذي أعلن ولاءه للسلطات الفرنسية منذ عام 1844م، وفتح زاويته لاستقبال الجنود الفرنسيين خلال أحداث بسكرة في العام ذاته³.

أما "نقطة"، فقد كانت في البداية ملاذا للفارين من بطش الاحتلال، إلا أن سياستها تغيرت بعد أن تولى شؤونها سي الحسين بن علي بن عثمان، شقيق شيخ زاوية طولقة، حيث أبلغ الفرنسيين في عام 1871م عن وصول محي الدين، نجل الأمير عبد القادر، ما مثل خيانة لرمز من رموز المقاومة⁴.

-التضييق على التعليم القرآني:

وفي سياق آخر، عمدت سلطات الاحتلال إلى كبح نشاط التعليم الديني، خصوصا تحفيظ القرآن من خلال فرض الرقابة القانونية عليه، وقد تجلّى ذلك بوضوح في مرسوم 6 أكتوبر 1852م، الذي اشترط الحصول على الترخيص رسمي لتعليم القرآن. ولم تكن هذه التراخيص تمنح بسهولة، بل تطلبت المرور بإجراءات بيروقراطية صارمة والموافقة من عدة مستويات إدارية تابعة للسلطة الفرنسية، مما أدى إلى حد من انتشار التعليم الديني الأصيل⁵.

1- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص86.

2- أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج3، ص181.

3- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص242.

4- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1978، ص109-110.

5- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص176.

-دمج تعليم الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية:

بموجب مرسوم صادر في 18 أكتوبر 1892م، تم دمج تعليم الزوايا ضمن إطار المدارس الابتدائية الفرنسية¹، ما جعلها خاضعة لرقابة وتفتيش السلطات الأكاديمية المدنية أو العسكرية المحلية، شأنها في ذلك شأن المدارس الإقليمية والشرعية. وقد نص المرسوم على إلزام كل زاوية بتسجيل بيانات التلاميذ في سجل رسمي، يتضمن أسمائهم وأسماء عائلاتهم، ومحل إقامتهم، وتواريخ ميلادهم².

كما منع المرسوم معلمي القرآن القادمين من خارج البلدة -حتى وإن كانوا متطوعين- من ممارسة التعليم، واعتبرهم "أجانب"، وهو ما أدى إلى الحد من استقلالية التعليم الديني داخل الزوايا³.

-التدخل في مناهج الزوايا وأثره على الفكر الديني والعلمي:

تعمق و التدخل الاستعماري في الزوايا ليشمل المناهج التعليمية ومقرات التعليم، حيث فرض على المعلمين الاختصار على تحفيظ القرآن دون شرحه أو تفسيره، كما منع تدريس بعض الموضوعات الفقه مثل "باب الجهاد"، وأوقف أحيانا تدريس علم التوحيد⁴. بالإضافة إلى ذلك، شجعت السلطات الفرنسية استخدام اللهجات المحلية بدلا من اللغة العربية الفصحى، ما أدى إلى تراجع مكانة اللغة العربية في العملية التعليمية.

وقد أدت هذه التدخلات إلى دخول التعليم في الزوايا في حالة من الجمود والانغلاق، حيث غلب على تفكير عامة الناس وبعض النخبة منهم الاعتقاد بأن علوم العمران والكون وهي العلوم التي ساهم فيها المسلمون في عصورهم الذهبية والتي أفادت منها أوروبا لاحقا ما هي إلا "علوم نصرانية"، ومن يتعلمها يعتبر في نظرهم خارجا عن الدين⁵. ونتيجة لهذا التصور تم هجر العلوم الحديثة، والتمسك بما هو قديم ومتوارث، حتى وإن كان لا يحمل أي نفع حقيقي.

1- أنظر ملحق رقم 10.

2- محمد الملي، الشيخ المبارك الملي، المرجع السابق، ص55.

3- محمد الملي، المرجع نفسه، ص20.

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص351.

5- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المرجع السابق، ص89.

وقد ساهم هذا الواقع في ظهور فئة من الجزائريين المتأثرين بالحضارة الغربية، الذين رأوا في المناهج التقليدية عائقا أمام التقدم فنبذوها، وبلغ بعضهم الحال إلى تنكّر لهويتهم الدينية والثقافية، بل والانحراف نحو الإلحاد والعياذ بالله¹.

المبحث الثاني: تفكيك بنية المجتمع.

اعتبر الاستعمار الفرنسي أن الأسرة الجزائرية تمثل الدعامة الأساسية للمجتمع الجزائري، والنواة الصلبة التي تستند إليها الهوية الوطنية، وهو ما جعله يرى فيها عقبة رئيسية أمام تنفيذ مشاريعه الاستعمارية التوسعية. فقد كانت الأسرة الجزائرية، خلال فترة الاحتلال تتميز بترابط قوي بين أفرادها، وبقيم عالية من التماسك الاجتماعي والتضامن العائلي، مما جعلها الحصن الذي يحمي المجتمع من التفكك والانحيار الثقافي، ويصون الشخصية الجزائرية من الذوبان في المشروع الاستعماري الفرنسي.

انطلاقا من هذا الإدراك، لم يتوان الاستعمار الفرنسي عن اعتماد مختلف الوسائل والأساليب، وبذل جهود متواصلة وعلى جميع المستويات، من أجل اختراق هذا الكيان الأسري وتفكيكه. فقد سعى إلى تقويض القيم التي تقوم عليها الأسرة، وتبديل مرجعياتها الأخلاقية والدينية والاجتماعية، باستهداف دور المرأة داخلها والتأثير على تربية الأطفال، وزرع مفاهيم جديدة تهدف إلى خلق القطيعة بين الأجيال وربط الأفراد بالثقافة الفرنسية بدل الثقافة الوطنية.

و بذلك، يمكن القول إن الاحتلال الفرنسي شكل واحدة من أخطر حلقات الصراع بين الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للأسرة الجزائرية من جهة، وبين محاولات طمس الهوية الوطنية من جهة أخرى. لم تكن المواجهة العسكرية وحدها كفيلة بمقاومة هذا المشروع، بل كان لابد من صمود ثقافي واجتماعي يوازيها. وقد جسد الأمير عبد القادر هذا الصمود المزدوج بامتياز، إذ لم تقتصر مقاومته على الجانب العسكري طوال أكثر من عقدين من الزمن، بل امتدت إلى مقاومة أشكال التفسخ والتحلل التي حاول الاستعمار زرعها داخل المجتمع والأسرة، دفاعا عن الشخصية الجزائرية ومقوماتها الأصلية.

1- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المرجع السابق، ص138.

مطلب الأول: تفكيك الأسرة الجزائرية.

إن فهم وضعية المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار يدفعنا إلى التعمق في دراسة الآثار الثقافية التي تعرضت لها الأسرة الجزائرية نتيجة السياسات الفرنسية الاجتماعية. فقد سعت فرنسا، من خلال مشاريعها إلى تفكيك البنية الثقافية والاجتماعية للأسرة الجزائرية، وذلك عبر ثلاث آليات رئيسية تنشط: تنشيط حملات التبشير، وتشجيع الطرق الصوفية والشعوذة، وسن قوانين تتعارض مع القيم والخصوصيات الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

وتعد حملات التبشير واحدة من أبرز هذه المحاولات، حيث لم يكن هدفها الديني منفصلا عن الطموحات السياسية الفرنسية، بل جاء مكملا لها. فقد رأت فرنسا أن الدين الإسلامي يشكل ركيزة أساسية في تماسك المجتمع الجزائري، لما يحمله من مبادئ تعزز الإخاء والصبر والتكافل، وهو ما جعل ضربه ضرورة إستراتيجية لتفكيك الوحدة الشعبية الجزائرية.

ولقد عبر سكرتير الحاكم الفرنسي بيجو في قسنطينة صراحة عن الكراهية الصليبية تجاه الإسلام، وكشف عن النية الواضحة لاستئصاله من المجتمع الجزائري، حيث قال: "فإن الأيام الإسلام الأخيرة قد جاءت ولم يكن في الجزائر كلها، بعد عشرين عاما من إله غير المسيح"¹.

انقسمت وسائل التبشير التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلى نوعين رئيسيين تمثلت الوسائل الأولى في الأساليب السلمية، التي سعت إلى التقرب من مشاعر السكان عبر إظهار السيد المسيح بصورة محببة، وإنشاء مؤسسات تعليمية وخيرية مثل ملاجئ والمدارس، مستغلة الأوضاع الاجتماعية الصعبة لجذب الفئات الصعبة .

أما الوسائل غير السلمية، فقد اتخذت طابعا قمعيا مباشرا، إذ استخدمت فيها السلطة الاستعمارية لفرض قوانين صارمة تهدف إلى تهميش الإسلام ومؤسساته. من هذه الوسائل غلق الزوايا بحجة أنها مراكز تحريض على الثورة وزعزعة الأمن، نفي العلماء، إلغاء خطب الجمعة، وإخضاع القضاء الإسلامي للمنظومة القانونية الفرنسية، وقد سلكت الإدارة الاستعمارية منذ بدايتها هذه السياسة من أجل محو الإسلام من الوجود الجزائري.

1- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1982، ص41.

وحين أدركت أن هذه الغاية لا يمكن تحقيقها عبر التبشير والخداع فقط، لجأت إلى تشويه الإسلام نفسه عبر أساليب ملتوية هدفها تشكيل "إسلام جزائري" مقطوع الصلة بجذوره حقيقية¹، وتكوين جيل من المسلمين المنعزلين عن سائر الأمة الإسلامية، وتجنيد "رجال الدين" يصنعهم الاحتلال وفق شروطه، ويدربهم على خدمة مصالحه لا خدمة الدين. هؤلاء الأئمة الموظفون باتوا أداة في يد الإدارة الاستعمارية، يصلون لأجل الرواتب لا لأجل الواجب، ويخضعون للسلطة الاستعمارية أكثر من خضوعهم لروح الشريعة². و قد عبر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن هذا الوضع المؤسف في "عيون البصائر"، مؤكداً أن محاولة فصل الدين عن الشأن العام والمجتمع كانت من أخطر مشاريع الاحتلال، لأن الدين الإسلامي ليس فقط عقيدة، بل هو أساس السلوك الفردي والاجتماعي. و أوضح أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن ضد حياد الدين، بل ضد استغلاله وتشويهه لخدمة مصالح سياسية استعمارية.

اضطررنا إلى رد بالمثل، فدخلنا السياسة من باب الدين، لأن من بدأ أولاً هو الأظلم ومع ذلك، فإن دخولنا في السياسة يعد أكثر شرفاً و أقل إثارة للاستهجان من تدخلهم في شؤون الدين³.

ويعتبر الكاردينال لافيغيري **Lavigerie** من أبرز رموز المسيحية الذين ارتبط اسمهم بحملات التبشير. وقد صرح قائلاً: "إني الوحيد الذي أبدت اهتماماً بنشر المسيحية في وسط العرب⁴، فهو الذي ظل يبحث عن أسباب قوة الجزائريين لإزالتها، فيزيل بذلك العراقيل التي تحول دون نجاح العملية التبشيرية" وهذا ما دفعه إلى القول "علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه"⁵.

ومن أبرز الأدلة على سياسة لافيغيري الرامية إلى طمس الروح الإسلامية داخل الأسرة الجزائرية، استغلاله للأوضاع الصعبة التي مرت بها هذه الأسر خلال الفترة ما بين 1866م و1868م، حيث شهدت البلاد كوارث طبيعية مدمرة تمثلت في زلازل خلف العديد من الضحايا ، إضافة إلى موجات من

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د س، ص116.

2- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص117.

3- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص180.

4- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر (1830-1871)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص114.

5- بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص45.

الجراد، وجفاف شديد، ووباء الكوليرا، إلى جانب أمراض وأوبئة أخرى، ما جعل الأسر الجزائرية، ولا سيما الفلاحين في أوضاع مأساوية.

تفاقمت هذه العوامل لتؤدي إلى أزمة اقتصادية خانقة، بلغت ذروتها في شكل مجاعة عامة اجتاحت الجزائر عام 1867م، واستمرت حتى أواخر عام 1868م. وقد اضطرت العائلات إلى التغذي على الجذور والأعشاب، ووصل بهم الحال إلى التنازع على مواقع رمي النفايات في المدن، بحثا عما يسد رمقهم.

ويرى البعض أن سبب الرئيسي وراء هذه الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية الكارثية يعود إلى سوء إدارة السلطات الفرنسية، خاصة فيما يتعلق بمصادرة أراضي الجزائريين بقوة. كما لوحظ أن المناطق الأكثر خلال هذه الفترة، هي ذاتها التي كانت مسرحا لثورة 1864-1865م، والتي خلفت آثارا عميقة تمثلت في التدهور الاجتماعي، وانتشار الأمراض، وارتفاع معدلات الفقر والجوع¹.

أما الكاردينال لافيغري فقد نسب تدهور الأوضاع الاجتماعية إلى ما سماه ب "الإقطاع الأهلي"، غير أن الباحثين في جذور الأمة رأوا في ذلك تبريرا غير دقيق، حيث إن العديد من كبار الملاك الجزائريين قاموا بواجبهم الوطني والإنساني في تلك الفترة الحرجة. فقد بذلوا جهودا كبيرة في دعم الفلاحين وإنعاش النشاط الزراعي. ومن أبرز هؤلاء الباشاغا المقراني، الذي كان يملك أسهما بقيمة 350 ألف فرنك فرنسي في بنك الجزائر، استخدمها لصالح الفلاحين بهدف إنقاذ الزراعة وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. كما اقترض 200 ألف فرنك من تاجر يهودي، خصصها لإطعام الجياع ومساعدة الفلاحين في حث أراضيهم.

وأمام عجز الحكومة الفرنسية عن احتواء المجاعة، استغل لافيغري هذه الظروف القاسية التي تمر بها العائلات الجزائرية، موجها الاتهام للنظام العسكري باعتباره المسؤول عن الأزمة. ووجد في ذلك فرصة مواتية لتوسيع نشاطه التبشيري، فاستثمر الوضع لإنقاذ العديد من المرضى والمعوزين باسم الصليب وفرنسا. وقد قام بجمع حوالي 1800 طفل مريض ومتشرد، ووزعهم على المراكز والملاجئ التي أنشأها في مناطق مثل بوزريعة، الأبيار، بن عكنون، وبوفاريك بهدف تنصيرهم.

1- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر، المرجع السابق، ص116.

ولتمويل هذه المبادرات، سافر لافيغري إلى باريس طالبا التبرعات، ووجه نداء إلى الصحف الكاثوليكية يصف فيه حجم المجاعة ويحث المسيحيين على دعم ملائجه. وقد لقي نداؤه تجاوبا واسعا، حيث تشكلت لجان في كبرى المدن الفرنسية لجمع التبرعات، وأستمر نشاط لافيغري الإغاثي، وحظي بشكر من الجنرال ويمبفن الذي اعتبر أن هذا الجهد يستحق التأييد من الأسر الجزائرية والدولة على حد سواء.

كما قام لافيغري بتجنيد فرق دينية من الرهبان والراهبات لرعاية الأطفال المصابين بالأوبئة الفتاكة كالكوليرا، رغم أن هذه الأعمال أودت بحياة العديد من المشاركين فيها¹.

طالبت بعض العائلات الجزائرية باسترجاع أبنائها الذين ما زالوا على قيد الحياة، غير أن الكاردينال لافيغري رفض ذلك، مبررا موقفه بأنه هو من أنقذهم من الهلاك، وأن هدفه هو تربيتهم ليكونوا رجالا مسحيين إن أمكن ذلك، وبعد أن تأكد له صعوبة تنصير الأطفال الكبار، ركز جهوده على الأيتام الصغار، مدعيا أن ترسيخ المبادئ المسيحية يكون أسهل عبر التعليم والتكوين. فأنشأ مراكز لتعليم الحرف، وسلم الفتيات المراهقات للراهبات لتدريبهن على أعمال الزراعة والمنزل.

رغم هذه الجهود، ظلت الأسر الجزائرية متمسكة بمبادئ الدين الإسلامي، مما جعل لافيغري، يواجه معارضة شديدة من رافضي التبشير. ومع ذلك بقي متمسكا بأفكاره، وصرح قائلاً: "يجب أن نعتني على الأقل بتعليم الأطفال مبادئ غير التي ولد عليها أجدادهم، إن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل"².

و بما أن التعليم يعد من أقوى أدوات التأثير على المجتمعات، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على توظيفه كوسيلة للسيطرة على الأسرة الجزائرية ومن ثم المجتمع بأكمله. فالتعليم يعتبر أساسا لكل ثقافة وأداة رئيسية للتقدم الإنساني. وتشير المصادر إلى أن الجزائر، في العهد العثماني الذي سبق الاحتلال الفرنسي، كانت تعرف نظاما تعليميا منتشرا في المدن والقرى والجبـال وحتى في الصحراء، وكانت الأوقاف تمثل المصدر الرئيسي لتمويل هذا التعليم، عبر مؤسسات مثل الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، ومن أبرز وسائله المكتبات³.

1- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية، المرجع السابق، ص117.

2- خديجة بقطاش، المرجع نفسه، ص113 114.

3- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص315.

وكان الهدف الأساسي من هذا التعليم محو الأمية والاستجابة لأوامر الدين في طلب العلم، وليس لمجرد الأغراض الأدبية أو الاجتماعية. وقد أشار الرحالة شيلر، الذي عاش في الجزائر أكثر من خمسة عشر عاما، إلى وجود مدارس مخصصة لتعليم البنات، على الرغم من أنه لم يرها بنفسه، بل أخبر عنها. كما كانت المرأة الريفية أكثر نشاطا من نظيرتها الحضرية، تمارس دورها الاجتماعي والاقتصادي ضمن حدود الدين والتقاليد، وكانت تتلقى في صغرها مبادئ الدين والقراءة على يد والدها أو عبر معلم خاص¹.

ومن الوسائل التعليمية البارزة آنذاك: الكتب، المكتبات، والأساتذة، وكان التعليم باعثا على التأليف². ولكن في فترة الاستعمار الفرنسي، بدأت تظهر صراعات بين دعاة التعليم، خصوصا التعليم العربي، وبين الإدارة الاستعمارية. وقد بدأت هذه الجدالات منذ عام 1934م تقريبا، بالتوازي مع ظهور جمعية العلماء المسلمين التي تأسست سنة 1931م. وبلغت هذه المواجهات ذروتها عندما منعت السلطات الفرنسية الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من إلقاء دروس التفسير بالجامع الأعظم في تلمسان عام 1932م كما منعت الأستاذ العقبي من التدريس في مسجد العاصمة³.

في بدايتها كانت هذه المواجهة متعلقة بحرية التعليم داخل المساجد، لكنها تطورت لاحقا إلى حركة تعليمية واسعة بعدما تغلغت دعوة جمعية العلماء في نفوس الناس. و حين احتد الصراع حول التعليم والمسائل الدينية الأخرى، اضطرت الإدارة الاستعمارية للاتصال بجمعية العلماء، وتم عقد اجتماع معهم، و قدمت فيه وعود كثيرة، لكنها بقيت حبرا على ورق.

سعى الاستعمار بشتى الوسائل طمس الهوية العربية الإسلامية الجزائرية، لا أن جمعية العلماء والأسر الجزائرية وقفت بقوة أمام هذه المحاولات. وقد عبر محمد البشير الإبراهيمي عن ذلك بقوله: "رأينا أن التعليم مبني على أصول استعمارية غايتها هدم الإسلام والعربية ولكن المفاوضات فيها لا تنجح لفقدان شرط النجاح، وهو حسن نية ومهارة القصد في أحد الجانبين"⁴.

ورغم محاولات الاستعمار لتنصير المجتمع الجزائري وطمس لغته وتعليمه وهويته، فإن هذه المحاولات باءت بالفشل، بفضل تمسك الأسرة الجزائرية بمقوماتها، وجهود جمعية العلماء والنخب الوطنية. كما لعبت

1- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص342.

2- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المرجع السابق، ص250.

3- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص259.

4- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص252.

المؤسسات الثقافية، مثل المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات، دورا أساسيا في حفظ الإسلام وتعزيز الروح الوطنية. ورغم عدم وجود جامعات أو المعاهد عليا رسميا آنذاك، إلا أن بعض هذه المؤسسات كانت تقدم تعليما بمستوى رفيع، أما المسرح، فلم يكن معروفا في الجزائر آنذاك، غير أن بعض الأشكال الشعبية مثل خيام القراقوز وحلقات المداحين كانت تؤدي دورا متشابها¹.

ومن أبرز المؤسسات التي دعمت التعليم والثقافة كانت الأوقاف، وهي من مظاهر الحضارة الإسلامية وتعبّر عن شعور الفرد بالمسؤولية الاجتماعية. وقد تم تنظيم الوقف ضمن إطار قانوني وشرعي، يشمل توثيقه بحضور الشهود وتحديد غاياته وشروط الانتفاع منه. وكان للوقف دور مهم في تمويل مؤسسات التعليم والدين².

كذلك لعبت الزوايا دورا محوريا في الحفاظ على الدين والأسرة والشخصية الجزائرية، من خلال نشر علوم الشريعة في المعاهد الدينية. ومن الزوايا البارزة التي تحدث عنها المؤرخ أحمد توفيق المدني: الزوايا الرحمانية والقادرية وغيرها، والتي كانت حامية للهوية الإسلامية في وجه الاحتلال³.

كان إذا ذاع صيت أحد المتصوفة بين الناس، تؤسس له زاوية أو رباط يستقبل فيه الزوار والغرباء والمريدين، و يعلم فيه الطلبة. و يتبرع الناس لهذا المركز، فينمو ويزدهر وتزداد مكانته، حتى يصبح اسم المتصوف (المرباط) مرادفا للمكان، فيعرف بين الناس باسم "زاوية سيدي فلان" أو "رباط سيدي فلان". وإذا توفي المتصوف، يدفن في الزاوية ذاتها، ويبنى على قبره ضريح، فيصير رمزا وقدة، ويتوارث الأبناء والأحفاد مكانته ومهامه، فتزداد الزاوية شهرة ونفوذاً، ويتوسع صيتها إلى مناطق أبعد⁴. فعلى سبيل المثال، كانت مدينة الجزائر عاصمة البلاد مليئة بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على قبور الأولياء، ومن أبرزها ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية عبد القادر الجيلالي⁵.

أما مدينة مليانة التي تعد من أقدم مدن الجزائر، فكانت تضم حوالي ستين زاوية، ومن أشهرها زاوية "سيدي أحمد بن يوسف" المولود سنة 1435م والمتوفى سنة 1524م، والتي تزال تحتفظ بمكانتها

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص223

2- محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص244.

3- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص377.

4- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص262.

5- أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص263.

كمزار روعي كبير. وتعد هذه الزاوية، إلى جانب دار الأمير عبد القادر، نواتين أساسيتين للمدينة، حيث ما تزال تستقبل الزوار من مختلف أنحاء البلاد، خاصة في فصل الربيع، كما ذكر شارو في كتابه عن الجزائر، إذ يقصدها الناس من الجزائر العاصمة، والبلدية والمناطق المجاورة، طلبا للزيارة والتبرك بالولي الصالح.

ولا يزال سكان مليانة والمناطق المجاورة متمسكين ببعض التقاليد والقيم الاجتماعية والدينية المرتبطة بالزاوية، مثل الصلاة على الجنائز، أداة القسم، و الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إضافة إلى مواسم الركب مثل ركب "بني فرح" القادم من دواوير عدة ك"دوار عنب" و"بنغمران" وركب "بني مناصر" القادم من نواحي "عين علال" و"عريب" و"عين الدفلى"¹.

كما توجد في مليانة أضرحة أخرى مثل ضريح "سيدي المجاهد" و زاوية "سيدي عبد القادر" المدفون في بغداد، والتي كانت ذات توجه وطني، وساندت قضايا التحرروكانت ضد الاستعمار. إلى جانب الزوايا ، لعبت المساجد دورا كبيرا في التعليم والتربية والإصلاح الديني²، حيث ساهمت في نشر المعرفة والوعي بين الناس. غير أن وفاة مؤسسي هذه الزوايا، وتغير الظروف، أدى إلى تحول بعضها من مراكز للإصلاح إلى بؤر للخرافات والشعوذة، وهو ما سعت إليه الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي عملت على نشر الجهل بين الجزائريين، تحت شعارات مضللة مثل: "من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان" و"سلم تسلم" و "أمسلمين أمكتفين"، وهي عبارات دفعت البعض للاستسلام والاقتناع بأن الاستعمار قدر محتوم لا جدوى من مقاومته فقبلوا به دون اعتراض.

يعد ما قامت به السلطات الفرنسية في مسجد كتشاوة بمدينة الجزائر من أبرز الأمثلة على محاولات طمس الهوية الدينية للشعب الجزائري، حيث حولت هذا المسجد إلى كنيسة باسم "القديس فيليب"، كما تم رفض هذا القرار رفضا قاطعا من قبل الجزائريين، مما دفع الإدارة الاستعمارية إلى استخدام القوة لقمع كل من يعارض سياساتها.

1- محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون(ولاية عين الدفلى نموذجا)، مطبعة الكاهنة، ط1، الجزائر، 1998، ص51 52.

2- رابح تركي عامرة، في التربية الإسلامية رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي، حوليات جامعة الجزائر، د ت، ص86.

و في مواجهة هذا القرار الجائر، خرج حوالي 2000 جزائري من رجال ونساء والأطفال للاحتجاج¹، بينما كان داخل المسجد نحو 4000 مصل اعتصموا فيه وأغلقوا أبوابه بالحواجز دفاعا عن بيت الله. إلا أن الجيش الفرنسي اقتحم المسجد بالقوة، فكسر الأبواب وأطلق النار على المصلين، ما أدى إلى سقوط العديد من القتلى والجرحى، وهكذا تحقق هدف الاستعمار في فرض إرادته ونشر الديانة المسيحية بالقوة تحت ستار "الدعوة الدينية"². ولم تكتف فرنسا بذلك، بل حاولت أيضا استمالة الجزائريين للدين المسيحي من خلال مساعدات باسم المسيح، وافتتحت مدارس لتعليم اللغة العربية بهدف إعداد موظفين يعملون لصالح الإدارة الاستعمارية أما اللغة الفرنسية، فاستخدمت كأداة لزرع الولاء لفرنسا، حتى كانت تكتب على سبورات المدرسية عبارة "يا أولادي أحبوا فرنسا وطنكم الجديد".

إلى جانب هذه الخطوات، سعت فرنسا لتقويض القضاء الإسلامي، فتدخلت في شؤون المجتمع وأصدرت قرارات تقلص من سلطات القضاة المسلمين. ففي 10 أبريل 1834م، صدر قرار يسمح باستئناف الأحكام الصادرة عن القضاة المسلمين أمام المحاكم الفرنسية، ثم تلاوة قرار آخر في 28 أبريل من نفس السنة يسحب من القاضي المسلم سلطة البت في القضايا الجنائية. وفي 2 أغسطس 1848م، صدر مرسوم يضع القضاء الإسلامي تحت إشراف وزير الحرب الفرنسي، جرد فيه القضاة المسلمون من صلاحياتهم لصالح قضاة الصلح الفرنسيين، وفي 26 يونيو 1873، صدر مرسوم آخر يمنعهم حتى من النظر في قضايا الأحوال الشخصية كالميراث، الزواج، والطلاق.³

المطلب الثاني: استهداف المرأة الجزائرية والزواج المختلط.

1- استهداف المرأة الجزائرية

لم يكن وضع المرأة الجزائرية خلال فترة الاستعمار الفرنسي مختلفا كثيرا عن الوضع العام الذي عاشه المجتمع الجزائري، فقد سعى الاستعمار إلى تجريد المرأة من هويتها، وإنسانيتها، ومحاولة تحويلها إلى نموذج يشبه المرأة الأوروبية. فقد أدرك المستعمر أن أسرع وسيلة لضرب مقومات هذا الشعب وتفكيك

1- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 370.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 378.

3- أحمد خطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 53 54.

شخصيته هي السيطرة على عقل المرأة، باعتبارها العنصر الأساسي في تكوين الأسرة وتربية الأجيال، ومن ثم التأثير على المجتمع بأسره¹.

ورغم مختلف الإغراءات والمحاولات الاستعمارية التي استهدفت المرأة من خلال التشجيع على تحريرها وفق النموذج الغربي، فإن المرأة الجزائرية بقيت محافظة على دينها و متمسكة بتقاليدها، مدركة لانتمائها الوطني والديني. ومع ذلك تأثرت فئة صغيرة من النساء بتلك الدعوات، فبدأ بعضهن يقلدن الأوربيات في اللباس، والمظهر، والسلوك، ويتجولن في الشوارع بشكل غريب عن المجتمع .

وقد نشأ من بين هذه الفئة تيار نسوي يدعو إلى تحرير المرأة على الطريقة الفرنسية، ووجد هذا التيار دعما من بعض الكتاب الفرنسيين الذين كان دافعهم الحقيقي نشر القيم الغربية وفرضها على المجتمع الجزائري المسلم، مستخدمين المرأة كوسيلة فعالة لاستبدال القيم العربية الإسلامية بالقيم الفرنسية الغربية².

شهد تيار تحرر المرأة في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي تطورا بطيئا لكن ثابتا، في وقت تمسك فيه أغلب الجزائريين بقيمهم الدينية وتقاليدهم العريقة. وقد أدى هذا الوضع إلى ظهور أقلية محدودة داخل المجتمع اختارت الانفصال عن الثقافة العربية الإسلامية، واتجهت نحو تبني أفكار وسلوكيات مستوردة لا تعبر عن هوية المجتمع³.

وفي هذا السياق، انتقدت الكاتبة الجزائرية زهور ونيسي هذا الانجراف في أحد مقالاتها، مشيرة إلى انبهار بعض الفتيات الجزائريات بأفكار التحرر الزائفة. كما نشرت جريدة البصائر مقالا بعنوان "المرأة الجزائرية والتمدن"، نددت فيه بتقليد النساء للمسلمات للفرنسيات في لباسهن وزينتتهن ومشيتتهن وحركاتهن، إلى درجة أصبح البعض منهن يفتخر باستخدام اللغة الفرنسية متجاهلات لغتهن الأم، ظنا منهن أن ذلك من علامات التقدم والرقى. وقد وصفت الجريدة هذا التحول بقولها: "تري المرأة تتكلم بالفرنسية، وفي

1- زهور ونيسي، جوانب من مساهمة المرأة في صنع النص، مجلة الأصالة، العدد 22، أكتوبر، نوفمبر 1974 ، ص155.

2- بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية، المرجع السابق، ص189190.

3- بشير بلاح، المرجع نفسه، ص197.

إشارة يدها وحركاتها كبرياء، وفي لهجتها زهو وفخر، كأن كلامها ذلك هو ما خلفها لها خديجة وعائشة من لهجات الضاد الرنانة الفصيحة¹.

و مع هذا التغيير بدأت بعض النساء بالخروج إلى ميادين العمل، مختلطات بالرجال في المدارس والمعامل والإدارات، وتخلت بعضهن عن واجباتهن الأسرية. وقد لاحظت جريدة الفاروق هذا التحول مبكرا، حيث بدأ يظهر بين النساء العائلات الشريفة، خاصة في المناسبات و الاحتفالات التي تحضرها نساء أوربيات. وفي عام 1914م، عبرت الجريدة عن قلقها من انتشار الظاهرة بقولها: "لقد تمزقت أستار العفة لدى المسلمين إلى حد أصبحنا نرى الرجال الذين ظهروا بين الناس بسمعة العقل والنباهة، لا يرون الفخر إلا في تبرج نسائهم تبرج الجاهلية الأولى"²، وفي ظل هذا الانفتاح، تمرت بعض النساء على القيم الإسلامية والتقاليد، مثل حليلة بنت يوسف الزناقي، المعروفة بلقب القايذة حليلة، التي اشتهرت في المنطقة الغربية من الجزائر بتصرفاتها الخارجة عن المألوف، حيث كانت تظهر سافرة وتستقبل الوفود القادمة لزيارة زوجها، الذي كان يشغل منصبا إداريا لدى الفرنسيين. كما كانت تحضر حفلات المسؤولين الفرنسيين المخصصة لكبار الموظفين الجزائريين. وفي أواخر حياتها، قيل أنها ذهبت لأداء الحج واستبدلت لقب القايذة بلقب الحاجة³.

وفي شهر مايو من سنة 1958م، وقعت حادثة بارزة في مدينة قسنطينة، حيث اجتمع حوالي 100 ألف شخص في لقاء ديني كان يؤمه إمام مسجد سيدي الكتاني، بحضور شخصيات فرنسية معروفة مثل سوسينيوسالان. خلال هذا التجمع ألقى الإمام كلمة دعا فيها المرأة إلى الثورة على تقاليد الماضي، وإلى ضرورة مشاركتها الرجل في الحياة العامة، مدعيا أن فرنسا تدعم هذا المسار التحرري.

ردت على ذلك إحدى النساء الجزائريات المسلمات، فدعت الحاضرات إلى اغتنام الفرصة لتحقيق التحرر الكامل، ثم قامت بخلع حجابها الأبيض ورمته من الشرفة، وسط تصفيق الحضور، ما شجع فتيات أخريات على تكرار الفعل ذاته.

هذا المشهد تكرر لاحقا في مدينة وهران غرب الجزائر، في نفس السنة، حيث اجتمع أكثر من 50 ألف شخص بأحد مساح بحضور ماسو، أحد المسؤولين الفرنسيين. تقدمت فتيات جزائريات شابات

1-زهو ونيسي، المرأة الجزائرية والتمدن، م7، ع291، 29 أكتوبر 1954، ص08.

2- جريدة الفاروق، ع14، 16 جانفي 1914.

3-أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص344.

يرتدن اللباس الأوروبي، ووجهن نداءات إلى النساء للتخلي عن الحجاب والانعقاد من القيود التي تمنع "التحرر"، لتقوم بعض النساء في القاعة بخلع حجابهن ودوسه بأقدامهن.

وفي الجزائر العاصمة قامت مجموعة من النساء بحرق حجاباتهن في ما عرف لاحقاً بـ"نساء 13 ماي"، تعبيرا عن رغبة الاندماج في المجتمع الفرنسي ورفض الهوية الإسلامية¹. إلا أن الكاتبة زهور ونيسي أكدت أن هذا المشهد كان تمثيلية، أجبرت فيها بعض النساء على خلع حجابهن تحت تهديد السلاح، بينما أخريات فعلن ذلك خوفا من فقدان وظائفهن في بيوت المستعمرين الفرنسيين. وفي اليوم التالي، لم يشاهد أي أثر لهؤلاء النساء في الشوارع، حتى اللواتي كن قد كشفن عن وجوههن قبل الحادثة عدن إلى ارتداء الحجاب².

مطلب الثالث: الهجرة.

تعد الهجرة التي قام بها الجزائريون نحو تونس والمغرب وإلى المشرق العربي وحتى إلى فرنسا، من أبرز نتائج التأثير الثقافي والاستعماري الذي مارسته السلطات الفرنسية لعقود طويلة. وقد مثلت هذه الهجرة شكلا من أشكال المقاومة السلبية لسياسات الاستعمار، خاصة في ما يتعلق بالقمع الثقافي والديني.

في مطلع القرن العشرين، شهدت الجزائر موجة هجرة واسعة نحو عدة بلدان، حيث تشير المصادر التاريخية الفرنسية إلى أن أكثر من عشرين ألف جزائري غادروا البلاد خلال تلك الفترة. وقد شملت هذه الهجرة بشكل خاص فئة الطلبة، الذين فروا من الاضطهاد الديني والثقافي الذي فرضته الإدارة الاستعمارية الفرنسية على الشعب الجزائري³.

بدأت هجرة الطلبة الجزائريين إلى تونس في أواخر القرن التاسع عشر، بهدف مواصلة التعليم في جامع الزيتونة، التي كانت تعد منارة للعلم والمعرفة في العالم العربي. ومع بداية القرن العشرين، ازدادت

1- محمد سليم قلاله، التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 133-136.

2- زهور ونيسي، جوانب من مساهمة المرأة في صنع النصر، المرجع السابق، ص 156.

3- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية [1930-1945]، ج 2، المرجع السابق، ص 125.

هذه الهجرة، حيث أصبحت تونس مقصدا لكل من يرغب في التعمق في الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة¹.

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، شهدت الجزائر تحولات كبيرة في مختلف المجالات، مما أدى إلى زيادة عدد البعثات العلمية نحو الزيتونة. وفي الربع الأول من القرن العشرين، ظهرت أولى البعثات الباديسية²، حيث قام الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام 1908م برحلته التاريخية إلى جامع الزيتونة، فاتحا بذلك بابا واسعا أمام الطلبة الجزائريين³.

يعد جامع الزيتونة منارة علمية كبرى في المغرب العربي، فهو يأتي في المرتبة الثانية⁴، بعد جامع الأزهر من حيث الأهمية العلمية. وقد احتضن الجامع عبر تاريخه العديد من الطلبة الجزائريين الذين كانوا متعطشين للعلم، حيث وفر لهم بيئة علمية خصبة وفتح ذراعيه لاستقبالهم.

كان جامع الزيتونة بمثابة جسر يربط بين الفكر التقليدي والحديث، حيث ساهم في نشر العلوم الإسلامية واللغوية في المغرب العربي⁵، كما شكل بوابة للانفتاح على النهضة الفكرية التي شهدتها المشرق العربي⁶.

لم تقتصر الهجرة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية على الطلبة فحسب، بل شملت أيضا العديد من العائلات التي اضطرت إلى مغادرة البلاد نحو تونس، المغرب، والمشرق العربي، خاصة بعد اشتداد القبضة الاستعمارية الفرنسية وسيطرتها على مختلف مناطق البلاد. وقد شملت الهجرة مناطق مثل

بجاية، المديّة، وهران، وعنابة، بالإضافة إلى القادة السياسيين والأعيان. كانت الأسباب الاقتصادية في مقدمة الدوافع التي أجبرت الكثير من العائلات الجزائرية على الهجرة، إذ تعرضت هذه العائلات للفقر

1- خير الدين شتورة، الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد2، ص73.

2- رابح فلاح، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1962، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص ص51-52.

3- محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص34.

4- عطلاوي عبد الرزاق، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية [1913-1954]، مجلة آفاق فكرية، المجلد 3، العدد7، 2017، ص246.

5- عطلاوي عبد الرزاق، المرجع نفسه، ص246.

6- رابح فلاح، جامع الزيتونة والحركة والحركة الإصلاحية، المرجع السابق، ص33.

الشديد نتيجة للمصادر الواسعة الأراضي الزراعية، وعمليات الحجز التي فرضتها السلطات الاستعمارية¹.

كما نفيت بعض العائلات قسرا من قبل الإدارة الفرنسية، ومنها من لجأ إلى تونس مثل عائلة المدين، و بوشوشة، و السنوسي. في تونس تمركز العديد من الجزائريين، وشكلوا نواة اجتماعية و ثقافية متميزة، حيث التحق بعضهم بسلك التعليم والدعوة مثل الشيخ الطاهر الجنادي، في حين أصبح آخرون أطباء مرموقين أمثال محمد بمعربي².

كما لعب عدد من العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس دورا مهما في النهضة الثقافية والاجتماعية والسياسية، وكان لهم أثر كبير في دعم الحركة الوطنية الجزائرية، و ربط العلاقات بين الجزائر وتونس على المستويين الثقافي والسياسي. ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي تتلمذ في جامع الزيتونة، ثم عاد إلى قسنطينة وأسس معهدا أصبح بمثابة رسمي لجامعة الزيتونة، ليسهل على الطلبة الجزائريين الالتحاق بها مباشرة³.

كما لا يمكن إغفال دور محمد بن الحاج، أحد أبرز العلماء والمجاهدين الذين هاجروا من الجزائر إلى تونس، حيث درس وتخرج من الزيتونة، وأصبح من أبرز علمائها في عصره، إلى جانب علماء آخرين أمثال مصطفى بن عزوز⁴.

من بين أبرز رموز الفكر الإصلاحي و الحركة الوطنية في الجزائر، يبرز اسم الشيخ العربي التبسي⁵، الذي يعد أحد أقطاب الفكر الإصلاحي المعاصر وعضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين في الجزائريين. وتلقى تعليمه في جامع الزيتونة، حيث نال شهادة الأهلية، ثم واصل دراسته في جامع الأزهر

1- عبد الحكيم رواجنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1830-1930، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013-2014 ص181.

2- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع السابق، ص490.

3- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص402.

4- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص490.

5- العربي التبسي: ولد عام 1895 بقرية النموشية التي تقع غرب مدينة تبسة، هو من قبيلة النمامشة الأمازيغية أبوه بلقاسم كان يشتغل في الأرض إلى جانب تحفيظ القرآن لأبناء

قرينته، التحق بجامع الزيتونة عام 1913م تحصل فيها على شهادة أهلية. للمزيد ينظر: بشير بلح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع السابق، ص498.

بمصر، وتحصل على شهادة العالمية. كان يرى في طلب العلم وسيلة لخدمة وطنه وتحريره من قيود الاستعمار الفرنسي¹.

كما يعد الشاعر مفدى زكريا²، من الشخصيات الوطنية البارزة في تلك المرحلة، وهو شاعر الثورة الجزائرية ومؤلف النشيد الوطني "قسما". ثم رحل إلى تونس لمتابعة دراسته، وهناك بدأ يعبر عن وعيه الوطني خلال الشعر، فكان صوته قويا في خدمة القضايا العربية والجزائرية.

ومن الشخصيات الهامة كذلك، الرئيس الراحل هواري بومدين، أحد رجالات الجزائر الكبار الذين ساهموا في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. انتقل إلى تونس سنة 1949م، حيث درس لفترة من الزمن، ما أسهم في توسيع معارفه وتكوينه الفكري، قبل أن يعود لاحقا إلى بلاده ويلعب دورا حاسما في مرحلة ما بعد الاستقلال³.

تأتي عائلة الشيخ محمد المقراني⁴، في طليعة العائلات الجزائرية التي هاجرت بالكامل إلى تونس بعد فشل ثورة المقراني عام 1871م ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية. وتشير التقديرات إلى أن عدد أفراد هذه العائلة المهاجرة بلغ نحو 500 شخص⁵، وتوضح الوثائق المالية والأرشفية أن السلطات الفرنسية صادرت ممتلكاتهم وجردتهم من أراضيهم، مما جعل بقائهم في الجزائر خطرا على حياتهم⁶.

1-عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ، مرجع السابق، ص.411.

2- مفدي زكريا: ولد في واد ميزاب ونظم الشعر أثناء الدراسة شاعر الوطنية والمناسبات الخطيرة عندما أعلنت الثورة أول نوفمبر كان شاعرها ذاع صيته و أشهر شعره 'رحل إلى تونس والمغرب واتصل بحكامها ومدحهم من آثاره "ديوان الشعر وتحت ظلال الزيتون"، ونشيد الثورة الذي أصبح النشيد الرسمي للدولة، مات بتونس، للمزيد ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص.309.

3-عمار هلال، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص.415-416.

4- محمد المقراني: هو محمد ابن الحاج محمد المقراني، ينتسب إلى عائلة غنية من قلعة بني عباس، كان أبوه منابذا للفرنسيين ثم استسلم لهم عام 1838م، فاسندوا له منصب خليفة مجانية الناقد في منطقة واسعة حول برج بوعريريج، وعندما توفي عام 1853م، استخلف الفرنسيون ابنه محمدا على منصب ملقب بالباشاغا وشرعوا في مضايقته وإضعاف نفوذه عام 1857م، مما ساهم في إعلان الثورة التي استشهد فيها عام 1871م، للمزيد ينظر: بشير بلان، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص.293.

5- العياشي رواجي، هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى بلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة التواصل، المجلد 24، العدد 53، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2018، ص.365.

6- صالح عسول، اللاجنون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة [1946-1962]، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج

لخضر باتنة، 2008-2009، ص.75.

كما نجد هجرة محمد الكبلوتي¹، أحد أفراد عائلة "بن رزقي" المنحدرة من قبيلة الحنانشة، الذي فر إلى تونس بعد أن لاحقته السلطات الفرنسية عقب مشاركته في تمرد جنود الصباحية في منطقة الطارف، وبسبب تورطه في أحداث ببلديات مثل حجر السكر وسوق أهراس². ومع ازدياد الضغط الفرنسي، اضطر الكبلوتي وأتباعه إلى عبور الحدود التونسية، حيث راسل الباي مصطفى باشا، رئيس الوزراء آنذاك، يطلب الحماية لأتباعه. فاستقبلهم الباي تونسي بحفاوة، إلا أن الوزير التونسي مصطفى خزندار أمر بإبعادهم عن المناطق الحدودية، تحت ضغط فرنسي، لمراقبتهم ومنع أي توتر دبلوماسي مع فرنسا³.

إلى جانب هؤلاء، نجد فئة من الأغنياء الجزائريين الذين استقروا في تونس منذ وقت مبكر، وقد استفادوا من الامتيازات القانونية والسياسية التي منحتها الإيالة التونسية، وشكلوا نحو 10% من الجالية الجزائرية المقيمة هناك. وكان لهم دور فعال في تنمية الاقتصاد التونسي والمساهمة في تحسينه، من خلال استثمارهم ونشاطاتهم التجارية⁴.

المبحث الثالث: نشر الثقافة الفرنسية.

المطلب الأول: اندماج في الثقافة الفرنسية.

تعتبر الفترة الاستعمارية في الجزائر مرحلة مليئة بالمعاناة والكفاح، حيث خاض الشعب الجزائري نضالا طويلا من أجل نيل حريته والحفاظ على هويته الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي لطمسها ومحو معالمها.

1- محمد الكبلوتي: ينسب محمد الكبلوتي بن الطاهر بن رزقي إلى عائلة الحنانشة التي تقطن شرق جبال الأوراس، وكان عمه رزقي الحناش قد عينه أحمد باي شيخا على الحمانشة، بدل الشيخ الحسناوي الحناشي، الذي كان يتأمر عليه ويشاغب سلطته، ومحمد كبلوتي من أحفاد هذا الرجل، للمزيد ينظر: فارس العيد، علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس [1848-1930]، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر 'قسم التاريخ وعلم الآثار، وهران، 2017-2016، ص 145.

2- صالح عسول، اللاجئون الجزائريون بتونس، المرجع السابق، ص 75.

3- فارس العيد، أثر مقاومة المقارنين وانتفاضته الصباحية والكبلوتي في فرض الحماية الفرنسية على تونس، الأكاديمي للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 18، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، جوان 2017، ص 40.

4- أحمد بن حابو، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس [1830-1954]، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2010-2011، ص 212.

يعرف المجتمع الجزائري بطابعه المحافظ وأخلاقه النبيلة، وقد وصفه حمدان خوجة في كتابه المرأة بأجمل الصفات، حيث قال إن الجزائريين صريحين وصادقين، لا يعرفون الحقد ولا الكراهية، وهم كرماء في أفعالهم، عاملون الضيف كأنه قريب لهم. كما أشار إلى أن تقاليدهم قوية لدرجة أن حتى الأشرار لا يستطيعون تجاوزها لأنها تعد انتهاكا خطيرا. وأكد أنهم شعب يتميز بالوفاء، لا يعرفون السرقة أو الخيانة أو القتل، بل هم رجال شرف يحترمون وعودهم¹.

وهذا ما دعمه المفكر مالك بن نبي في مذكراته عندما أشار إلى أنه قضى عاما كاملا في مدينة "أفلو" دون أن يشهد جريمة واحدة، بل إن حادثة نادرة وقعت هناك تركت أثرا عميقا في نفسه، وتدل على القيم السامية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري. و سرد قصة راع ترك قطيعه المؤلف من مئات الجمال عند شخص آخر، ثم غاب ذلك الشخص لعامين. وعندما عاد، كان القطيع قد تضاعف في العدد، لأنه تاه في الصحراء حتى وصل إلى حدود السودان، لكنه عاد دون أن يأخذ شيئا سوى اللبن الذي كان يقات به، وهذه القصة تعكس الأمانة والصدق بين الناس².

و رغم أن مالك بن نبي لاحظ وجود حالات من البغاء في المدينة عام 1927م، إلا أنه أشار إلى أنها كانت حالات عرضية مرتبطة بمناسبات، وليست ظاهرة منظمة كما في بعض مدن الجزائر. كما أكد أن المجتمع حافظ على ضوابطه الأخلاقية والاجتماعية، وأن للبيوت الجزائرية أصالة تمنعها من الانحراف عن قيمها³.

لا يمكن القول أن المجتمع الجزائري التقليدي قبل الاستعمار كان خاليا تماما من الآفات الاجتماعية، إذ لا يكاد يخلو أي مجتمع من مثل هذه الظواهر، غير أن الجزائريين آنذاك كانوا في الغالب محافظين، يتمسكون بدينهم، ويحترمون القيم والأخلاق الإسلامية، كالأمانة والحياء والشرف، وكانوا يرفضون المعاصي ويستنكرون المنكر ولا يتسامحون معه، في إطار منظومة أخلاقية متوارثة جيلا بعد جيل⁴.

1- حمدان خوجة، المرأة، ت: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص ص 65-66.

2- مالك بن نبي، مذكرات شاهد قرن، المرجع السابق ص 176'177

3- مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص 180.

4- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013، ص 37.

لكن مع قدوم الاحتلال الفرنسي، بدأت سياسة ممنهجة لطمس هذه القيم، حيث عملت السلطات الاستعمارية على نشر الرذائل كتعاطي الخمر والمخدرات، وفتحت الحانات والمواخير، وروجت للأفلام الهابطة التي تضعف البنية الأخلاقية للمجتمع. كما تجاوزت سلطات الاحتلال كل الحدود بترخيص بيوت الدعارة، حتى في الأحياء المجاورة للمساجد، كما حدث حول جامع "سيدي رمضان" في القصبة إحاطة السوار بالمعصم¹.

مما أثار استياء العلماء والدعاة أمثال الشيخ أبا يعلى الزواوي الذين وقفوا بشدة ضد هذه السياسات ودعوا إلى إغلاق هذه الدور حيث عبر قائلا: "لو كان ذلك أمام الكنيسة أو بيعة يهودية أو مدرسة البنات الفرنسية لما سكت عنه"². وحذرت جريدة "البصائر" في مقالات مثل ما كتبه عبد الكبير الزمراني، من تفشي الفساد وتأثيراته الدينية والاجتماعية، كما شجعت السلطة الاستعمارية على زراعة الكرم لزيادة إنتاج الخمر، مما ساهم في شيوع الانحراف والجرائم، خاصة في أوساط الشباب، وظهور عصابات مثل التي كان يقودها مسعود بن الشيخ في القصبة، والتي مارست أنشطة إجرامية كفرض الإتاوات، وترويج المخدرات، وحماية بيوت الدعارة³.

و تحدث راسم عمر في جريدة "ذو فقار" عام 1913م عن هذا التدهور الأخلاقي، متسائلا كيف يمكن للمسلم أن يظل ملتزما في بلد أصبحت مساجده خاوية من المصلين، وشوارعه تعج باللصوص والفاستدين⁴. كما أشار مالك بن نبي في مذكراته إلى مظاهر الانحراف والانفصال التدريجي عن تقاليد المجتمع العريقة، والتي بدأت تطفو على السطح في مطلع القرن العشرين، ما يدل على عمق الأثر السلبي الذي خلفته السياسات الاستعمارية على البنية الأخلاقية والاجتماعية للجزائر⁵.

صور المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون حالة التدهور والانحراف التي بلغها المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال، حيث أشار إلى مظاهر اندثار الهوية الدينية، قائلا: "حيثما توجهنا نجد المدنيين المسلمين لا يحلقون رؤوسهم ولا يحتفظون بلحاهم، ولا يتخرجون من تدخين التبغ، وبعضهم يتعاطى

1- محمد الهادي الحسني، "ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم"، جريدة الشعب، الجزائر، 29 ديسمبر 1983.

2- أبو يعلى الزواوي، "محاربة البغاء"، جريدة البلاغ، ع85، 14 سبتمبر 1928.

3- مسعود بن الشيخ سي بشير، أوراق من الذاكرة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2011، ص73.

4- محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المرجع السابق، ص95.

5- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص17.

الخمير مختلف المشروبات الكحولية القوية. وحتى الذين يأكلون في عز رمضان لم يتعرضوا للرجم ولا المقاطعة، مثلهم في ذلك مثل المتهاونين بصلاتهم أو مثل الذين نشئوا بالمدارس الفرنسية فصاروا يجهلون حتى المبادئ الأولية لدينهم¹.

ومن جانبه، رسم الشيخ الطيب العقبي في مقال نشر سنة 1926م بجريدة "النجاح"، صورة قائمة للمجتمع الجزائري، مؤكدا انتشار الانحلال الأخلاقي بشكل لافت، حيث تحولت صورة الرجولة إلى من يشرب الخمير ويقطع الطريق، بينما تفشت ظواهر الزنا والدعارة تحت حماية الاستعمار، الذي شرع أبوابها ومنحها الغطاء القانوني. وأصبحت بعض شوارع العاصمة تعج بأصوات البغايا، مما كان يجرح حياء المارة، وقد وصف ذلك بأبيات مؤثرة تعكس الألم والحسرة على ما آلت إليه البلاد.

هو شمسا بديعة الإشراق

حيثما تلتفت تجد قمرا يز

قا غدا في جماعة العشاق

وجميلا تلا جميلا ومعشو

فاتتات وفاتن في الزقاق²

هكذا كلها الجزائر فانظر

وأشار عدد من مقالات جريدة "الشهاب" إلى تراجع الوازع الديني تدريجيا، واختلاط الأمور على الناس بدخول عادات وسلوكيات دخيلة لا تتوافق مع الدين ولا مع الأعراف، مثل المبالغة في الاحتفال بالأعراس بجلب الرافصات وإنفاق مبالغ طائلة على الخمير والمجون³. وروت الجريدة حادثة وقعت في أحد المساجد، حينما حاول شخص مخمور الاعتداء على شاب يرتدي طربوشا، بحجة أنه لا يجوز دخول المسجد به، دون أن يلقي المخمور أي اعتراض أو إنكار من الحاضرين.

أما الشباب، الذين يعدون عماد المجتمع، فقد وصفهم خليفة بن عمار في مقال بجريدة "البصائر" سنة 1936م، بأنهم بلا حظ من العلم أو الأخلاق، وجل همهم كان في التأنق وتقليد الأجانب في مظهرهم وسلوكهم. لم يكونوا يرتادون إلا أماكن اللهو والفسق، ونادرا ما وجد من بينهم من يقيم الشعائر الدينية أو يولي الدين الإسلامي مكانته كدين سماوي مقدس⁴.

1- شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 492-493.

2- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، دار الهومة، الجزائر، 2007، ص 114.

3- مصطفى بن شعبان، "نظرة في البدع"، الشهاب، م1، ع4، 3 ديسمبر 1925، ص 78.

4- خليفة بن عمار، "هل لشبابنا حظ من العلوم والأخلاق الفاضلة"، البصائر، م1، ع3، 17 جانفي 1936، ص 6.

لم يعد اللباس مجرد وسيلة لتغطية الجسد والوقاية من البرد أو الحر، بل تحول إلى رمز ثقافي واجتماعي، يعبر عن الهوية الفردية والجماعية، ويعكس الانتماء الديني والجغرافي. فقد أصبحت الأزياء التقليدية أحد المقومات الأساسية التي تميز المجتمعات، لما تحملها من دلالات تاريخية وتجسيد للعادات والتقاليد، كما أنها تعكس نمط الحياة داخل المجتمع، وتخلي الفرد عنها يعد مؤشرا على الضعف والانبهار بالآخر.

وقد أشار المفكر حسن مؤنس إلى البعد الحضاري العميق الذي تحمله الألبسة¹، بينما اعتبر المفكر مالك بن نبي أن التوازن داخل أي مجتمع لا يحقق إلا بتكامل بين العناصر المادية والمعنوية، مشددا على أن اللباس يمثل أحد هذه العناصر، لأنه يحمل جانبا من روح الفرد وثقافته، ويعبر عن وعيه وإدراكه لذاته².

رغم أن اللباس قد يبدو مظهرا خارجيا ثانويا، فإنه في الحقيقة انعكاس لرؤية المجتمع لنفسه، وامتداد لوعيه الجماعي. فالأزياء الأوروبية مثلا تتماشى مع الخصوصيات العقلية والثقافية لسكان الغرب، وعندما يتبناها المسلم من دون وعي أو إدراك، فهو ينسجم من ذوق قريب عنه، ما يؤدي تدريجيا إلى تشويه وعيه الثقافي، وتخليه عن رموز حضارته، فيقع في فخ التبعية والاغتراب، حتى لو بدا ذلك مجرد موضة.

ولا شك أن تقليد المسلمين، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، لنمط الحياة الغربية في لباسهم ومظاهرهم يعد من أخطر التهديدات التي تستهدف الثقافة الإسلامية، لأنه يعكس شعورا داخليا بالنقص أمام الآخر، ويمهد لطمس الهوية وتفكك المرجعيات³.

كان اللباس التقليدي يتكون من عدة قطع بعضها بأكمام والبعض الآخر بدونها⁴، ويعكس بشكل واضح الطبقة الاجتماعية والانتماء الجغرافي. فلباس عليه القوم، من أعيان ووجهاء و ذوي المناصب، كان يتألف من سراويل عريض، وقميص بسيط، يعلوه زنا عريض، ومعطف بينما كان لباس عامة الناس، خصوصا في القرى، يتكون من سراويل ضيقة مشمرة عند الساق، وقميص ومعطف، ثم ثوب فضفاض

1- حسين مؤنس، الحضارة عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص376..

2- مالك بن نبي، شروط النهضة، ت:عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1936، ص6.

3- محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص ص82-83.

4- وليام شالر، منكرات قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب:إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص83.

وطويل يرتدى فوق الجميع، ويعرف بـ"القندورة"، وهو يشبه العباءة لكنه مخيط من الأمام. أما الفقراء فكان لباسهم بسيطا في الغالب¹. وكان غطاء الرأس الرجالي يتمثل في "العمامة"، بينما الأحذية هي "البلغة"، ولم يكن الجوارب شائعة إلا بين الشيوخ وفي حالات البرد فقط²، أما المرأة الجزائرية، فكان لها لباسها الخاص الذي يختلف من منطقة إلى أخرى، وأكثر ما كان يجمع المناطق هو ارتداء الحايك أو الملاية، وهي قطعة قماش سوداء تلف بها المرأة جسدها وتظهر وجهها فقط، ثم تغطيه بقطعة شفافة تعرف بـ"العجار". واللافت أن اللباس الجزائري لم يكن يوما ضيقا أو شفافا، بل تميز بالاحتشام و الفضفاضية.

غير أن هذا المشهد تغير تدريجيا بعد تأثير الأزياء الغربية، خاصة بعد الاحتلال الفرنسي، إذ بدأت ملامح التغريب تظهر على المجتمع، وظهرت الملابس الضيقة والمفصلة خصوصا لدى النساء³. وكان اللباس العسكري أول زي غربي دخل الجزائر، نتيجة انخراط الجزائريين في الجيش الفرنسي لاحقا، لعبت المؤسسات الاقتصادية والإدارية دورا في تغيير نمط اللباس لدى الذكور والإناث على حد سواء، خصوصا بعد دخول النساء إلى المدارس الفرنسية وسوق العمل، حيث بدأت الفتيات يرتدين الزي الأوروبي. وقد أشارت الكاتبة روش إلى أن الفتيات الجزائريات كن يرتدن المدارس وهن بلباس أوروبي⁴، بل إن مدارس أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل مدرسة دار الحديث، شهدت نساء معلمات سافرات⁵. ونشرت جريدة البصائر سنة 1954م أن أحد الصحفيين الأوروبيين الذي زار الجزائر اعتقد أن عدد الأوروبيين يفوق عدد الجزائريين بسبب انتشار المظاهر الأوروبية في اللباس خاصة بين الشباب، حيث من نادر أن يشاهد أحدهم باللباس التقليدي، باستثناء عدد قليل من الشيوخ المحافظين⁶.

القبة الأوروبية، أو الطربوش، من رموز التحديث، لكنها أثارت جدلا واسعا في العالم الإسلامي، حيث ناقشت جريدة الشهاب حكم ارتدائها، ونقل الشيخ محمد رشيد رضا أن لبسها جائز في ذاته، لكنه يعد محرما إذا أصبح وسيلة للتشبه بالكفار أو دليلا على ضعف الانتماء الديني⁷. كما ذكر مالك بن نبي في

1- إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1996، ص207.

2- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، المرجع السابق، ص83.

3- شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، المرجع السابق، ص492.

4- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص355.

5- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1958، ص191.

6- باعزیز بن عمر، "في مجتمعنا الجديد مشكلة اللباس"، البصائر، م7، ع281، 30 جويلية 1954، ص2.

7- مجهول، "لبس القبة"، الشهاب، م2، ع38، 15 جويلية، 1926.

مذكراته عن استياء أساتذته من ارتدائه للملابس الأوروبية¹. ومع مرور الوقت، أصبح هذا اللباس شائعا ومألوفا، خاصة بين الطبقة المثقفة، كما أشار المؤرخ شارل روبير أجرون، مؤكدا أن التحذيرات من ارتداء البدلة الأوروبية والقبعة قد تلاشت تدريجيا².

كما أشار كذلك إلى أن الجزائريين تأثروا بشكل كبير بالثقافة الفرنسية، حيث بدأوا بتقليد الغرب في أنماط لباسهم وعاداتهم وتصرفاتهم، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى التخلي عن تعاليم دينهم، فصاروا يجاهرون بالإفطار في رمضان، ويتهاونون في أداء الصلاة، كما انتشر التدخين بينهم، وعلى الرغم من جهود الحركات الإصلاحية في التصدي لهذه التأثيرات الثقافية الأجنبية، فإن دعاة الإدماج من الجهة الأخرى كان لهم تأثير بالغ في دفع المجتمع الجزائري نحو تبني ثقافة الغرب والاندماج فيها³.

المطلب الثاني: التجنس بالجنسية الفرنسية.

استطاعت السلطات الاستعمارية الفرنسية، من خلال سياساتها التعليمية الممنهجة، أن تؤثر بعمق في شرائح واسعة من المجتمع الجزائري، لاسيما تلك التي أتيح لها الانخراط في منظومتها التربوية. وقد استهدفت هذه السياسات التعليمية طمس الهوية الوطنية والقومية والدينية للجزائريين، وزرع قيم ثقافية وفكرية فرنسية تهدف إلى خلق جيل جديد من الجزائريين المبتكرين لأصولهم، والمنفتحين بشكل مفرط على الثقافة والحضارة الغربية، إلى درجة الذوبان فيها.

ونتيجة لذلك، تشكلت عبر الزمن نخبة جزائرية، عرفت فيما بعد باسم "النخبة المتفرنسة"، وهي فئة من المتعلمين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية، وتشبعوا بثقافتها وقيمها، حتى باتوا يشكلون طبقة اجتماعية منعزلة عن بيئتها الأصلية، ومتمككة لثوابت مجتمعها. تميزت هذه النخبة بانبهارها الشديد بالحضارة الغربية، وبسعيها الحثيث إلى محاكاة النموذج الفرنسي في مختلف مجالات الحياة: الفكر والعمل ونمط العيش واللغة، وحتى الرؤية للعالم والمستقبل.

1- ممالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص110.

2- بشير بلال، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص130.

3- سحولي البشير، مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية [1900-1939]، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجليلي ليايس، سيدي

بلعباس، 2014-2015، ص97.

وقد تكونت هذه الفئة من أفراد درسوا في المعاهد الفرنسية أو تحصلوا على شهادات جامعية وثانوية عليا، وكان من بينهم أطباء وصيادلة ومحامون وقضاة ومعلمون وموظفون ومترجمون، وغيرهم من أصحاب المهن التي منحهم مكانة مرموقة داخل المجتمع الاستعماري. غير أن هذه المكانة لم تكن تعني انتماء حقيقيا للثقافة الفرنسية، بل كانت تعبيرا عن حالة من الاستلاب الثقافي والانبهار الحضاري، ناتجة عن منظومة تعليمية وتربوية أسستها فرنسا لتنشئة جيل من الجزائريين يدين لها بالولاء الفكري والثقافي¹.

وكانت هذه النخبة تسعى إلى تحويل المجتمع الجزائري برمته إلى مجتمع متغرب، ينفصل عن جذوره الثقافية والدينية والتاريخية، ويلتحق بنمط الحياة الفرنسي. وقد ظهرت هذه الفئة بشكل واضح منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث قبل عدد من أفرادها بالتجنس بالجنسية الفرنسية، وهو ما اعتبر آنذاك تخليا عن الهوية الجزائرية وتبنيًا للهوية الاستعمارية، وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، إذ تخلى عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية، ورضي بالإدماج الكامل في المنظومة الغربية الفرنسية، مما شكل انقلابا على القيم الأساسية للمجتمع الجزائري المسلم².

و كان من بين أبرز أفراد هذه النخبة من تبني مواقف متطرفة، عكست مدى تغلغل الفكر الاستعماري في نفوسهم. ومن بين هؤلاء فرحات عباس، الذي أنكر في بداية حياته السياسية وجود وطن يدعى الجزائر، وصرح في أحد خطاباته عام 1935م أمام المجلس العام بأنه يفضل البقاء ضمن كنف "فرنسا العظمى"، مدعيا أن الشعوب العربية غير مؤهلة لتحقيق الاستقلال أو بناء دول حرة ومزدهرة. وقد مثل هذا الموقف قطيعة صريحة مع تطلعات الشعب الجزائري في التحرر والاستقلال.

أما الشريف ابن حبيلس، فقد عبر عن اعتقاده بأن فرنسا تمثل قوة خلاص للمجتمع الجزائري، لما اعتبره من حالة فوضى قبلية وتخلف عاشها هذا المجتمع في القرون السابقة³. ومن هذا المنطلق، دعا الشريف ابن حبيلس إلى القطيعة مع الماضي بكل ما يحمله من رموز وتاريخ إسلامي مطالبًا بالنظر إلى المستقبل من خلال تبني القيم الغربية والانصهار في الحضارة الأوروبية، التي اعتبرها السائدة في العصر الحديث. وقد صرح بأن الحضارة الإسلامية قد أفلت شمسها، ولم يعد من الممكن لأمة تعيش في القرن

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، المرجع السابق، ص246.

2- عمار بوحوش، الرجع نفسه، ص247.

3 - فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر المنطلق السيرة المال (1837-1937)، الدار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص414.

العشرين أن تظل متمسكة بمثالية القرون الوسطى. واعتبر أن على الأسرة الجزائرية أن تتطور لتدخل في النسيج المجتمعي الفرنسي الكبير¹.

وفي الاتجاه ذاته، كتب رابح زناتي في كتابه "المشكلة الجزائرية كما يراها وطني" سنة 1938م، داعيا إلى منح فرنسا المزيد من الوقت لإتمام مشروعها الحضاري في الجزائر، مؤكدا أن الهدف الأسمى يجب أن يكون "فرنسة" الجزائريين، أي منحهم العقلية الفرنسية والروح الغربية، من أجل تسهيل عملية اندماجهم التام في الأمة الفرنسية.

كما وصلت حالة الاستلاب الثقافي لدى بعض أفراد هذه النخبة إلى درجة التتكر التام للانتماء العربي، إذ صرح أحد أعضاء المجلس البلدي في مدينة الجزائر، في حديث مع زميل فرنسي، بأنه يشعر بالخجل من عروبه². أما باعزیز بن عمر فقد وصف هذه الفئة بأنها "لا شرقية ولا غربية"، مشيرا إلى أن انتمائها الثقافي ضبابي، فلا هي تشبعت بقيم الشرق ولغته وثقافته، ولا هي أخلصت للغرب وحضارته، بل اكتفت بتقليد سطحي لبعض مظاهر الحياة الغربية، كتعلم آداب "التواليت" ومجالس النخب الاستعمارية، دون أن تتمكن من الإدماج الحقيقي في الحضارة الغربية والاحتفاظ بجذورها الشرقية³.

أما المؤرخ الشيخ أبو قاسم سعد الله، فقد وصف هذه النخبة بأنها كانت تعاني من شعور بالتفوق إزاء أبناء شعبها، وفي الوقت ذاته تشعر بالدونية تجاه المجتمعات الغربية. وقد أدى بها هذا التناقض إلى حالة من التشتت الثقافي والنفسي، جعلتها تعيش في فراغ بين عالمين: لا هي اندمجت كليا في الثقافة الغربية، ولا هي بقيت وفية لهويتها الجزائرية الإسلامية.

وهكذا، فإن النخبة المتفرنسة، التي نشأت في ظل النظام الاستعماري الفرنسي، قد لعبت دورا مركزيا في محاولة فرض النموذج الثقافي الفرنسي على المجتمع الجزائري، إلا أنها في نهاية المطاف لم تستطع أن تنفصل تماما عن واقعها، ولا تنتمي بصدق إلى الثقافة التي تبنتها، فظلت معلقة بين هويتين، غربية عن مجتمعها الأصلي، وغير مقبولة كليا من المجتمع الفرنسي⁴.

1- جمال مخلوفي، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة،

وهران، 2019، ص 137.

2- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 339.

3- باعزیز بن عمر، "اللغة العربية في مؤتمر أنصار السلم"، البصائر، م 2، ع 80، 23 ماي 1949، ص 01.

4- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 159.

المطلب الثالث: الفكر الفرانكفوني

تشير الفرانكفونية إلى تلك الفئة من الأفراد الذين يتحدثون اللغة الفرنسية بطلاقة، ويتقنونها كتابة ونطقا، والذين لا يقتصر تأثرهم بالفرنسية على الجانب اللغوي فقط، بل يمتد ليشمل تبنيهم للفكر والثقافة الفرنسية، من قيم وعادات وتقاليد ونمط حياة. هذه الفئة غالبا ما تظهر اهتماما ملحوظا بنشر الثقافة الفرنسية والدعوة إليها باعتبارها نموذجا حضاريا متفوقا. وفي هذا السياق، يبرز المفكر الفرنسي ماكس مورو أهمية اللغة في تشكيل الهوية والانتماء، إذ يقول: "باللغة، وباللغة يندمج الفرد بالمجتمع"، مشيرا إلى أن اللغة تعد أداة رئيسية في نقل الثقافة والتأثير فيها¹.

وقد تجلّى هذا التأثير بوضوح في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، من خلال محاربته للغة العربية لأنه اعتبرها لغة أجنبية يجب التضييق عليها بشتى الوسائل، وتم حظر استخدامها في التعليم والمدارس وحتى في الإدارات الرسمية، في محاولة لطمس هوية الجزائريين الثقافية واللغوية. وقد بلغ هذا الاضطهاد حدا خطيرا، إذ أن الرسائل التي كان يكتبها الأفراد باللغة العربية وتوجه عبر البريد كانت ترمى في سلة المهملات، فقط لأن عنوانها مكتوب بلغة أهل البلاد، كما روى ذلك المفكر الجزائري الفضيل الورثاني².

وقد أصبح فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في نظر الاستعمار الفرنسي عملا عدائيا، يشبه افتتاح مصنع للأسلحة و الذخيرة، بالنظر إلى ما تمثله تلك المدارس من خطر على المشروع الاستعماري، حيث تثبت الوعي الوطني وتعيد إحياء الهوية. ولم يكن مصير من يتجرأ على فتح مثل هذه المدارس إلا السجن من الأشغال الشاقة، عقابا له على دفاعه عن ثقافته ولغته. بل إن امتلاك سبورة في منزل أحد الجزائريين كان يعد جريمة يعاقب عليها بالسجن والغرامة، باعتبارها وسيلة لبث الوعي الفكري والديني بين الناس، وهو ما كان يشكل تهديدا مباشرا للاستعمار الفرنسي ومشروعه الثقافي.

1- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 41.

2- الفضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 97.

أما من لا يجيد اللغة الفرنسية، فقد كان يهمل ويقصى، حيث تتعطل مصالحه في الدوائر الحكومية، وقد يضطر للانتظار لأسابيع وربما شهور أو حتى سنوات من أجل معالجة أبسط طلباته، كنوع من الإذلال الممنهج للجزائريين ولغتهم وثقافتهم الأصلية¹.

كل هذه السياسات العدائية أدت إلى إضعاف شديد للغة العربية، التي عانت من التهميش والاضطهاد، مقابل فرض اللغة الفرنسية في شتى نواحي الحياة. فعلى سبيل المثال، كانت العرائض والمراسلات في بداية القرن العشرين تحرر باللغة الفرنسية، بينما كانت قبل ذلك تكتب بالعربية بل وصل الأمر ببعض الجزائريين إلى مخاطبة أبنائهم باللغة الفرنسية، حتى وإن كانوا يتقنون العربية الدارجة، كما كان يفعل مصالي الحاج الذي فضل استخدام الفرنسية في خطابه رغم إلمامه التام بالعربية².

سعى الاستعمار الفرنسي إلى إحلال اللغة العامية محل اللغة العربية الفصحى، في إطار مشروعه لطمس الهوية الثقافية للجزائريين. وبدأت المخاوف تتعاظم بين المثقفين من اندثار اللغة الفصحى وتحول العامية إلى لهجة هجينة يغلب عليها الطابع الفرنسي، وهو ما عبر عنه أحد كتاب صحيفة البصائر قائلاً: "وزاد الطين بلة ما فشا بين أكثر الطبقات من خلط الكلام العربي بالعجمي في الموضوع الواحد في البساط الواحد، فنجم عن ذلك خليط لا هو بعربي ولا عجمي.... لئن كان منكم من جيل بينه وبين الفصحى فلا أقل من ينال حظه من اللغة العربية الدارجة، فإن الرطانة التي تفشى أمرها في عموم القطر وتشوهت بها الألسن أيما تشويه وتركتنا خائفين على لغتنا العامية كذلك ذلك الخيال الباقي من العربية".³

وقد كانت العامية الجزائرية، في أصلها قريبة من اللغة الفصحى بحيث حافظت بعض المناطق مثل التبسة خلال عشرينات القرن الماضي على لهجة عربية نقية نسبياً، بينما احتفظت أفلو بلسان عربي فصيح إلى حد بعيد، لعدم وصول المعمرين الفرنسيين إليها في تلك الفترة. وقد وصف المفكر مالك

1- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، 62.

2- أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص117.

3- أبو العباس أحمد بن الهاشمي، "بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة"، جريدة البصائر، م1، ج8، 21 فيفري 1936، ص01.

بن نبي مدينة تبسة بأنها كانت المكان الوحيد الذي يتكلم فيه الناس لغة عربية أصيلة المفردات، صافية في بنيتها وإن لم تدع الفصاحة الأدبية¹، في حين اعتبر لسان أهل أفلو الأكثر نقاء في الجزائر².

أما المفكر أبو اليقظان، فقد قدم وصفا دقيقا لحال اللغة العربية سنة 1927م، متسائلا عن نصيب أبناء المسلمين منها، ليؤكد أن حظها كان ضئيلا، ومكانتها تراجعت بشكل مخيف، حتى غدت غريبة في أوطانها. وكان المار في شوارع المدن الجزائرية، لا سيما العاصمة، يسمع خليطا لغويا غريبا لا هو بالعربية ولا بالفرنسية ولا بالأمازيغية، وإنما مزيج مشوه من الثلاثة، والعربية كانت الأضعف في هذا الخليط، يشوبها التحريف والركاكة. وما زاد الأمر إيلا ما هو لجوء الناس إلى استخدام الفرنسية لحل الإشكالات في التواصل، حتى بين أصدقاء مسلمين عرب، ظنا منهم أن ذلك دليل على التحضر والتمدن³.

لقد ساهم هذا التراجع الرهيب للغة العربية في فتح المجال أمام هيمنة اللسان الفرنسي، إذ أصبحت أسماء المدن والشوارع والمعالم الثقافية والإدارية في الجزائر تحمل طابعا فرنسا، وتخذ رموز الاستعمار العسكري والثقافي مثل بيجو و كلوزيل ولافيجيرى، إلى جانب أعلام الأدب الفرنسي مثل ديكارت و فيكتور هوغو و لامارتين، ما شكل غزوا ثقافيا ممنهجا لا يقل خطورة عن الغزو العسكري نفسه⁴.

1- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، المرجع السابق، ص92.

2- مالك بن نبي، المرجع نفسه، ص178.

3- إبراهيم أبو اليقظان، "اللغة العربية غريبة في دارها"، جريدة وادي ميزاب، ع55، 1927/11/3، ص ص 78-79.

4- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص156.

الخاتمة

خاتمة الدراسة

وبعد عرض فصول هذا البحث، ومن خلال ما أوردناه عن سياسة الإدماج وأثارها الثقافية على المجتمع الجزائري توصلنا في آخره إلى عدة استنتاجات و يمكننا حصرها في النقاط التالية:

_ بعد التعمق في دراسة الإرهاصات الأولى للاتجاه الإصلاحية في الجزائر، يتبين أن بروز هذا الاتجاه لم يكن وليد لحظة طارئة، بل كان نتيجة تراكمات تاريخية وثقافية واجتماعية ناتجة عن واقع استعماري جائر. وقد مثلت جماعة النخبة، التي ظهرت مطلع القرن العشرين، حجر الأساس في بلورة هذا الاتجاه، إذ أنها ضمنت شريحة من مثقفين والمتعلمين الذين تميزوا بوعي سياسي وفكري متقدم، وسعوا إلى الدفاع عن حقوق الجزائريين بالطرق السلمية، مع الحفاظ على الهوية الوطنية والدينية. و لقد نشأت هذه النخبة نتيجة الاحتكاك المحدود بالثقافة الغربية والتكوين العلمي، مما أنتج فئة جديدة تؤمن بالحوار والتدرج في المطالبة بالإصلاح، وهو ما ميز الطور الأول من النضال الوطني الجزائري.

_ لقد كانت لهذه النخبة أهمية كبيرة ويعود ذلك إلى تنوعها الفكري وتعدد مرجعياتها، حيث انقسمت إلى فئات مفرنسة وأخرى دينية وإصلاحية، وقد ساهم هذا التعدد في خلق حيوية فكرية داخل المجتمع، سمحت بانتشار الوعي في أوساط مختلفة من الشعب الجزائري. ورغم إختلاف التوجهات، فإن القاسم المشترك بينهما كان رفض التهميش والاستعمار والمطالبة بإصلاحات فعلية تضمن الكرامة والمواطنة.

_ كما جاءت إصلاحات 1919م كمحاولة من السلطات الاستعمارية لامتصاص الغضب الشعبي واحتواء المطالب الوطنية التي بدأت تتصاعد بعد الحرب العالمية الأولى، وقد مثلت هذه الإصلاحات أول تجربة سياسية حقيقية يقم فيها الجزائريون ولو بشكل محدود، غير أن تحليل بنودها يكشف عن نوايا استعمارية واضحة في التحكم بمسار التغيير، من خلال فرض شروط تعجيزية واستثناءات تجعل منها إصلاحات شكلية أكثر من كونها فعلية. وقد تباينت مواقف النخبة الجزائرية حيال هذه الإصلاحات، حيث رآها البعض خطوة نحو تحقيق مكاسب تدريجية، في حين أن آخرون اعتبروها خدعة سياسية هدفها تأجيل الانفجار الشعبي.

_ وفي خضم هذا الحراك، برزت شخصية الأمير خالد كأحد أبرز رموز الاتجاه الإصلاحي الوطني، لما مثله من امتداد تاريخي لرمزية الأمير عبد القادر، ولما تحلى به من شجاعة سياسية ووضوح في الطرح، فقد خاض الأمير معارك سياسية قوية داخل وخارج الجزائر، حيث طالب بالمساواة الكاملة بين الجزائريين

والفرنسيين ورفض نظام التمييز العنصري، كما استخدم كل الوسائل السلمية المتاحة من عرائض و مراسلات ومداخلات سياسية في سبيل تحقيق الإصلاح، إلا أن صلابته في الموقف وجرائته في الطرح لم ترق للسلطات الاستعمارية، التي سارعت إلى نفيه، في محاولة لكسر شوكتة وإخماد صوته، ورغم نهايته القاسية، فإن حركته أرسيت الأسس الأولى للنضال الوطني المنظم، ومهدت الطريق لبروز تيارات أكثر راديكالية فيما بعد.

_ في البداية يتضح أن مفهوم الإدماج سواء من حيث دلالاته اللغوية أو الإصطلاحية، كان يعكس رغبة النخبة الجزائرية في إيجاد موقع متوازن داخل النظام الإستعماري الفرنسي، دون الخروج عنه.

_ من خلال تناولنا لمفهوم الإدماج والاندماج، يتبين أن الفرق بينهما ليس مجرد فرق لغوي أو شكلي، بل هو فرق جوهري يعكس اختلافا في المنطلقات والأهداف والوسائل، فالاندماج من حيث كونه توجهها سياسيا وفكريا، كان يعبر عن رغبة بعض النخب خاصة المتخرجة من المدارس الفرنسية في الانخراط الكلي في النموذج الفرنسي والمطالبة بالمساواة التامة في الحقوق والواجبات دون المساس بهوية الدولة، أما الإدماج فقد كان مصطلحا تستخدمه الإدارة الفرنسية لتبرير مشاريعها الفرنسية، حيث تسعى إلى ضم الجزائريين إلى المجتمع الفرنسي و لكن بشروط محددة، فالإدماج لم يكن نابعا من إرادة حقيقية للمساواة، بل كان وسيلة لتدجين الجزائريين دون منحهم فعليا حقوقهم الكاملة.

_ أما من حيث النشأة، فقد ولد الإتجاه الإدماجي في خضم تحولات عميقة عرفها المجتمع الجزائري، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ساهم في تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، و احتكاكهم بالمجتمع الأوروبي، في بلورة وعي سياسي جديد، وقد وجدت هذه النخبة المتعلمة، التي تلقت تكوينها في المدارس الفرنسية، نفسها أمام معادلة صعبة وهي الدفاع عن حقوق شعبها من جهة، وعدم الإصطدام المباشر مع المستعمر من جهة أخرى.

ـ وقد تبلور هذا الإتجاه من خلال عدد من الشخصيات البارزة، مثل صالح بن جلول، الذي كان من دعاة الإعتراف بالجزائريين كفرنسيين من خلال المساواة الساسية، دون تبني الخطاب الوطني الراديكالي. كما أن فرحات عباس يمثل نموذجا الأكثر تطورا من الناحية الفكرية، حيث بدأ اندماجيا متحمسا، ينكر حتى وجود أمة جزائرية، قبل أن يتحول لاحقا إلى رموز الحركة الوطنية، أما الحكيم سعدان، فقد عبر عن فئة ظلت متمسكة بالإدماج الكامل لدرجة الدفاع عن فكرة "الجزائر الفرنسية"، وهو ماجعله عرضا للانتقاد من التيارات الوطنية الأخرى.

ـ و على مستوى المطالب، يمكن القول أن الإتجاه الإدماجي ركز على عدد من القضايا الجوهرية، أهمها: إلغاء قانون الأهالي الجائر، تمكين الجزائريين من الحقوق السياسية، والمشاركة الفعلية في المؤسسات الرسمية، ورغم أن هذه المطالب لم تكن ثورية في ظاهرها، إلا أنها شكلت تحديا حقيقيا للمنظومة الإستعمارية التي كانت تقوم على التمييز العنصري والتفوق الأوروبي.

ـ غير أن هذه المطالب قوبلت بردود فعل مختلفة داخل المجتمع السياسي الجزائري، فبينما رأت بعض الطبقات السياسية في هذا الإتجاه خطوة نحو انتزاع بعض الحقوق، رفضته جهات أخرى باعتباره خضوعا وتذويبا للهوية الوطنية، ويظهر هذا الإنقسام جليا في موقف النخبة السياسية والدينية التي كانت ترى أن المطالبة بالإدماج تتناقض مع تطلعات الشعب في الحفاظ على خصوصيته وهوية الإسلامية.

ـ أما الكولون، فقد كانوا في مقدمة المعارضين لأي توجه نحو المساواة، وأعتبروا أن منح الجزائريين المسلمين حقوقا سياسية و اقتصادية يهدد امتيازاتهم، وعملوا على إجهاض أي مشروع إصلاحى قد يقرب الجزائريين من دائرة القرار أو المواطنة الكاملة.

ـ يتضح من خلال دراسة السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر أن هذه السياسة لم تكن تقتصر فقط على الوسائل العسكرية، بل تعتدتها لتشمل أبعادا ثقافية وإجتماعية عميقة وخطيرة كان الهدف الأساسي منها

هو طمس الهوية الوطنية الجزائرية وتفكيك البنية المجتمعية التقليدية، بما فيها القيم الدينية والروحية واللغوية والعادات الإجتماعية.

_ أدرك الاستعمار الفرنسي منذ بدايته أن السيطرة الحقيقية على الشعب الجزائري لا يمكن أن تتحقق بالسلاح فقط، بل لابد من توجيه ضربة قوية لركائز هويته الثقافية والدينية ومن بين أبرز الأساليب التي لجأ إليها الإحتلال في هذا الإطار كان استهداف الزوايا التي مثلت عبر قرون طويلة حصنا منيعا للدين والقيم الإسلامية.

_ كما عملت السلطات الإستعمارية على تقويض نواة المجتمع الجزائري، وهي الأسرة، من خلال محاولات مستمرة لتزويبها و تفكيكها عبر فرض نماذج اجتماعية غريبة غريبة عن السياق المحلي، كما كان للمرأة الجزائرية نصيب كبير من هذه السياسات الإستعمارية حيث حاول الاستعمار توظيفها كوسيلة لاختراق البنية الاجتماعية والتأثير فيها، عبر تغيير أنماطها التقليدية وسلخها دورها الطبيعي في الأسرة والمجتمع مستغلا ظروف الفقر والجهل والحرمان التي فرضها بنفسه.

_ ومن ناحية أخرى لعبت سياسة نشر الثقافة دورا محوريا في مشروع طمس الهوية الجزائرية، حيث سعت فرنسا إلى فرض لغتها وثقافتها وتعاليمها الفكرية من خلال المنظومة التعليمية والإدارية، كما لجأت أيضا إلى سياسة التجنيس التي حاولت من خلالها انتزاع الهوية الإسلامية من الجزائريين وتحويلهم إلى فرنسيين مسلمين.

_ كما شجعت فرنسا الهجرة إلى خارج الجزائر كوسيلة لتفكيك المجتمع، حيث تم إفراغ مناطق كاملة من سكانها مما أدى إلى إضعاف التماسك الاجتماعي وضرب الإقتصاد التقليدي، فضلا عن محاولة استخدام المهاجرين كجسر ثقافي لتكريس التبعية.

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر:

1. أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، دار الكتائب، ط2، البليدة، 1963.
2. شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضات 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954، د ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.
3. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ط1، م. م، دب، دس.
4. عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصرة الفترة الأولى (1920-1930)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
5. علي كافي، مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1953-1962)، دط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د س .
6. فضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، ط4، دار الهدى، الجزائر، 2009.
7. محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

2_المراجع:

1. محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، دط، دار ابن الكثير، بيروت، 2001.
2. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، ط4، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.
5. أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي [1800/1954]، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

6. أبو قاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة و التحرر [1962/1830]، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
7. أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية [1930/1900]، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط3، الجزائر، 2008.
8. إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع و النشر، ط1، بيروت، 1996.
9. أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986.
10. أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، د س.
11. أحمد توفيق مدني، هذه هي الجزائر، المجلد الثامن، طبعة الخاصة لوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010.
12. أحمد خطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها الإصلاحي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
13. أحمد عميراي وآخرون، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، الجزائر، 2009.
14. أحمد مالكي، الحركات الوطنية والإستعماري المغربي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
15. أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، ط3، دار العرار، الجزائر، 2013.
16. أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، دار الهومة، الجزائر، 2007.
17. أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، تر: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.
18. إدريس حصير، البحث في التاريخ الحديث (1830-1962)، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006.
19. الأمين بوشريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية [1919-1963]، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
20. إيفون تورين، أشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع (شهادة الوثائق الفرنسية ومظاهر ضعفها)، منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، المجلد الأول.
21. بسام العسلي، الله أكبر وإنطلقت ثورة الجزائر، ط1، 1982-1986، دار النفاس، دب، 2010.

22. بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1982.
23. بسام العسلي، لأمير خالد الهاشمي، ط2، دار النفائس، بيروت، 1984.
24. بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، ط1، 1402-1406 / 1982-1986م، دار النفاس، د ب، دس.
25. بشير السبيعي، ج 2، د ط، دار الفكر للدراسات و التوزيع، القاهرة، ص228.
26. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة للطبع باب الوادي، الجزائر، 2006.
27. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
28. بشير بلاح، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
29. بوشیخي شیخ، الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية (1954/1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س.
30. بوضرساية بوغرة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وإنعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.
31. بوعلام بوسايح، اعلام المقاومة الجزائرية ضد الإحتلال بالسيف و العلم (1830-1954)، د د ن، الجزائر، 2006.
32. جمال أبو شنب، بناء الشخصية و التفاعل في الجماعة التعليمية، د ط، دار المعرفة الجامعية، الأزراطية، 1996.
33. جمال فنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830-1916، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
34. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
35. حسين مؤنس، الحضارة عالم المعرفة، الكويت، 1978 مالک بن نبی، شروط النهضة، ت:عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1936.
36. حکم بن الشیخ، الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912-1936، د ط، دار العلم والفنون، الجزائر، 2013، ص60.

37. خديجة بقطاش، الحركة البشرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، د ب، د س.
38. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر (1830-1871)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.
39. رابح تركي عامرة، في التربية الإسلامية رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي، حليات جامعة الجزائر، دس.
40. رابح تركي عامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956)، ط2، الشركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1981.
41. رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر (1930-1989)، ج2، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
42. رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف 1920-1954، ط2، دار الكوكب للعلوم، د ب، 2012.
43. زهور ونيسي، جوانب من مساهمة المرأة في صنع النص، مجلة الأصالة، العدد 22، أكتوبر. نوفمبر 1974 .
44. سعد الله أبو قاسم، أبحاث واء في تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1900.
45. سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830- رواد الكفاح السياسي والإصلاحي [1945-1900]، ج 2، ط 2، دار الأمل، الجزائر، 2004.
46. سليمان الشيخ، الجزائر تحمل أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية المسلحة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، الجزائر، 2003.
47. شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية، تر: منجي سليم وآخرون، مراجعة فريد السوداني، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1976.
48. شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
49. صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814ق م-1962)، ج1، إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
50. صلاح مؤيد، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار الراق، بيروت، 2002.
51. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.
52. عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، دار الهدى ، الجزائر، 2008.

53. عبد الحميد الزكري، الدكتور أحمد الشريف سعدان ومضات من حياته ونضاله، المجلة الخلدونية، عدد5، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2006.
54. عبد الحميد بن باديس، الفكر للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دط، دارالهومة ، الجزائر، 2018.
55. عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، د ط، الجزائر، 2012.
56. عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة الجزائرية ، ج1، دار الهومة، الجزائر، 2012.
57. عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية و الثورة التحريرية، دارهومة، 2012.
58. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، دار الأمة، الجزائر.
59. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، دط، شركة دار الأمة، للطباعة و النشر التوزيع، الجزائر، 2014.
60. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980.
61. عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 - 1940، ط1، دار الشهب، لبنان، 1994.
62. عبد القادر حميد، دروب التاريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار القصبه، الجزائر، 2007.
63. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دارالأمة، الجزائر، 2010.
64. عبد القدر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
65. عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د ب، 2001.
66. عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، ليبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.
67. عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، ط 1، دار الطليعة، الجزائر، 2009.

68. عطا الله فشار، النخبة الجزائرية جذورها - تطورها - إتجاهاتها (1914-1954)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الجزائر، 2009.
69. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والنهاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.
70. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
71. العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926-1945)، دار الطليعة، الجزائر، 2003.
72. عبد العزيز الشهبى، الزوايا والصوفية والعراة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
73. فرحات عباس، ليل الإستعمار، تر: أبوبكر رحال، المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر، 2010.
74. فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر المنطلق السيرورة المال (1837-1937)، الدار الخلدونية، الجزائر، 2013.
75. فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة، الجمعية الخلدونية للأبحاث، بسكرة، ج1، الجزائر، 2001.
76. كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830-1962، تر: نذير طيار، ط1، دار الكتابات جديدة للنشر الإلكتروني، أغسطس 2016.
77. محفوظ قداش وجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
78. محفوظ قداش، الجزائر للجزائريين تاريخ الجزائر (1830-1945)، الوكالة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر، 2008.
79. محمد أسد، لإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.
80. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.
81. محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، ج2، دار هومة، الجزائر، 2000، ص42.
82. محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983.

83. محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، ج 1، موقم للنشر، الجزائر، 2008.
84. محمد الصالح الصديق، شخصيات، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2004.
85. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط1، دار البعث، الجزائر، د س.
86. محمد العربي الزبيري، قراءة في كتاب عبد الناصر و الثورة الجزائرية، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2004.
87. محمد العيد مصر، ثورة نوفمبر 54 في الجزائر (1954-1962) (الأوراس - النمامشة) أو فاتحة النار، دارالهدى، عين مليلة الجزائر، 2015.
88. محمد الملي، الشيخ مبارك الملي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001.
89. محمد الهادي الحسيني، أشعة الشروق، دار الأمة، الجزائر، 2010.
90. محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، د ط، دار المعاصرة للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، 2009.
91. محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون (ولاية عين الدفلى نموذجا)، مطبعة الكاهنة، ط1، الجزائر، 1998.
92. محمد حربي، الثورة الجزائرية وسنوات المخاض، تر: نجيب عياد، دط، موقوف للجزائر، 2012.
93. محمد خير الدين، مذكرات، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1958.
94. محمد سليم قلالة، التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد، دار الفكر، دمشق، 1988.
95. محمد شبوب، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) سياسية، اقتصادية و إجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2015.
96. محمد صالح بن العتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، د س ن.
97. محمد صالح صديق، كيف ننسى هذه الجرائم، د ط، دار الهومة، الجزائر، 2009.
98. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013.
99. محمد قناش، ذكريات يع مشاهير الكفاح، د ط، دار القصب، الجزائر، 2007.
100. المدني بجاوي، مذكرات مداني بجاوي مجاهد وشاهد ومسار، دار الهومة، الجزائر، 2012.

101. مسعود بن الشيخ سي بشير، أوراق من الذاكرة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2011.
102. مقلاني عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية 2014، دب، د س.
103. ملك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2013.
104. مؤلف مجهول، المؤتمر العربي الأول، د ط، مطبعة البوسفور، القاهرة، مصر، 1913.
105. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
106. ناهد دسوقي إبراهيم، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين 1918-1939، نشأة المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2001.
107. وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
108. يحي بوعزيز، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير (1954/1969)، ملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، م2، ج2، قصر الأمم من 8 إلى 10 ماي 1948، المنظمة الوطنية للمجاهدين، قطاع الإعلام و الثقافة والتكوين، دار الأمة، الجزائر، 2004.
109. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، 1996، ص242.
110. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية [1830-1984]، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1985.
111. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
112. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دط، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص13. يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007.
113. يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية و الخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2003.

114. يوسف منصورية، الإتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919-1939)، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

3 -المجلات والجرائد:

أ_ المجلات:

1. خير الدين شتورة، الرحلات العلمية بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس وأثرها في خصوصية التواصل بين المنطقتين، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 2
2. زهور ونيسي، المرأة الجزائرية والتمدن، م7، ع291، 29 أكتوبر 1954.
3. سامي صالح صياد، غيلان سميرطه، فرحات عباس و دوره في السياسية الجزائرية 1899-1985، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مجلد 19، ط1، 2012.
4. عطلاوي عبد الرزاق، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية [1913-1954]، مجلة آفاق فكرية، المجلد 3، العدد 7، 2017.
5. العياشي روابحي : هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى بلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة التواصل، المجلد 24، العدد 53، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان 2018.
6. فارس العيد، أثر مقاومة المقارنين وانتفاضته الصباحية والكلوتي في فرض الحماية الفرنسية على تونس، الأكاديمي للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 18، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، جوان 2017
7. مجلة الفرطاس للدراسات الفكرية و الحضارية، العدد الثاني، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، جانفي 2015

ب_ الجرائد:

1. إبراهيم أبو اليقظان، "اللغة العربية غريبة في دارها"، جريدة وادي ميزاب، ع55، 1927/11/3.
2. أبو العباس أحمد بن الهاشمي، "بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة"، جريدة البصائر، م1، ع8، 21 فيفري 1936.
3. أبو يعلى الزواوي، "محاربة البغاء"، جريدة البلاغ، ع85، 14 سبتمبر 1928.

1. عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية (1927-1963)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الآثار، 2006.
2. أحمد بن حابو، المهاجرون الجزائريون ونشاطهم في تونس [1830-1954]، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2010-2011.
3. جمال مخلوفي، السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة 1900-1954، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2019.
4. الجمعي الخمري، حركة الشبان الجزائريين 1930/1900، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة 1994.
5. رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1962، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008.
6. سحولي البشير، مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية [1900-1939]، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجبليليلابس، سيدي بلعباس، 2014-2015.
7. شهادة ميلاد فرحات عباس، مذكرة تخرج عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الإستقلال (1899-1985)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004.
8. صالح عسول 'اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة [1962-1946]، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009.
9. الطاهر غول، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية (1919-1954)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر قسم العلوم الإنسانية 'كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمة لخضر، الجزائر، 2013/2014.
10. عباس محمد الصغير، فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة قسنطينة، 2007،

11. عبد الحكيم رواجنة، السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1830-1930، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013-2014.

12. عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر [1830-1919]، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية، تخصص تاريخ، جامعة جلالى لىابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017.

13. عز الدين معزة، فرحات عباس والحبیب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة منتوري، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2009.

14. فارس العیدعلاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس [1848-1930]، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، وهران، 2016-2017.

15. قبایلي هواري، مسألة الحج في السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1968، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار.

16. محمد شوب، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) سياسية، اقتصادية وإجتماعية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2015.

17. مخلوفي جمال، السياسة الاستعمارية الثقافية (1900-1954)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بله 1، وهران، 2018-2019.

18. نفيسة دويدي، تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس من 1927م إلى 1955م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، 2005.

19. وفاء بوصفصاف، التكوين الاجتماعي والثقافي والوطني لأبرز قادة الحركة الوطنية الجزائرية الشيخ عبد الحميد باديس. أحمد مصالي الحاج. فرحات عياس. عمار أوزقان نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

5-المصادر الأجنبية:

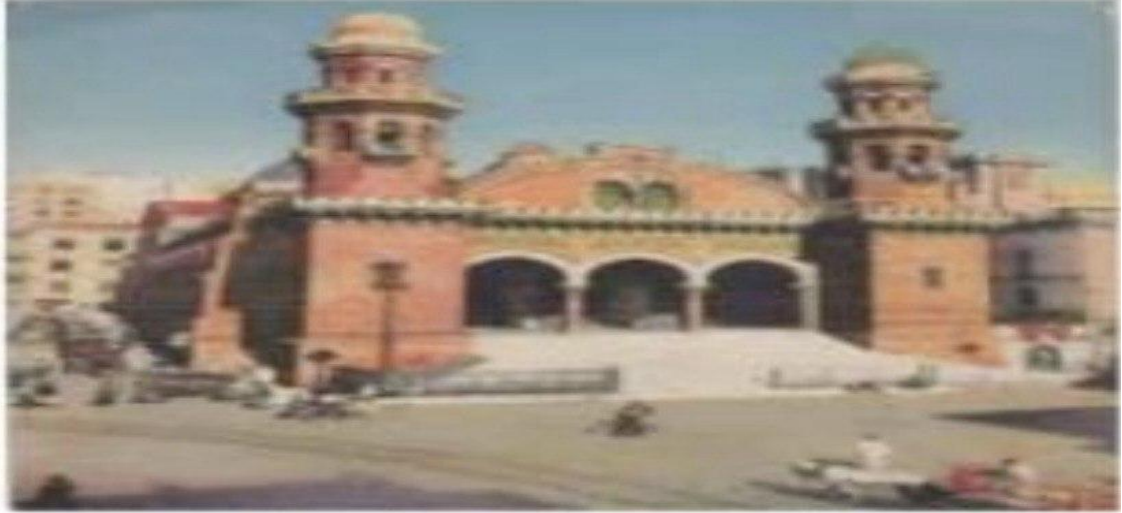
1. Achour cheurfi. 2001. la classe politique algerimmet de 1900 no jours dictinnairboigraphiealgercasbas ettition
2. Ben jaminstorazykyaadaoud, farhatabbas une untrealgéria, alcasbah, alger, 1995
3. Bourde paul, A travers l'agerié : souvenirse de l'excursion palementaire (september-octobre 1879 G. charpentier paris, 1880

4. Colonna Fanny. Verdict scolaire et position de classe dans l'Algérie coloniale. In : Revue française de sociologie, 1973
5. Colonna Fanny. Verdict scolaire et position de classe dans l'Algérie coloniale. In : Revue française de sociologie, 1973
6. El-Couderc-Morandeaustéphanie, Philosophie Républicaine et Colonialisme : origines, contradictions, échecs, thèse de doctorat pour obtenir le grade de docteur de l'université Paris X Nanterre des sciences humaines, Année 2007, N° PA10-60
7. Dimier Véronique, « Politiques indigènes en France et en grande-Bretagne dans les années 1930 : aux origines coloniales des politiques de développement », Politique et sociétés, vol. 24, n° 1, 2005
8. Erikson, Adelson et crise, la quête de l'identité, Flammarion, Paris, 1972
9. Farhat Abbas, la nuit coloniale et révolution algérienne, Édition ANEP
10. Harmand Jules « 1845-1921 », domination, Paris, Ernest Flammarion, Éditeur, 1910
11. Henri Charles-Lavauzelle éditeur militaire, 1903 .
12. Hervé André, le droit de votes des étrangers, état des lieux et fondements théoriques, Doctorat de science juridiques et politiques, sous la direction de Mme Chemillier-Gendreau, Université Paris 7 Denis Diderot, 2007
13. El-Hervé André, « Droit de vote : de l'exclusion des indigènes colonisés à celle des immigrés », Revue Asylon(s), N°4, mai 2008, Institutionnalisation de la xénophobie en France, url de référence : <http://www.reseau-terra.eu /article733.html>.
14. Hess Jean (1862 – 1926), La vérité sur l'Algérie, Librairie universelle (Paris), 1905
15. Larousse universel en 2 volumes : Nouveau Dictionnaire encyclopédique . publié sous la direction de Claude Augé, Larousse (Paris), 1922
16. Larousse universel en 2 volumes' nouveau dictionnaire encyclopédique. publié sous la direction de Claude Augé, Larousse (Paris) 1922, Tom 1 (1276)
17. Le coup Bombour N° 50, 27 septembre 1934
18. Lecour Grandmaison Olivier, La République impériale- Politique et racisme d'Etat, Paris, Fayard, 2009
19. Lecour Grandmaison Olivier, la République impériale- Politique et racisme D'Etat, Paris, Fayard, 2009
20. Lorcerie française, « L'islam comme contre-identification française : trois moments », L'Année du Maghreb, II 2005-2006
21. Lunel Eugène, la question algérienne. Les arabes, l'armée, les colons. Édition Lachaud Paris 1869
22. Mahsas Ahmed, le mouvement révolutionnaire en Algérie : de la 1ère guerre mondiale à 1954, Éditions Barakat, Alger, 1990
23. Mahy François de, Le régime politique aux colonies : réponse aux adversaires des institutions libérales aux colonies, Paris, Armand le chevalier, Éditeur, 1872 ,
24. Marssile Jacques, Lagache, le droit et fait colonial en France . Des années 1880 aux années 1960, In : vingtième siècle. Revue d'histoire. N°24, octobre- décembre 1989
25. Messimy Adolphe, statut d'indigènes algériens, Paris, H, Charles-Lavauzelle, 1913,
26. El-Nyambarza D., La formation de la Doctrine coloniale de la France sous la troisième République 1870-1881, Thèse d'histoire 3ème cycle , université de Paris, faculté des lettres et sciences humaines Sorbonne
27. Passolunghi Vincent « capitulation » : L'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans : Étude sur l'utilisation des ressources militaires des républicains en Algérie . Paris
28. Patrick Weil, Qu'est-ce qu'un français ? Histoire de la nationalité française depuis la révolution, Éditions Galliard, 2004

29. Saada Emmanulle, « Entre " assimilation " et " décivilisation " .L'imitation et le projet colonail républicain », terraian ,n° 44
30. schnapperdominique .Qu 'est ce que l'integration ? editions gallimard .2007.240
31. Semidei Madame Manuela, les socialistes française et le problème coloniale tre les deux guerres (1919 -1939), In :Revue française de science politique, 18e année,n°6, 1968
32. semidie Madame Manuele,semidiemanuela, Les socialistes française et le problème colonial entra les duex guerre(1919-1939),In : revue française de science politique, année,n° 6,1968.
33. Storabenjamin, Le nationalisme algérien avant 1954, CNRS E'ditions, Paris,2010
34. Valérie esclangon-Morin,Les française d'Algérie ou la constituion d'une communauté française à partir d'une double migration,colloque Pour une histoire critique et citoyenne.le cas de l'histoire franco-algérienne, 20-22 juin 2006, lyon,ENS LSH, 2007.
35. Véronique Dimer, « Politiques indigènes en France et enGrande-Bretagne dans les années 1930 :aux origines coloniales des politiques de développement »,Politique et sociétés,vol.24, n° 1, 2005
36. Vignon, louis (1859 – 1932), La France dans l'Afrique du Nord, Algérie et tunisie, Librairie Guillaumin (Paris),1887, (308p),

الملاحق

ملحق رقم 01: مسجد كتشاوة و تحويله إلى كاتدرائية¹



1- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 209.

ملحق رقم 02: الأمير خالد في زيه العسكري بكلية سان سير العسكرية عام 1894م¹.



1- سعيد بورنان، شخصيات بارزة في الكفاح الجزائري (1830-1962)، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي (1931-1945)، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص39.

ملحق رقم 03: الأمير خالد أبرز قادة المقاومة في بداية الحركة الوطنية السياسية¹.



1-Mohamed tayebilloul et alia roua,le groupe scout emirkhaled de belkourt un maillon des scouts musulmans algériens 1946-1962,Ed :

ملحق رقم 04: عريضة الأمير خالد لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية¹.

بشرافنا أن نوافيكم، مع روح العدالة لديكم، بعرض مقصود عن
الوضعية الحالية بالجزائر، الناجمة عن احتلالها من قبل فرنسا منذ 1830.

في كفاح غير متكافئ، ولكم رغم ذلك بشرف أبائنا، قاتل الجزائريون
لسـ 17 سنة، بإصرار وثبات لا مثيل لهما، من أجل طرد الغدس والعيش في
استقلال. ولكن للأسف لم يتصوروا في كفاحهم. خلال 89 سنة التي عشناها
تحت اليمعة الفرنسية، ولأولنا، زداد انتشار الفقر للدين، بينما يواصل المتصورون
الاعتناء على حسابنا. المعاهدة التي وقعت في 5 جويلية 1830، بين الجنرال
بومون وداي الجزائر كانت تضمن لنا احترام قوانيننا، عاداتنا وديننا. كرس

قانون 1851 حقوق الملكية والانتفاع التي كانت موجودة خلال الاحتلال.
لدى رسوه بالجزائر، في 5 ماي 1865، وجه نابليون الثالث بياناً لمسلمي
الجزائر:

قال فيه: "عندما منذ 35 سنة، وطأت فرنسا الأرض الإفريقية، فلما لم تسأ
لتدبر هوية شعب، ولكن على العكس من أجل إعتاق هذا الشعب
من اضطهاد أربا، وقد استبدلت الحكم التركي بحكم أكثر اعتدالا،
أكثر إنصافا، وأكثر تنويرا..."

لقد كنا نتوقع العيش في سلام، جنبا إلى جنب وبالتعاون مع المحتلين
الجدد، مستندين على هذه التعهات الرسمية والعلمية. بعد ذلك، نأكدنا،
للأسف، أن وعدا هذه الوعة لن تبقى سوى نقولا. في الواقع، كما كان عليه
الأمر في زمن الرومان، طرد الفرنسيون تدريجيا المنهزمين عن طريق استملاك
السهول الخصبة والمناطق الأكثر غنا. إلى غاية يومنا الحالي، لا يزال تأسيس
المراكز الاستيطانية الحديثة متواصلا، عن طريق انتزاع من الأهالي الأراضي
الجيدة التي بقيت لديهم، بطريقة: "استملاك من أجل مصلحة عمومية". أملاك
الأوقاف، التي كانت تقدر بمئات ملايين الفرنكات، والتي كانت تستخدم
للإعتاق على المعالم الدينية وعلى الفقراء، تم الاستيلاء عليها وتوزيعها بين
الأوروبيين، الأمر المظلم نظرا للاستخدام الدقيق والدين السذي حددت غسده
الأملاك من قبل مانعها.

في وقتنا الحالي، رغم قانون الفصل بين الكيسة والدولة، القلة من أملاك
الأوقاف التي لا تزال موجودة، تسورها الإدارة الفرنسية، عن طريق وصاية دينية
أحتو أعضاؤها الطيعون من طرفها. ولا داعي لتوضيح أن ليس لديهم أية
سلطة.

بما يعاكس ديننا. تستغل الإدارة الاستعمارية كافة الفرض، خاصة خلال
هذه الحرب، لتنظم في مساجدنا وأماكن تعبدنا تظاهرات سياسية. بحسور

حشود تتكون خاصة من الموظفين، تنلى خطب معدة للمناسبات من طرف
موظفي الشعائر الدينية، ويصل الحد في انتهاك التقدمات هذا إلى غاية عسرف
الموسيقى العسكرية في هذه التظاهرات التي تمس المعتقدات الإسلامية.

هكذا تم تطبيق تعهات الجنرال بومون في 5 جويلية 1830 وقانون
1851. خلال 89 سنة، أزعج الأهالي بالضرائب: الضرائب الفرنسية والضرائب
العربية المرجوة من فترة ما قبل الاحتلال، والتي حافظ عليها المظنون الجسد.
تعاينة ميزان المداسيل والتفقات بالجزائر، يمكن أن نكتشف بسهولة أن الأهالي
مظلون بالضرائب، وأن الموازنة لا تأخذ مطلقا في الحسبان أحيائناهم الخاصة.
العديد من القبائل لا تغطي بطرقات وأغلبية أطفالنا ليس لديهم مدارس.

بفضل تضحياتنا، تشكلت جزائر فرنسية مودعة جدا، حيث زراعة
الكروم تمتد على مرمى البصر. البلد مليء بالسكك الحديدية والطرق السبي
تربط بين القرى الأوروبية. في مناطق غير بعيدة عن العاصمة، توجد قبائل
كاملة، لا يجد بأراضيها ذات الكثافة السكانية العالية والفقر وشديدة الانحدار،
طرقا للمواصلات، وتوسعات سكانية كبيرة لتفقد لأبسط الضروريات. كما
كان الأمر وقت السبي لإبراهيم، لا يزال اعتراف الماء يتم تحله الماعز، في صهاريج
أو أبار مفتوحة. في كل شيء حصة الأكثر عددا هي الأقل، وأما الأظفر هي
الأعلى.

تحت نظام يزعم أنه جمهوري، يحكم القسم الأكبر من السكان بقوانين
خاصة تحيل حق التوحش. والنموذجي هو أن بعض هذه القوانين السن
تؤسس لحاكم استثناء (محاكم قمعية ومحاكم جنائية) تعود لسـ 29 مارس 1902
و 30 ديسمبر 1902. يمكن أن نرى في ذلك مثالا لما يزعم أنه التقدم التدرجي
نحو إحيات.

باستخدام الطريقة الزائفة بعدم لمس باحريتها، تم إرخاء: "حقوق عينا
والنشرويات الكمالية تقدم بوفرة للأعمال في المقاعي. كمهزمين حاضرين،
تعملوا كافة هذه الامتيازات في انتظار وأمثلا في تحسن الأوضاع.

التصريح الرسمي الآن: "لا يمكن أن يكون أي شعب على العيش تحت
سيادة برنضتها"، الذي أدلتم به في ماي 1917 في رسالتكم إلى روسيا، يجعلنا
نأمل أنه قد آن لكون ذلك. ولكن تحت الوصاية القاسية للإدارة الفرنسية
بالجزائر، وصل الأهالي إلى درجة استعياك. لقد أقم أصبحوا عساجرين عمن
التشكي. الخشية من القمع دون رافة تمنى كافة الأقواء.

رغم ذلك فإننا نتقدم باسم أبناء وطننا، ببناء للمشاعر النبيلة لسريس
أمريكا الحرة: نطلب إرسال مندوبين مختارهم بحرية لتقرير مستقبلنا، في إطار
عصبة الأمم. 14 مبدأ للسلم العالمي التي قدعتموها، السيد الرئيس، وفيلسها
الحلما والقوى الرئيسية، يتعين أن تشكل قاعدة لاعتناق جميع الشعوب
الخطمودة، دون تمييز في العرق ولا في الدين.

محتلون في عيون العالم برمتهم حامل لواء الحقوق والعدالة. لم تتورطوا في
هذه الحرب، الكثيرة سوى من أجل إقامة جميع الشعوب به. نقل بشدة في
وعدكم المقدس. أعدت هذه العريضة لتتوركم ولتست نظركم إلى وضعنا
كمحتقرين.

وفي الأخير، نلتوا سيدي الرئيس، لتعير عن قاتل احترامي.

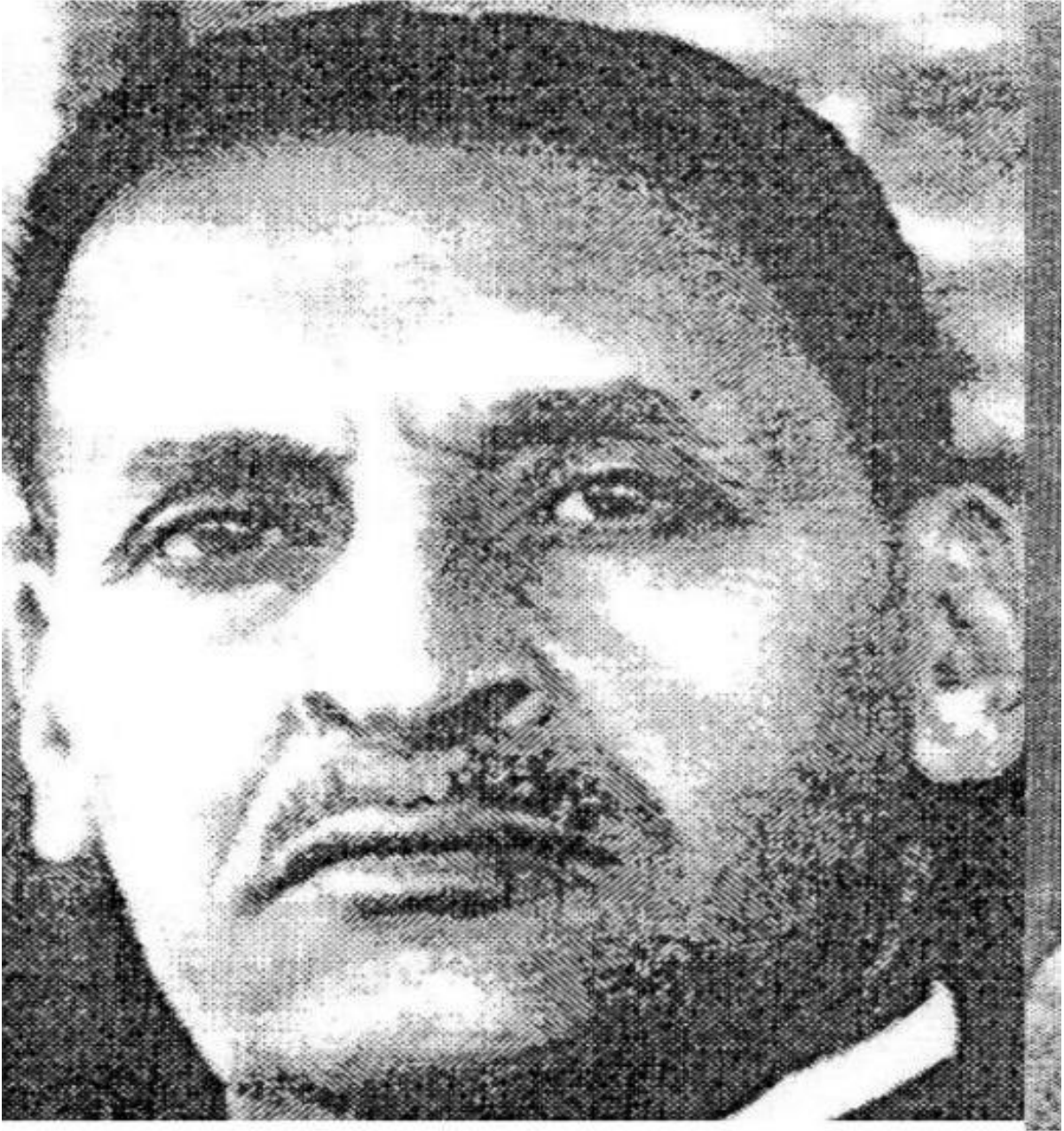
أد، دعا أصدون في الجزائر ككتالند. (5-12 مارس 1980)

1-محفوظ دكاش، محمد قنانش، نجم شمال إفريقيا (1926-1937)، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص31.

ملحق رقم 05: صورة لمحمد الصالح بن جلول¹.



ملحق رقم 06: فرحات عباس¹.



1- صورة من أرشيف متحف المجاهدين بكرة.

ملحق رقم 07: شهادة ميلاد فرحات عباس¹.

1- عز الدين بوعزة، فرحات عباس و دوره في الحركة، مرجع السابق، ص285.

الملحق رقم 08:صورة حكيم سعدان¹.



الملحق رقم 09: صورة جماعية لحكيم سعدان ومجموعة من قادة الأحزاب¹.



1- فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة، المرجع السابق، ص 86.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	اهداء
	شكر وعرفان
	المختصرات
أ-و	مقدمة
5-1	مدخل: السياسة الثقافية الاستعمارية
	الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للاتجاه الادماجي
7	المبحث الأول: جماعة النخبة
7	المطلب الأول: تعريف النخبة
9	المطلب الثاني: برنامجها
10	المطلب الثالث: تصنيفاتها
15	المبحث الثاني: إصلاحات 1919م
15	المطلب الأول: تعريف الإصلاحات
17	المطلب الثاني: بنود الإصلاحات
18	المطلب الثالث: أهم المواقف منها
20	المبحث الثالث: حركة الأمير خالد
20	المطلب الأول: مولده ونشأته
21	المطلب الثاني: نشاطه
25	المطلب الثالث: مصيره
	الفصل الثاني: نشأة الاتجاه الإدماجي وردود الفعل
29	المبحث الأول: نشأة الاتجاه الإدماجي وردود الفعل
29	المطلب الأول: تعريف الإدماج "لغة- اصطلاحا"
29	المطلب الثاني: الفرق بين الإدماج والإندماج
32	المطلب الثالث: نشأة الاتجاه الإدماجي
37	المبحث الثاني: أبرز قادة الاتجاه الإدماجي

37	المطلب الأول: محمد صالح بن جلول
41	المطلب الثاني: فرحات عباس
48	المطلب الثالث: حكيم سعدان
53	المبحث الثالث: مطالبات الإتجاهات الإدماجية وردود الفعل
53	المطلب الأول: مطالبات الإتجاهات الإدماجية
56	المطلب الثاني: موقف الطبقة السياسية من الإتجاه الإدماجي
63	المطلب الثالث: موقف الكولون من الإتجاهات الإدماجية
	الفصل الثالث: الآثار الثقافية لسياسة الإدماج
70	المبحث الأول: إستهداف الزوايا
73	المطلب الأول: موقف فرنسا من الزوايا
75	المطلب الثاني: تدمير الزوايا
78	المطلب الثالث: تدجين الزوايا
83	المبحث الثاني: تفكيك بنية المجتمع
84	المطلب الأول: أساليب تفكيك الأسرة الجزائرية
92	المطلب الثاني: إستهداف المرأة الجزائرية والزواج المختلط
94	المطلب الثالث: الهجرة
98	المبحث الثالث: نشر الثقافة الفرنسية
98	المطلب الأول: الاندماج في الثقافة الفرنسية
104	المطلب الثاني: التجنيس بالجنسية الفرنسية
106	المطلب الثالث: الفكر الفرانكفوني
110	الخاتمة
115	قائمة المصادر والمراجع
	الملاحق
	فهرس المحتويات
	الملخص

الملخص:

اتبعت فرنسا خلال استعمارها للجزائر سياسة الإدماج الثقافي بهدف طمس الهوية الوطنية وتحويل الجزائريين إلى "فرنسيين مسلمين"، دون منحهم الحقوق الكاملة للمواطنة. تمثلت هذه السياسة في فرض اللغة الفرنسية كلغة رسمية وإقصاء اللغة العربية من المؤسسات التعليمية والإدارية، إلى جانب محاربة التعليم التقليدي الديني الذي كانت تشرف عليه الزوايا والمساجد. كما سعت فرنسا إلى نشر ثقافتها وقيمها العلمانية على حساب الثقافة الإسلامية. وقد أدت هذه السياسة إلى آثار عميقة على المجتمع الجزائري، أبرزها تدهور التعليم العربي، وظهور فئة متغربة ثقافيًا، وازدواجية لغوية وثقافية داخل المجتمع. غير أن سياسة الإدماج لم تؤت ثمارها بالكامل، إذ واجهتها مقاومة ثقافية قوية ساهمت في تعزيز الوعي الوطني والديني، ومهدت لاحقًا لبروز الحركات الإصلاحية والوطنية التي طالبت بالاستقلال الثقافي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الإدماج، فرنسا الاستعمارية، الإصلاحات 1919، فرحات عباس، الأمير خالد، الزوايا، التغريب، المرأة الجزائرية، الهوية الوطنية.

Résumé :

La France a adopté, durant sa colonisation de l'Algérie, une politique d'assimilation culturelle visant à effacer l'identité nationale et à transformer les Algériens en « Français musulmans », sans toutefois leur accorder les pleins droits de citoyenneté. Cette politique s'est traduite par l'imposition de la langue française comme langue officielle, l'exclusion de l'arabe des institutions éducatives et administratives, ainsi que la lutte contre l'enseignement traditionnel religieux assuré par les zaouïas et les mosquées. La France a également cherché à diffuser sa culture et ses valeurs laïques au détriment de la culture islamique. Cette politique a eu des conséquences profondes sur la société algérienne, notamment la dégradation de l'enseignement en arabe, l'émergence d'une élite culturellement aliénée, et une dualité linguistique et culturelle marquée. Cependant, l'assimilation n'a pas pleinement réussi, car elle a suscité une forte résistance culturelle qui a renforcé la conscience nationale et religieuse, préparant ainsi l'émergence des mouvements réformistes et nationalistes réclamant l'indépendance culturelle et politique.

Abstract :

France adopted a policy of cultural assimilation during its colonization of Algeria, aiming to erase the national identity and turn Algerians into "French Muslims" without granting them full citizenship rights. This policy was implemented through the imposition of French as the official language, the exclusion of Arabic from educational and administrative institutions, and the suppression of traditional religious education provided by zawiyas and mosques. France also sought to spread its culture and secular values at the expense of Islamic culture. This policy had profound effects on Algerian society, including the decline of Arabic education, the emergence of a culturally alienated elite, and a pronounced linguistic and cultural duality. However, assimilation did not fully succeed, as it provoked strong cultural resistance that reinforced national and religious consciousness, paving the way for the rise of reformist and nationalist movements demanding cultural and political independence.



بسكرة في 2025/05/26

الاسم واللقب الأستاذ المشرف : شهرزاد شلبي
الرتبة : أستاذة محاضرة أ
المؤسسة الأصلية : جامعة بسكرة

الموضوع: إذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة) شهرزاد شلبي وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر
للتالبة بن الصغير رباب
في تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر
والموسومة: ب سياسة الإدماج وأثارها الثقافية على المجتمع الجزائري
والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث
العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بطبعتها.

مصادقة رئيس القسم

إمضاء المشرف

